كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

3

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعـة الأولى

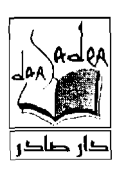
1423هـ -2002 م

الطبعـة الثـانية

1426هـ - 2005م

الطبعـة الثـالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[19] ـ ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو قَيس بن الخَطيم بن عَدِيّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر ، ويُكنى قيس أبا يزيد[2] .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حَمّاد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم[3] : [من المنسرح]

بينَ شُكُولِ النساء خِلْقتُها حَذْواً فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[4]

فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حَذْواً ما درى الناس كيف يَحْشُون هذا الموضع .

[أخذه بثأر أبيه وجدّه]

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير ، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج ، فلمّا بلغ قتَل قاتلَ أبيه ، ونشِبتْ لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببها .

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال : كان سبب قتل الخطيم أنّ رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالِك اغتاله فقتله ، وقيس يومئذٍ صغير ، وكان عديّ أبو الخطيم أيضاً قُتل قبلَه ، قتله رجل من بني عبد القيس ، فلمّا بلغ قيس بن الخطيم وعرَف أخبار قومه وموضع ثأره لم يزل يلتمس غِرَّة من قاتل أبيه وجدّه في المواسم حتى ظفِر بقاتل أبيه بيَثْرِبَ فقتله ، وظفِر بقاتل جدّه بذي المَجاز ، فلمّا أصابه وجدَه في رَكْبٍ عظيم من قومه ، ولم يكن معه إلاّ رهطٌ من الأَوس ، فخرج حتى أتى حُذَيفة بن بَدْر الفَزاريّ ، فاستنجده فلم يُنجده ، فأتى خِداش بن زُهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عديّ ، فإذا هو واقف على راحلته في السُّوق ، فطعنه قيس بحربة حتى أنفذ حضنه فقتله ، ثم استمرّ . فأراده رهطُ الرجل ، فحالت بنو عامر دونه ؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم[5] : [من الطويل]

---

1 طبقات محمد بن سلام الجمحي : 228–231 تحقيق العلاّمة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، القاهرة 1974 ، والمؤتلف والمختلف للآمدي : 159–160 تحقيق عبد الستّار فرّاج ، القاهرة 1961 ، وخزانة الأدب للبغداديّ 7 : 24–37 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1986 ، وديوان قيس بن الخطيم تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1967 .

2 ل : أبا زيد .

3 الديوان : 103 .

4 جبلة في الديوان : قصد ، وفي ل : عبلة (حيثما وردت) . القضف : قلّة اللحم .

5 من القصيدة الأولى في ديوانه .

ثأرتُ عَدِيّاً والخَطِيمَ فلـم أُضِعْ ... وِلايــةَ أشيــاخٍ جُعلتُ إزاءَها

ضربتُ بذي الزُّجَّيْنِ رِبْقةَ مالكٍ ... فأُبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءَها[1]

وسامَحَني فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ ... خِـداشٌ فــأدّى نعمــةً وأفاءها

طعنتُ ابنَ عبد القَيْس طعنةَ ثائرٍ ... لهــا نَفَذٌ لولا الشَّعــاعُ أضاءها[2]

ملكتُ بها كفِّــي فأنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرى قائمٌ من دونِها ما وراءَها[3]

هذه رواية ابن الأعرابيّ عن المفضَّل . وأمّا ابن الكَلْبيّ فإنّه ذكر أنّ رجلاً من قُريش أخبره عن أبي عبيدة أنّ محمد بن عَمّار بن ياسِر ، وكان عالِماً بحديث الأنصار ، قال[4] : كان من حديث قيس بن الخطيم أنّ جَدّه عديّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة يقال له مالك ، وقتل أباه الخَطيمَ بن عديّ رجل من بني عبد القيس مِمّن كان يسكن هَجَرَ ؛ وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيّاً صغيراً ، وقُتل الخَطيم قبل أن يثأر بأبيه عديّ ؛ فخشيتْ أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدّه فيَهلِك ، فعمَدتْ إلى كُومة من تراب عند باب دارهم ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلتْ تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجَدّك ، فكان قيس لا يشكّ أن ذلك على ذلك . ونشأ أَيِّداً شديد الساعدين ، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر ، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلتَ شدّة ساعديك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرجها عليّ ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدّي ؟ قال : سَلْ أُمّ [illegible] ـبرك ؛ فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذُبابه بين ثدييه وقال لأمّه : أخبريني مَن قتل أبي وجدّي ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفِناء ؛ فقال : والله لتُخبرينني مَن قتلهما أو لأَتَحامَلَنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ؛ فقالت : أمّا جَدُّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ، وأمّا أبوك فقتله رجل من عبد القيس مِمّن يسكن هَجَرَ ؛ فقال : والله لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بُنيّ إنّ مالكاً قاتِل جَدِّك من قوم خِداش بن زهير ، ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر ، فَأْتِه فاستشرْه في أمرك واستعِنه يُعِنك ؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه[5] وهو يسقي نخله ، فضرب الجَرِيرَ[6] بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلوُ في

---

1 الزُّجّين في الديوان : بذي الزرّين (وهو سيف) ويروى بذي الخرصين .

2 الشعاع : انتشار الدم .

3 أنهرت : وسّعت .

4 أورد ابن حمدون في التذكرة خبر ثأر قيس واغتياله 7 : 377–382 .

5 الناضح : جمل يستقى عليه .

6 الجرير : الحبل .

البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرارَتين من تمر ، وقال : مَن يَكفيني أمر هذه العجوز ؟ (يعني أمّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[1] حتى تموت ثم هو له ، وإن عشتُ فمالي عائد إليّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره ؛ فقال رجل من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليه بمَرِّ الظَّهْران ، فصار[2] إلى خبائه فلم يجده ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه ، ثم نادى امرأة خداش : هل من طعام ؟ فأطلعَت إليه فأعجبها جماله ، وكان من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نُزُلٍ نرضاه لك إلاّ تمراً ؛ فقال : لا أُبالي ، فأخرجي ما كان عندك ؛ فأرسلت إليه بقُباع[3] فيه تمر ، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردّ شِقَّها الباقي في القُباع ، ثم أمر بالقُباع فأُدخِل على امرأة خداش بن زهير ، ثم ذهب لبعض حاجاته[4] . ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس ، فقال : هذا رجل متحرِّم . وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رُطَبا ؛ فلمّا رأى خداش رِجلَه وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفُك ؟ قالت : نعم ؛ قال : كأن قدمه قدم الخَطيم صديقي اليثربيّ ؛ فلمّا دنا منه قرَع طُنُب[5] البيت بسنان رمحه واستأذن ، فأذِن له خداش فدخل إليه ، فنسَبه فانتسب وأخبره بالذي جاء له ، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه في أمره ؛ فرحّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده ، وقال : إنّ هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منك منذ حينٍ . فأمّا قاتل جدّك فهو ابن عمّ لي وأنا أُعينك عليه ، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جنبه وتحدّثتُ معه ، فإذا ضربتُ فخذَه فثِبْ إليه فاقتله . فقال قيس : فأقبلتُ معه نحوه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالسه خداش ، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه[6] بسيف يقال له ذو الخُرْصين[7] ، فثار إليَّ القوم ليقتلوني ، فحال خداش بينهم وبيني وقال : دَعُوه فإنّه والله ما قتل إلا قاتل جدّه . ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه ، وانطلق مع قيس إلى العَبْدِي الذي قتل أباه ، حتى إذا كانا قريباً من هَجَرَ أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلّ عليه قال له : إنّ لصّاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي ، فسألت مَن سيد قومه فدُللتُ عليك ، فانطلقْ معي حتى تأخذ متاعي منه ؛ فإن اتّبعك وحده فستنال ما تريد منه ، وإن أخرج معه غيره فاضحك ، فإن سألك ممّ ضحكتَ فقل : إنّ الشريف عندنا لا يصنع

1 الحائط : البستان .
2 ل : فأتى .
3 القباع : وعاء للتمر وغيره .
4 ل : حاجته .
5 ل : قرع الظلة .
6 ل : عنقه .
7 هو سيف ذو الزرين أو ذو الخرصين ، انظر الأبيات فيما تقدّم .

كما صنعتَ إذا دُعي إلى اللص من قومه ، إنّما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللص أعطى كلّ شيء أخذ هيبةً له ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك ، وإن أبَى إلاّ أن يمضوا معه فأْتِني به ، فإنّي أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه . ونزل خداش تحت ظلّ شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العبديَّ فقال له ما أمره خداش فأحفظَه ، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس ؛ فلمّا طلع على خداش ، قال له : اخترْ يا قيس إمّا أن أُعينك وإمّا أن أَكْفِيَكَ ؛ قال : لا أُريد واحدة منهما ، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّك ؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه ، فلمّا فرغ منه قال له خداش : إنّا إن فررنا الآن طلبَنا قومه[1] ، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله ، فإنّ قومه لا يظنّون أنّك قتلته وأقمتَ قريباً منه ، ولكنّهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كلّ وجه ، فإذا يئسوا رجعوا . قال : فدخلا في داراتٍ من رمال هناك ، وفقَد العبديّ قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلاً ، فخرجوا يطلبونهما في كلّ وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خداش . وأقاما مكانهما أيّاماً ثم خرجا ، فلم يتكلّما حتى أتيا منزل خداش ، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله . ففي ذلك يقول قيس[2] : [من الطويل]

تذكَّـر لَيْلَى حسنَهـا وصفاءَها ... وبانتْ فمـا إن يستطيعُ لقاءَها[3]

ومِثْلُكِ قد أَصبَيتُ ليست بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ أَفْضَتْ إليّ خِباءَها[4]

إذا ما اصطَبحتُ أربعاً خَطَّ مِئْزَرِي ... وأَتْبعتُ دَلْوِي في السَّماحِ رِشاءَها[5]

ثَـأَرْتُ عديّاً والخَطيمَ فلم أُضِعْ ... وصيّة أشيـاخٍ جُعِلـتُ إزاءَها

وهي قصيدة طويلة .

[استنشد الرسول شعره وأعجب بشجاعته]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المِنْقَرِيّ قال حدّثنا زياد بن بيان[6] العُقيليّ قال حدّثنا أبو خَوْلة الأنصاريّ عن أَنَس بن مالك قال : جلس رسول الله ﷺ في مجلس ليس فيه إلاّ خَزْرَجِيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ،

1 ل : إن فررنا اليوم قتلنا .

2 هي أوّل القصيدة التي منها الأبيات السابقة .

3 فما إن يستطيع في الديوان : فأمسى ما ينال .

4 أفضيت إليّ خباءها في الديوان : أفضت إلى حيائها ، أي لم يبق بيني وبينها ستر .

5 خط أو حط : أي أصبح مئزره يجرّ وراءه لأنّه يمشي مختالاً .

6 ل : بنان .

يعني قوله[1] : [من الطويل]

أتعـرفُ رسمـاً كاطّـرادِ المذاهبِ لعَمْرةَ وَحْشاً غيرَ موقِف راكبِ[2]

فأنشده بعضهم إيّاها ، فلمّا بلغ إلى قوله : [من الطويل]

أُجالِدُهـم يـومَ الحَدِيقـةِ حاسِراً كأن يدي بالسيفِ مِخْراقُ لاعبِ[3]

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال : «هل كان كما ذكَر» ؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمّاس وقال له : والذي بعثَك بالحقّ يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يومَ سابع عُرْسه عليه غِلالة ومِلحفة مورَّسة[4] فجالدَنا كما ذكر . هكذا في هذه الرواية .

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال : لم تكن بينهم في هذه الأيّام حروب إلاّ في يوم بُعاث[5] فإنّه كان عظيماً ، وإنّما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب .

قال الزبير وأنشدتُ محمد بن فَضالة قول قيس بن الخطيم : [من الطويل]

أجالِدُهـم يـومَ الحديقـةِ حاسراً كأنّ يدي بالسيفِ مِخراقُ لاعبِ

فضحك وقال : ما اقتتلوا يومئذٍ إلاّ بالرطائب والسَّعَف .

قال أبو الفرج : وهذه القصيدة التي استنشدهم إيّاها رسولُ الله ﷺ من جيّد شعر قيس بن الخطيم ، وممّا أَنْشَده نابغة بني ذُبيان فاستحسنه وفضّله وقدّمه من أَجْلِه .

[أنشد النابغة من شعره فاستجاده]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال قال أبو غُزَيَّة قال حسّان بن ثابت : قدِم النابغة المدينة[6] فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

عرفـتُ منـازلاً بعُرَيْتِناتٍ فأعـلَى الجزْع للحَيّ المُبِنِّ[7]

فقلت : هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافيةً مُنكرة . قال ويقال : إنّه قالها في موضعه ، فما

1 الديوان : 76 .
2 يعني تتابع جلود ذات خطوط مذهّبة .
3 الحديقة : قرية من أعمال المدينة .
4 مورّسة : مصبوغة بالورس أي صفراء اللون .
5 يوم بعاث : من أيّام الحرب بين الأوس والخزرج .
6 ل : السوق .
7 عريتنات : اسم واد . المُبين في ل : الخيف . المبنّ : المقيم .

زال يُنشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجلٌ يُنْشِد ؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده : [من الطويل]

أتعرف رَسْماً كاطّراد المذاهبِ

حتى فرغ منها[1] ؛ فقال : أنت أشعرُ الناس يا ابن أخي . قال حسّان : فدخَلَني منه ، وإنّي في ذلك لأجد القوّة في نفسي عليهما ، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه ؛ فقال : أنشِدْ فوالله إنّك لشاعر قبل أن تتكلّم ، قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فأنشدته ؛ فقال أنت أشعر الناس . قال الحسن بن موسى : وقالت الأَوْس : لم يَزِدْ قيس بن الخطيم النابغةَ على : [من الطويل]

أتعرف رَسْماً كاطّرادِ المذاهبِ

نصف البيت ، حتى قال أنت أشعر الناس .

[صفاته الجثمانية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال قال سليمان بن داود المُجَمِّعيّ : كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أُدْعج[2] العينين أحمر الشفتين برّاق الثّنايا كأن بينها بَرقاً ، ما رأته حليلة رجل قطُّ إلاّ ذهب عقلُها .

[أمر حسّان الخنساء بهجوه فأبت]

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعيّ قال : قال حسّان بن ثابت للخنساء : اهْجِي قيس بن الخطيم ؛ فقالت : لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه . قال : فجاءته يوماً فوجدته في مَشْرَقَةٍ[3] ملتفّاً في كِساء له ، فنخَسَتْه برجلها وقالت : قم ، فقام ؛ فقالت : أدبِرْ ، فأدبر ؛ ثم قالت : أقبِلْ ، فأقبل . قال : والله لكأنّها تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد إلى حاله نائماً ؛ فقالت : والله لا أهجو هذا أبداً .

[عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام]

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعب قال : كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزيد بن سِنان بن كُرَيز[4] بن زَعُوراء فأسلمتْ ، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها ، فلمّا قدِم قيس مكّة عرَض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة ؛ فسأله رسول الله ﷺ أن يجتنب زوجته حواءَ بنت يزيد ، وأوصاه بها خيراً ، وقال له : إنّها قد

1 ل : حتى أتى على آخرها . (وهي في 38 بيتاً في الديوان) .
2 الدعج : شدّة سواد العين مع سعتها .
3 المشرقة : حيث يتشرّق الإنسان ، أي يجلس في الشمس شتاء .
4 ل : كرز .

أسلمت ؛ ففعل قيس وحفظ وصيّة رسول الله ﷺ ؛ فبلغ رسول الله ﷺ ، فقال : «وفى الأُدَيْعِجُ» .

قال أبو الفرج وأحسَب هذا غلطاً من مصعَب ، وأنّ صاحبَ هذه القصّة قيس بن شمّاس ، وأمّا قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة .

[قتله الخزرج بينهم]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحويّ عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ حرب الأَوْس والخَزْرَج لّما هدأت ، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم ، فتوامروا[1] وتواعدوا قتله ؛ فخرج عشيَّةً من منزله في مُلاءتين يريد مالاً له بالشَّوْط[2] حتى مرّ بأُطُمٍ[3] بني حارثة ، فرُميَ من الأطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها في صدره ، فصاح صَيحةً سمعها رهطه ، فجاؤوا فحملوه إلى منزله ، فلم يَرَوْا له كُفْئاً إلاّ أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مُدرِك النَّجَّاريّ ، فاندسَّ إليه رجل حتى اغتاله في منزله ، فضرب عُنُقه واشتمل على رأسه ، فأتى به قيساً وهو بآخر رَمَق ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس قد أدركت بثأرك ؛ فقال : عضَضْتَ بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة ؛ فقال : هو أبو صعصعة ، وأراه الرأس ؛ فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .

[مهاجاته حسّان]

وهذا الشعر أُغنّي : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها[4]

فيما قيل يقوله قيس في عَمْرة بنت رَواحة ، وقيل : بل قاله في عَمرة : امرأةٍ كانت لحسّان بن ثابت ، وهي عمرة بنت صامت بن خالد . وكان حسّان ذكر ليلى بنت الخَطيم في شعره ، فكافأه قيس بذلك ، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرَّبيع[5] .

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني مصعب قال : مَرّ حسّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم ، وقيس بن الخطيم أخوها بمكّة حين خرجوا يطلبون الحلْفَ في قريش ، فقال لها حسّان : اظعَني فالحَقي بالحيّ فقد ظعَنوا ، وليت شعري

---

1 توامروا : لغة في تآمروا ؛ وفي ل : تذامروا أي حضّ بعضهم بعضاً .

2 الشوط : ذكر ياقوت أنّه بستان بالمدينة .

3 الأطم : البناء الحصين .

4 عجز البيت : فتهجر أم شأننا شانها ، وهي فيما يقال ردّ على قصيدة حسّان «لقد هاج نفسك أشجانها» وسيرِد تفصيل ذلك فيما بعد .

5 من أيّام الأوس والخزرج.

ما خلَّفكِ وما شأنُك : أَقلّ ناصرُك أم راث[1] رافدُكِ ؟ فلم تكلّمه وشتَمه نساؤها ؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه[2] : [من المتقارب]

لقد هـاج نفسَك أَشْجانُها وعاودها اليـومَ أَدْيانُها[3]

تذكرتَ ليلى وأنَّى بهـا إذا قُطِّعتْ منـك أَقْرانـُها

وحَجَّـلَ في الدارِ غِرْبانـُها وخَفَّ مـن الدار سُكَّانـُها

وغيَّرها مُعْصِراتُ الرِّياحِ وسَحُّ الجَنُـوب وتَهْتانـُها

مَهاةٌ من العِينِ تَمْشي بها وتَتْبَعُهـا ثَـمّ غِـزْلانـُها

وقفـتُ عليهـا فساءلتُها وقد ظعَنَ الحيُّ : ما شانـُها

فعَيَّـتْ وجاوبنـي دونَها بمـا راع قلبـيَ أعوانـُها

وهي طويلة . فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها

وفخَر فيها بيوم الرُّبيع وكان لهم فقال : [من المتقارب]

ونحن الفوارسُ يـومَ الرُّبيـ ـع قد علِمُوا كيف فُرْسانُها

حِسانُ الوجوه حِدادُ السيو فِ يَبْتَدِرُ المجـدَ شُبَّانُها

وهي أيضاً طويلة .

[غنّت عزّة الميلاء بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثني شيخ قدِم من المدينة ، وأخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غَسّان عن أبي السائب المخزوميّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال ذُكِر لي عن جعفر بن مُحرز السَّدُوسيّ ، قالوا : دخل النُّعمان بن بَشير الأنصاريّ المدينةَ أيّام يزيد بن معاوية وابنِ الزُّبير ، فقال : والله لقد أخْفَقتْ[4] أُذُنايَ من الغناء فأَسْمِعُوني ؛ فقيل له : لو وجَّهتَ إلي عَزّة فإنّها من قد عرفتَ ؛ قال : إي وربِّ البيت ، إنّها لَمَنْ يزيدُ النفسَ طِيباً والعقل شَحْذاً ، ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبَتْ صِرنا إليها ؛ فقال له بعض القوم : إنّ النُّقْلة تشتدُّ

1 راث : تأخّر وتلكّأ .

2 ديوان حسّان : 239–240 .

3 الدين هنا بمعنى العادة .

4 أخفقت هنا : حُرِمَتْ .

عليها لِثِقَل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها ؛ فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوادج ! فوجَّه إليها بنجيب فذكرت علّة ، فلمّا عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبَر بها ، قوموا بنا ؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرَقوها ، فأذِنتْ وأكرمتْ واعتذرتْ ، فقبل النعمان عُذرها وقال : غنّيني ، فغنّته : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها

فأشير إليها أنّها أُمُّه فسكتت ؛ فقال : غنّيني فوالله ما ذكرتِ إلاّ كراماً وطِيباً ؛ لا تغنّيني سائر اليوم غيره ؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

وتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن ؛ قال قال لقيط : كنت عند سعيد الزبيريّ قال سمعت عامراً الشعبيّ يقول : اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عَزَّة ، فلمّا انصرف إذا امرأةٌ بالباب منتظرة له ، فلمّا خرج شكت إليه كثرة غِشْيان زوجها إيّاها ؛ فقال لها النعمان بن بشير : لأَقضينّ بينكما بقضيّة لا تُردّ عليّ ، قد أحلّ الله له من النساء مَثْنى وثُلاث ورُباع ، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل . فهذا يدلّ على أنّ المغنيَّة بهذا الشعر عمرة بنت رواحة[1] .

وأمّا ما ذُكر أنّه عَنى عَمْرة امرأةَ حسّان بن ثابت ، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بَكّار عن عمّه : أنّ قيس بن الخطيم لمّا ذكر حسّانُ أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة ، وهي التي يقول فيها حسّان[2] : [من الرمل]

أَزمعتْ عَمرة صرْماً فابتكِرْ

[حسّان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعب قال : تزوّج حسّان بن ثابت عمرة بنت الصامت بن خالد بن عطيّة الأَوْسيَّة ثم إحدى بني عمرو بن عوف ، فكان كلّ واحد منهما معجباً بصاحبه ، وإنّ الأَوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأَسْلَت : [من الوافر]

أجرتُ مخلَّدا ودفعتُ عنه وعندَ اللهِ صالحُ ما أتيتُ

فتكلّم حسّان في أمره بكلام أغضب عمرة ، فعيّرته بأخواله وفخَرت عليه بالأوس ؛ فغضب لهم فطلّقها ، فأصابها من ذلك ندم وشدّة ؛ وندم هو بعدُ فقال : [من الرمل]

---

1 لأنّ عمرة بنت رواحة هي أمّ النعمان بن بشير .

2 ديوان حسّان : 307 وفيه : أجمعت عمرة ، وهي في 21 بيتاً .

صوت

أزمعتْ عمرةُ صرماً فابتكِرْ إنّما يُدهِنُ للقلبِ الحَصِرْ[1]
لا يكن حبُّكِ حبّاً ظاهراً ليس هذا منكِ يا عَمْر بسِرّ[2]
سألتْ حَسّانَ مَن أخوالُه إنّما يَسأل بالشيء الغُمُرْ[3]
قلتُ أخوالي بنو كَعبٍ إذا أسلمَ الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ

يريد يُدهِن القلبُ ، فأدخل اللام زائدةً للضرورة . عَمْر : ترخيم عمرة . والسر : الخالص الحَسَن . غنَّت في هذه الأبيات عزّة المَيلاء ثاني ثقيل بالبِنصر من رواية حَبَش .

وتمام القصيدة : [من الرمل]

رُبَّ خالٍ ليَ لو أبصرتِه سَبِطِ المِشْية في اليوم الخَصِرْ
عند هذا الباب إذ ساكِنُه كلُّ وجهٍ حسنِ النّقْبَة حُرّ[4]
يُوقِدُ النارَ إذا ما أُطْفِئَتْ يُعْمِلُ القِدْرَ بأثْباج الجُزُرْ
مَن يَغُرُّ الدهرُ أو يأمنُه من قَبيلٍ بعد عمروٍ وحُجُرْ[5]
ملَكا مِنْ جبلِ الثلجِ إلى جانِبَيْ أيلَةَ من عبدٍ وحُرّ
ثم كانا خيرَ من نالَ النَّدى سبَقا الناسَ بإقساطٍ وبِرّ[6]
فارِسَيْ خيلٍ إذا ما أمسكتْ ربّةُ الخِدْرِ بأطرافِ السُّتُرْ
أتَيا فارسَ في دارهمُ فتناهَوْا بعد إعصارٍ بِقُرّ
ثم نادَوْا يا لَغَسّانَ اصبِرُوا إنّه يومُ مَصاليتَ صُبُرْ[7]
اجعلوا مَعْقلَها أيمانَكم بالصَّفِيح المُصْطَفى غيرِ الفُطُرْ[8]
بِضَرابٍ تأْذَن الجِنُّ له وطِعانٍ مثلِ أفْواه الفُقُرْ[9]

---

1 يدهن للقلب يريد يدهن القلب بمعنى يداهن .
2 ظاهراً في ل : قاهراً .
3 الغمر : الجاهل .
4 النقبة : حالة وضع النقاب .
5 قبيل في ل : قتيل .
6 الندى في ل : الغنى . إقساط : عدالة .
7 مصاليت : شجعان .
8 السيف الفطير : المثلم .
9 تأذن : تسمع . الفقر : أفواه القنوات .

ولقـد يعلَـم مَـنْ حارَبنـا أنّنـا ننفـعُ قِدْمـاً ونَضُرّ
صُبُرٌ للمـوت إن حَـلَّ بنا صادِقُو البأسِ غَطارِيفُ فُخُرْ
وأقـام العـزُّ فينـا والغِنَى فلنـا فيـه على الناسِ الكُبُرْ
منهم أُصْلِي فمن يفْخَرْ بـه يَعرِفُ الناسُ بفخـرِ المفتخِرْ[1]
نحن أهـلُ العـزِّ والمجدِ معاً غيرُ أنكاسٍ ولا مِيـلٍ عُسُرْ[2]
فاسألوا عنّـا وعـن أفعالنـا كلُّ قومٍ عندهـم علمُ الخَبَرْ[3]

قال الزبير فحدّثني عمِّي قال : ثم إنّ حسّان بن ثابت مرّ يوماً بنسوة فيهنّ عمرة بعد ما طلّقها ، فأعرضتْ عنه وقالت لامرأة منهنّ : إذا حاذاكِ هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبيه وانسُبي أخوالَه وهي متعرِّضة له ، فلمّا حاذاهنّ سألْته مَنْ هو ونسَبَتْه فانتسب لها ، فقالت : فمَنْ أخوالُك ؟ فأخبرها ، فبصقتْ عن شِمالها وأعرضتْ عنه ؛ فحدّد النظرَ إليها وعجِب من فعلها وجعل ينظر إليها ، فبصُر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أنّ الأمر من قِبَلها أتى ؛ فقال في ذلك[4] : [من الكامل]

قالـتْ لـه يومـاً تخاطِبُه رَيّـا الروادفِ غـادَةُ الصُّلبِ
أمّـا المـروءةُ والوَسامةُ أو حُشُم الرجالِ فقد بدا ، حَسْبِي
فوَدِدْتُ أنّكَ لـو تُخبِّرنـا مَنْ والداكَ ومنصِبُ الشَّعْبِ[5]
فضحكتُ ثـم رفَعتُ متَّصِلاً صوتي كرَفعِ المنطق الشَّغْبِ[6]
جَـدِّي أبـو لَيْلى ووالـدُه عمرٌو وأخوالِـي بنـو كَعْبِ
وأنـا مـن القـومِ الذيـنَ إذا أزَم الشتاءُ بحَلْقـة الجَدْبِ[7]
أعطى ذوو الأمـوالِ مُعْسِرَهم والضاربـين بمَوْطِـنِ الرُّعْبِ

قال مصعب : وأبو ليلى الذي عناه حسّان : حَرام بن عمرو بن زَيد مَناة .

1 يعرف : يعترف .
2 النكس : الضعيف .
3 أفعالنا في ل : أخبارنا .
4 ديوان حسّان : 230 .
5 الشغب : مجمع القبائل .
6 كرفع في ل : أوان .
7 بحلقة في ل والديوان : محالف .

وممّا فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

صوت

حَوْراءُ مَمْكــورةٌ منعَّمةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[1]

تنامُ عن كُبْرِ شأنهــا فإذا قامتْ رُويداً تكاد تنقصفُ[2]

أوحشَ من بَعدِ خُلَّةٍ سَرِفُ فالْمُنحنى فالعَقيقُ فالجُرُفُ

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث ، والغناء لقَفا النَّجّار ، ولحنُه المختار ثاني ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن عليٍّ في الاختيار الواثقيّ . وهو في كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، ولعلّه غير هذا اللحن المختار .

[الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمرو بن عوف]

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حربٍ كانت بينهم وبين بني جَحْجَبى وبني خَطْمَةَ ، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره ، وإنّما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له : دِرْهم بن يَزيد . قال أبو المِنهال عُتيبةُ بن المِنهال : بعث رجل من غَطَفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان إلى يثرب بفرسٍ وحُلّةٍ مع رجل من غَطَفان وقال : ادفعهما إلى أعزّ أهلِ يثرب ، قال وقيل : إنّ الباعث بهما عبد ياليل بن عمرو الثَّقَفيّ . قال وقيل : بل الباعث بهما علقمة بن عُلاثة ، فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قَيْنُقاع فقال ما أُمِر به ، فوثب إليه رجلٌ من غطَفان كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخزرجيّ يقال له كعب الثعلبيّ ، فقال : مالك بن العَجْلان أعزّ أهل يثرب ؛ وقام رجل آخر فقال : بل أُحَيحة بن الجُلاح أعزّ أهل يثرب ، وكثر الكلام ، فقَبِل الرسول الغطَفانيّ قول الثعلبيّ الذي كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما إلى مالك ؛ فقال كعب الثعلبيّ : ألم أقل لكم : إنّ حَليفي أعزُّكم وأفضلُكم ! فغَضِب رجلٌ من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير فرصد الثعلبيّ حتى قتله ، فأُخبر مالك بذلك ، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك ابن الأوس : إنّكم قتلتم منّا قتيلاً فأَرسِلوا إلينا بقاتله ؛ فلمّا جاءهم رسولُ مالك تَرامَوْا به : فقالت بنو زيد : إنّما قتلتْه بنو جَحْجَبى ، وقالت بنو جَحْجَبى : إنّما قتلتْه بنو زيد ؛ ثم أرسلوا إلى مالك : إنّه قد كان في السوق التي قُتِل فيها صاحبكم ناسٌ[3] كثير ، ولا يُدرى أيُّهم قتَله ؛ وأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا ، فلم يبق فيها غيرُ سُمَير وكعب ، فأرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال : إنّما قتله سُمَير ، فأَرسِلوا به إليّ أقتلْه ؛ فأرسلوا

---

1 الشطر الأول في ديوان قيس : «تغترق الطرف وهي لاهية» .

2 تنقصف في الديوان : تنغرف ، أي تسقط .

3 ل : خلق .

إليـه : إنّه ليس لك أن تقتل سُمَيراً بغير بيّنة ؛ وكَثُرت الرسل بينهم في ذلك : يسألهم مالك أن يعطوه سُميراً ويأبـوْن أن يُعطوه إيّاه . ثم إنّ بني عمرو بن عوف كَرِهوا أن يُنشِبوا بينهم وبين مالك حرباً ، فأرسلوا إليه يَعرِضون عليه الدِّيَة فقبِلها ؛ فأرسلوا إليه : إنّ صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلاّ نصف الدية ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلاّ الدية كاملةً أو يقتل سُميراً ؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلاّ ديةَ الحليف وهي نصف الدية ، ثم دعوه أن يَحكم بينهم وبينه عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَواحة ففعل ؛ فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن العجْلان أنّه ليس له في حليفه إلاّ دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضباً حين ردّ قضاءَ عمرو بن امرىء القيس ؛ فقال مالك بن العجْلان يذكر خِذلان بني الحارث بن الخزرج له وحَدبَ بني عمرو بن عوف على سُمَير ، ويحرِّض بني النجّار على نُصرته : [من المنسرح]

إنّ سُمَيـراً أرى عشيرتَـه ... قـد حَدِبُوا دونَـه وقـد أَنِفُوا

إن يكن الظنُّ صادقاً بني النَّـ ... ـجّار لا يَطْعَمُوا الذي عُلِفُوا

لا يُسْلِمُونـا لمعشرٍ أبـداً ... مـا دامَ منّـا ببَطْنِها شَرَفُ[1]

لكنْ مَوالِـيَّ قـد بـدا لهـمُ ... رأيٌ سِوى ما لديَّ أو ضَعُفُوا

[يقال : عُلفوا الضيمَ إذا أقرُّوا به ، أي ظنّي أنّهم لا يقبلون الضيم] .

صوت

[من المنسرح]

بينَ بنـي جَحْجَبى وبين بني ... زيـدٍ فأنّى لجـاريَ التَّلَفُ[2]

يمشون في البَيْض والدروع كما ... تمشي جِمالٌ مَصاعبٌ قُطُفُ[3]

كما تَمَشّى الأسودُ في رَهَج الـ ... ـموتِ إليـه وكلُّهـم لَهِفُ

غنّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيلٍ عن إسحاق ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل للغريض .

وقال درهم بن يزيد بن ضُبيعة أخو سُمَير في ذلك[4] : [من المنسرح]

---

1 شرف : شريف .

2 فأنّى لجاري التّلف في ل : فأنى تخاذل السلف .

3 مصاعب : جمع مصعب وهو الجمل الذي لم يذلل للركوب أو الحمل . وقطف : سريعة .

4 الأبيات في الخزانة 4 : 280 .

يا قـومِ لا تقتلوا سُميراً فإنَّ القتلَ فيـه البَـوارُ والأسفُ
إن تقتُلوه تَـرِنَّ نِسْوتُكـم على كريمٍ ويَفْـزَعِ السَّلَفُ[1]
إنّي لعَمرُ الذي يَحُجُّ لـه النـ ـاسُ ومـن دون بيتِه سَرِفُ
يمـينُ بَـرٍّ باللهِ مجتهـدٍ يَحْلِف إن كان ينفعِ الحَلِفُ
لا نرفَـعُ العبدَ فـوقَ سُنّتِه ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ
إنّـكَ لاقٍ غـداً غُواةَ بني عمّيَ فانظرْ ما أنتَ مُزْدَهِفُ[2]
فأَبْـدِ سِيمَـاكَ يَعْرِفوكَ كما يُبْدُون سِيمَاهـمُ فَتعترِفُ

معنى قوله «فأبد سيماك» : أنّ مالك بن العجْلان كان إذا شهد الحرب يغيِّر لباسه ويتنكّر لئلاّ يُعرف فيُقصَد .

وقال درهم بن يزيد في ذلك :

يا مـالِ لا تَبْغِـينْ ظُلامتَنا يـا مـالِ إنّـا مَعاشِرٌ أنُفُ
يا مـالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به فيـه وفينـا لأمرنـا نَصَفُ
إنّ بُجَيراً عبـدٌ فخُـذْ ثمناً فالحـقُّ يُوفَـى بـه ويُعترفُ
ثم اعلَمنْ إن أردتَ ضَيْمَ بني زَيدٍ فإنّـي ومَـنْ لـه الحَلِفُ
لأُصْبِحَنْ دارَكم بـذي لَجَبٍ جَوْنٍ لـه مـن أمامِه عَزَفُ[3]
البَيْضُ حِصْنٌ لهـم إذا فَزِعُوا وسابِغـاتٌ كأنّهـا النُّطَفُ[4]
والبِيضُ قـد ثُـلّمت مضاربُها بهـا نفوسُ الكُماةِ تُختطَفُ[5]
كأنّـها في الأكـفِّ إذ لَمعتْ وَمِيضُ برقٍ يبدو وينكسفُ

وقال قيس بن الخطيم الظَّفَريّ أحد بني النَّبيت في ذلك ، ولم يدركه وإنّما قاله بعد هذه الحرب بزمان ، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور : [من المنسرح]

رَدّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا مـاذا عليهم لـو أنّهم وقَفُوا

1 ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهنّ بالبكاء .
2 مزدهف : مقتحم .
3 عزف : عزيف أي صوت .
4 النطف : اللؤلؤ الصافي أو الماء .
5 ثلمت في ل : فللت .

لـو وَقفـوا ساعـةً نسائلُهم ... رَيْث يضحّي جمالَـه السَّلَفُ
فيهم لَعُوبُ العِشاءِ آنسةُ الدّ ... ل عَـرُوب يَسُوءها الخُلُفُ
بــين شُكُول النساءِ خِلقَتُها ... قَصْدٌ فـلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[1]
تنــامُ عــن كُبْر شأنِهـا فإذا ... قامت رُويـداً تكاد تَنْغَرِفُ[2]
تَغْترِقُ الطرفَ وهــي لاهيةٌ ... كأنّما شفَّ وجهَهـا نُزُفُ
حَوْراء جَيْـداءُ يُستضاء بها ... كأنّها خُـوطُ بانـةٍ قَصِفُ
قضى لها اللهُ حين صَوّرها الـ ... ـخالقُ أن لا يُكِنَّها سَدَفُ[3]
خَوْدٌ يَغِثُّ الحديثُ ما صَمَتتْ ... وهـو بِفيها ذو لـذة طَرِفُ[4]
تخزنُـه وهـو مشتهىً حسَنٌ ... وهــو إذا ما تكلمت أُنُفُ[5]

وهي طويلة يقول فيها : [من المنسرح]

أبلغْ بنـي جَحْجَبى وإخوتَهم ... زيـداً بأنّا وراءَهـم أُنُفُ[6]
إنّا وإن قـلّ نصرُنـا لهـمُ ... أكبادُنـا مـن ورائِهِمْ تَجِفُ
لّمـا بـدتْ نحوَنـا جِباهُهُمُ ... حنَّت إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ[7]
نَفْلِي بحـدّ الصَّفيح هامَهُمُ ... وفَلْيُنا هامَهـم بهـا جَنَفُ[8]
يَتْبَع آثارَهــا إذا اختُلِجَتْ ... سُخْــنٌ عَبِيطٌ عُروقُـه تكِفُ
إنّ بنـي عمِّنـا طغَـوْا وبَغوْا ... ولَجّ منهم في قومِهم سَرَفُ

فردّ عليه حسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك[9] : [من المنسرح]

مـا بـالُ عينيك دمعُهـا يَكفُ ... من ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها قَذَفُ[10]
بانــتْ بهـا غَرْبَـةٌ تـؤمّ بهـا ... أرضاً سِوانــا والشكل مختلِفُ

---

1 جبلة في ل : عبلة .
2 قد مرّ آنفاً برواية «تنقصف» .
3 السدف : الظلمة .
4 لذة في ل : للذة .
5 أنف : مستأنف .
6 أنف : يأبون الضيم .
7 الصحف : كتب العهود .
8 جنف في ل : عنف .
9 ديوان حسان : 387 .
10 عينيك في الديوان : عيني .

مـا كنـتُ أَدْري بوَشْكِ بَيْنهمُ ... حتى رأيتُ الحُدوجَ تَنقذِفُ[1]
دَعْ ذا وَعـدِّ القَرِيضَ في نَفَـرٍ ... يَرْجُون مدحي ومدحيَ الشرفُ[2]
إن تَـدْعُ قومـي للمجد تُلْفِهُمُ ... أهـلَ فَعـالٍ يبدو إذا وُصِفُوا
إنّ سُمَيراً عبـدٌ طغَـى سَفَهـاً ... ساعـده أعبُـدٌ لهـم نَطَفُ[3]

قال : ثم أرسَل مالكُ بن العَجْلان إلى بني عمرو بن عوف يُؤْذِنُهم بالحرب ، ويَعِدُهم يوماً يلتقون فيه ، وأمَر قومَه فتهيَّأوا للحرب ، وتحاشد الحيّان وجمع بعضهم لبعض . وكانت يَهُودُ قد حالفتْ قبائلَ الأَوْس والخَزْرج ، إلاّ بني قُرَيظة وبني النَّضِير فإنّهم لم يحالفوا أحداً منهم ، حتى كان هذا الجمع ، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج ، كلٌّ يدعوهم إلى نفسه ، فأجابوا الأَوسَ وحالفوهم ، والتي حالفتْ قُرَيظةُ والنَّضيرُ من الأَوسِ أوسُ اللهِ وهي خَطْمَةُ وواقِفُ وأُمَيّةُ ووائلُ ، فهذه قبائلُ أوسِ الله . ثم زحَف مالكٌ بمن معه من قومه من الخزرج ، وزَحفت الأوسُ بمن معها من حلفائها من قُريظة والنضير ، فالتقوْا بفضاء كان بين بئر سالِم وقُباء ، وكان أوّل يوم التَقوْا فيه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وهم منتصِفون جميعاً ، ثم التقوْا مرّة أُخرى عند أُطُمِ بني قَيْنُقاع ، فاقتتلوا حتى حَجز الليلُ بينهم ، وكان الظَّفَر يومئذٍ للأوس على الخزرج ، فقال أبو قيس ابن الأَسلَت في ذلك : [من البسيط]

لقد رأيتُ بني عمرٍو فمـا وهَنُوا ... عند اللقاء ومـا هَمُّوا بتكذيبِ
ألا فِـدًى لهـمُ أُمِّي وما ولَدتْ ... غداةَ يَمْشُون إرْقـالَ المَصاعيبِ
بكـلِّ سَلْهَبـةٍ كالأَيْـمِ ماضيةٍ ... وكلِّ أبيضَ ماضي الحدّ مخشوبِ[4]

أصل المخشوب : الحديث الطبع ، ثم صار كلّ مصقول مخشوباً ؛ فشبّهها بالحيّة في انسلالها ، قال : فلبث[5] الأَوسُ والخزرج متحاربيْن عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون[6] القتالَ في تلك السنين ، وكانت لهم فيها أيّامٌ ومواطنُ لم تُحفظ ، فلمّا رأت الأَوسُ طولَ الشرّ وأنّ مالكاً لا ينزِع[7] ، قال لهم سُوَيد بن صامتِ الأوسيّ ، وكان يقال له الكاملُ في الجاهلية ،

1 تنقذف في الديوان : قد عزفوا .
2 الشطر الثاني في الديوان : يدعون مجدي ومدحتي شرف .
3 النطف : الأقراط .
4 السلهبة : الفرس الطويلة .
5 ل : فمكث .
6 ل : يتعاورون .
7 ينزع : يكفّ .

وكان الرجل عند العرب[1] إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمَّوْه الكامل ، وكان سويدٌ أحدَ الكَمَلة : يا قوم ، أَرْضُوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضاً ويطمع فيكم غيرُكم ، وإن حَملْتُم على أنفسكم بعض الحَمْل . فأرسلت الأَوسُ إلى مالك بن العَجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المُنذر بن حرام أبو حسّان بن ثابت ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا حتى أَتَوْا ثابت بن المنذر ، وهو في البئر التي يقال لها سُمَيْحة ، فقالوا : إنّا قد حَكّمناك بيننا ؛ فقال : لا حاجةَ لي في ذلك ؛ قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردّوا حُكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرىء القيس ؛ قالوا : فإنا لا نردّ حكمَك فاحكم بيننا ؛ قال : لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لَتَرضَون بحكمي وما قضيتُ به ولَتُسْلِمُنّ له ؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، فحكم بأن يُودى حليفُ مالكٍ ديةَ الصريح ثم تكون السنّة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على ديته والحليف على ديته ، وأن تُعَدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعضٌ ببعض ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين ، فرضي بذلك مالكٌ وسلَّمت الأَوسُ وتفرّقوا على أنّ على بني النَّجّار نصف دية جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفَها ؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنّهم لم يُخرِجوا إلاّ الذي كان عليهم ، ورأى مالكٌ أنّه قد أدرك ما كان يطلب ، ووُدِيَ جارُه ديةَ الصريح . ويقال : بل الحاكم المنذر أبو ثابت .

1 ل : وكان الرجل في الجاهلية .

[20] ـ ذكر طُوَيس وأخباره[1]

[اسمه وكنيته]

طُوَيْس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيّرها المخنَّثون فجعلوها أبا عبد النَّعِيم ، وهو مولى بني مخزوم . وقد حدّثني جَحظة عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد : قال سعد بن أبي وَقّاص : كُنيَ طويس أبا عبد المُنعِم .

[أوّل من غنّى بالعربية في المدينة]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبي ومحمد بن سَلاَّم الجُمَحِيّ ، وعن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد ؛ وعن المدائنيّ عن زيد بن أَسْلَم عن أبيه ، وعن ابن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مِسكين ؛ قالوا : أوّل من غنَّى بالعربيّ بالمدينة طويسٌ ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها ، وكان طويلاً أحول يُكنى أبا عبد المنعم ، مولى بني مخزوم ، وكان لا يضرب بالعود ، إنّما كان ينقُر بالدُّف ، وكان ظريفاً عالِماً بأمر المدينة وأنساب أهلها ، وكان يُتَّقى للسانِه .

[شؤمه]

قالوا : وسئل عن مولده فذكر أنّه وُلِد يوم قُبض رسول الله ﷺ ، وفُطم يوم مات أبو بكر ، وخُتن يوم قتل عمر ، وزُوّج يوم قتل عثمان ، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين . قال وقيل : إنّه وُلد له يوم مات الحسن بن عليّ عليهما السلام . وقال : وكانت أمّي تمشي بين نساء الأنصار بالنَّميمة . قالوا : وأوّل غناء غنّاه وهزِج به : [من مجزوء الرمل]

صوت

كيف يأتــي مــن بعيـدٍ ... وهــو يُخْفيـه القريـبُ
نـــازحٌ بـالشأم عنّـا ... وهــو مِكْسالٌ هَيُـوبُ
قــد بـَراني الحـبُّ حتى ... كدتُ من وَجْدِي أَذُوبُ

الغناء لطُويس هزجٌ بالبنصر .

قال إسحاق : أخبرني الهيثم بن عديّ قال قال صالح بن حسّان الأنصاريّ أنبأني أبي قال : اجتمع يوماً جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً ، فقالوا : كان وكان ؛ فقال رجل منّا : أمَا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علماً وظَرْفاً وحسنَ غناء وجودة نَقْرٍ

---

1 تجد له ذكراً في كتب الأمثال تحت قولهم «أخنث من طويس» (الميداني 1 : 137 والدرة الفاخرة : 1 : 185) . وقولهم «أشأم من طويس» (الدرّة 1 : 235 ومادة (طوس) في اللسان) .

بالدفّ ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى ؛ فقال بعض القوم : والله إنّه على ذلك كان مشؤوماً[1] ؛ وذكر خبَر ميلاده كما قال الواقديّ ، إلاّ أنّه قال : وُلِد يوم مات نبيّنا ﷺ ، وفُطِم يوم مات صدِّيقُنا ، وخُتن يوم قُتِل فاروقنا ، وزُوِّج يوم قُتل نورُنا ، ووُلد له يوم قُتل أخو نبيّنا ؛ وكان مع هذا مخنَّثاً يَكِيدنا ويطلب عَثَراتنا ؛ وكان مُفْرِطاً في طوله مضطرباً في خَلقه أحولَ . فقال رجل من جِلّة أهل المجلس : لئن كان كما قلت لقد كان مُمتِعاً فَهِماً يُحسن رعاية من حفظ له حقَّ المجالسة ، ورعاية حُرمة الخدمة ، وكان لا يحمِل قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له .

[كان يحبّ قريشاً ويحبّونه]

ولقد كان مُعظِّماً لمواليه بني مخزوم ومَن والاهم من سائر قريش ، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحكيك به ؛ وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم ، والظالم الملوم ، والبادىء أظلم . فقال رجل آخر : لئن كان ما قلتَ لقد رأيت قريشاً يَكتنفونه ويُحدِقون به ويُحبّون مجالسته ويُنصِتون إلى حديثه ويتمنَّوْن غناءه ، وما وضعه شيء إلاّ خَنَثُه ، ولولا ذلك ما بقي رجل من قريش والأنصار وغيرهم إلاّ أدناه .

[كان يلقّب بالذائب]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِياط قال : كان أوّل من تغنَّى بالمدينة غناءً يدخُل في الإيقاع طُوَيس ، وكان مولده يوم مات رسول الله ﷺ ، وفِطامه في اليوم الذي توفِّي فيه أبو بكر ، وخِتانه في اليوم الذي قُتل فيه عمر ، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان ، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين ، ووُلد وهو ذاهب العين اليمنى . وكان يلقَّب بالذائب ، وإنّما لقّب بذلك لأنّه غنّى : [من مجزوء الرمل]

قــد بــراني الحبُّ حتى كدتُ من وَجْدِي أذُوبُ

[مروان بن الحكم والنغاشي المخنّث]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال : كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغاشيّ ، فقيل لمَروان بن الحكم : إنّه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً ، فبعث إليه يومئذٍ ، وهو على المدينة ، فاستقرأه أمَّ الكتاب : فقال : والله ما معي بناتُها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمَّهنّ ؟ فقال : أتهزأ لا أمَّ لك ؟ فأمر به فقُتل في موضع يقال له بَطحان[2] ، وقال : من جاءني بمخنَّث فله عشرة دنانير .

---

1 ل : لمشؤوم .

2 بطحان : واد بالمدينة .

[طلبه مروان في المخنّثين ففرّ منه حتى مات]

فأُتِي طُوَيس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة ، وهو يغنّي بشعر حسّان ابن ثابت[1] : [من المتقارب]

لقد هاجَ نفسَك أَشْجانُها ... وعاودها اليومَ أَدْيانُها

تذكَّرتَ هنداً وما ذكرُها ... وقد قُطِّعَتْ منك أَقْرانُها[2]

وقفتُ عليها فساءلتُها ... وقد ظعَنَ الحيُّ ما شأنُها

فصَدَّتْ وجاوب مَنْ دونها ... بما أوجعَ القلبَ أعوانُها

فأُخبر بمقالة مروان فيهم ؛ فقال : أما فضَّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيّ وفيهم أمراً واحداً ؟ ثم خرج حتى نزل السُّويداء ، على ليلتين من المدينة في طريق الشام ، فلم يَزل بها عُمرَه ، وعُمِّر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

[هيت المخنّث وبادية بنت غيلان]

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبيّ قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعَوانة قالا : قال هِيتُ المخنَّث لعبد الله بن أبي أُميّة : إنْ فَتح الله عليكم الطائف فسَل النبيّ ﷺ باديةَ بنت غَيلان بن سلمة بن معتِّب ، فإنّها هيفاء شَموع[3] نجلاء ، إن تكلّمت تغنَّت ، وإن قامت تثنَّت ، تُقبِل بأَربع وتُدبِر بثمان[4] ، مع ثغر كأنّه الأُقحوان ، وبين رجليها كالإناء المكفوء ، كما قال قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

تَغْتَرِقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كأنّما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[5]

بين شُكولِ النساءِ خِلْقَتُها ... قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[6]

فقال النبيّ ﷺ : لقد «غَلْغلتَ النظر يا عدوَّ الله» ، ثم جلاه عن[7] المدينة إلى الحمى . قال هشام : وأوّل ما اتُّخِذت النُّعوش[8] من أجلها . قال : فلمّا فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن

1 قد مرّ هذا الشعر من قبل .
2 هنداً في ل : ليلى وقد تقدّم بهذه الرواية .
3 شموع : ضحوك لعوب .
4 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 5 : 307 ولكنّه أسقط هذه العبارة . وانظر الإصابة 6 : 296 .
5 سبق أن مرّ هذا البيت برواية أُخرى .
6 جبلة في ل : عبلة .
7 ل : عن نظر .
8 النعش هنا : المحفة .

عوف فولدت له بُرَيهة . فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النبيّ ﷺ ؛ فلمّا ولي أبو بكر رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يُردّه ؛ فلمّا وَلِيَ عمر رضي الله عنه كلّم فيه فأبى أن يردّه وقال : إن رأيته لأضربنّ عنقه ؛ فلمّا ولي عثمان رضي الله عنه كُلّم فيه فأبى أن يردّه ؛ فقيل له : قد كبِر وضعُف واحتاج ؛ فأذِن له أن يدخل كلَّ جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه . وكان هيتٌ مولًى لعبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة المخزوميّ ، وكان طُوَيس له ؛ فمن ثمّ قيل الخَنِثُ .

وجلس يوماً فغنّى في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أميّة :

تغترقُ الطرَفَ وهـي لاهيـةٌ

إلى آخر البيتين ؛ فأشير إلى طُوَيس أن اسكتْ ؛ فقال : والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنّما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ في أمّ بُرَيهة ؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال : يا ابن الطاهر ، أوجَدتَ عليّ في نفسك ؟ أُقسِم بالله قسماً حقّاً لا أغنّي بهذا الشعر أبداً .

[ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه]

قال إسحاق وحدّثنا أبو الحسن الباهليُّ الراوية عن بعض أهل المدينة ، وحدّثنا الهيثم بن عديّ والمدائنيّ ، قالوا : كان عبد الله بن جعفر معه إخوان[1] له في عشيّة من عشايا الربيع ، فراحت عليهم السماء بمطر جَودٍ فأسال كلّ شيء ؛ فقال عبد الله : هل لكم في العقيق ؟ وهو متنزَّه أهل المدينة في أيّام الربيع والمطر ، فركبوا دوابَّهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزَّبَد مثل مَدِّ الفُرات ، فإنّهم لينظرون إذ هاجت السماء ، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جُنّة نستجِنُّ بها وهذه سماء خليقة أن تَبُلَّ ثيابنا ، فهل لكم في منزل طُوَيس فإنّه قريب منّا فنستكنّ فيه ويحدّثنا ويُضحكنا ؟ وطويس في النَّظّارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر ؛ فقال له عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : جُعِلت فداءك ؛ وما تريد من طُوَيس عليه غضب الله : مخنَّث شائن لمن عرفه ؛ فقال له عبد الله : لا تقل ذلك ، فإنّه مليح خفيف لنا فيه أُنْس ؛ فلمّا استوفى طُوَيس كلامهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته : وَيحَك ؛ قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس ، فما عندك ؟ قالت : نذبح هذه العَناق[2] ، وكانت عندها عُنَيِّقَة قد ربَّتها باللبن ، واختبز خبزاً رُقاقاً ؛ فبادر فذبحها وعَجنتْ هي . ثم خرج فتلقّاه مقبِلاً إليه ؛ فقال له طُوَيس : بأبي أنت وأُمّي ؛ هذا المطر ، فهل لك في المنزل فتستكنّ فيه إلى أن تكُفَّ السماء ؟ قال : إيّاك أُريد ؛ قال : فامض يا سيدي على بركة الله ، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدّثوا حتى أُدرك الطعام ، فقال : بأبي أنت وأُمّي ، تُكْرِمني إذ دخلت منزلي بأن تتعشّى

1 ل : حداث .

2 العناق : الأنثى من ولد الماعز .

عندي ؛ قال : هات ما عندك ؛ فجاءه بعَناقٍ سمينة ورُقاق ، فأكل وأكل القوم حتى تَملَّؤوا ، فأعجبه طِيب طعامه ، فلمّا غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأُمّي ، أتَمَشَّى معك وأُغنّيك ؟ قال : افعل[1] يا طُوَيس ؛ فأخذ ملحفة فأْتزر بها وأرخى لها ذَنَبَين ، ثم أخذ المُرَبَّع[2] فتمشّى وأنشأ يغنّي : [من الرمل]

يا خَلِيلي نابني سُهُدِي ... لَمْ تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ
كيف تَلْحوني على رجلٍ ... آنسٍ تَلتَـــذُّه كبِـدِي
مثـل ضوء البدرِ طَلْعَته ... ليس بالزُّمَّيْلَة النَّكِدِ[3]

فطرب القوم وقالوا أحسنتَ والله يا طُوَيس . ثم قال : يا سيدي ، أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ، ما أدري لمن هو ، إلاّ أنّي سمعت شعراً حسناً ؛ قال : هو لفارعة بنت ثابت أخت حسّان بن ثابت وهي تتعشّق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر ؛ فنكّس القوم رؤوسهم ، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره ، فلو شُقَّت الأرض له لدخل فيها .

[عرّض بسعيد بن عبد الرحمن في شعر]

قال وحدّثني ابن الكلبيّ والمدائنيّ عن جعفر بن محرز قال : خرج عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، إلى السويداء وخرج الناس معه ، وقد أُخِذت المنازل ، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأْب اللَّيثيّ وسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ ، فلقيهما طويس فقال لهما : بأبي أنتما وأُمّي ؛ عرِّجا إلى منزلي ؛ فقال يزيد لسعيد : مِل بنا مع أبي عبد النَّعيم ؛ فقال سعيد : أين تذهب مع هذا المخنَّث ؛ فقال يزيد : إنّما هو منزل ساعة فمالا ، واحتمل طُوَيس الكلام على سعيد ، فأتيا منزله فإذا هو قد نضحه ونصَّعه[4] ، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء ؛ ثم قال سعيد : لو أسمعتنا يا أبا عبد النَّعيم ؛ فتناول خريطة فاستخرج منها دُفّاً ثم نقره وقال : [من الرمل]

يا خَليلي نابَنِـي سُهُدِي ... لم تَنَمْ عينِـي ولم تَكَدِ
فشَرابِي مــا أُسيغُ وما ... أَشْتَكِي مــا بي إلى أحدِ

---

1 ل : بلى .
2 المربع : دفّ هذا شكله .
3 الزميلة : الضعيف الرذل .
4 ل : ونضده .

كيف تَلْحُوني على رجلٍ ... آنسٍ تلتـــذّه كبِـــدِي
مثـــلُ ضوءِ البدرِ صورتُه ... ليس بالزُّمَّيْلَـــةِ النَّكِدِ
من بنـــي آل المُغِيرة لا ... خامـــلٍ نِكْسٍ ولا جَحِدِ
نظرتْ يومـــاً فلا نظرتْ ... بعـــدَه عينـــي إلى أحدِ

ثم ضرب بالدفّ الأرض ؛ فقال سعيد : ما رأيت كاليوم قطّ شعراً أجود ولا غناءً أحسن منه ؛ فقال له طُوَيس : يا ابن أبي الحُسام ، أتدري مَن يقوله ؟ قال : لا ؛ قال : قالته عمَّتُك خولة بنت ثابت تُشَبِّب بعُمارة بن الوليد بنِ المغيرة المخزوميّ ؛ فخرج سعيد وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ مثل ما استقبلني به هذا المخنَّث ؛ والله لا يُفلِتُني ! فقال يزيد : دَع هذا وأَمِتْه ولا ترفع به رأساً . قال أبو الفرجِ الأصبهانيّ : هذه الأبيات ، فيما ذكر الحرميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار ، لابن زهير المخنَّث .

[مدح ابن سريج غناءه]

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش ، وابن الكلبيّ عن أبي مسكين قالا : قدِم ابن سريج المدينة فغنّاهم ، فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كلّ مَنْ غنّى ، وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم يقولون ذلك ، فاستخرج دُفّـاً من حِضنِه ثم نقَر به وغنّاهم بشعر عُمارة بن الوليد المخزوميّ في خولة بنت ثابت ، عارضها بقصيدتها فيه : [من الرمل]

يا خليلي نابنـي سُهُدِي ... لم تَنَـمْ عَيْنِـي ولم تكَدِ

وهو :

تَناهى فيكُـم وَجْـدِي ... وصدَّع حبُّكم كِبْدِي
فقلبي مُسْعَـرٌ حزنـاً ... بذات الخـالِ في الخدِّ
فما لاقـى أخـو عشقٍ ... عَشِيرَ العُشْرِ من جَهْدِي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال : والله هذا أحسنُ الناس غناء .

أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدّثنا إسماعيل بن مجمِّع قال حدّثني المدائنيّ قال : قدِم ابن سريج المدينة فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون : أنت والله أحسنُ الناس غناء ، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمعهم وما يقولون ، فاستلّ دُفَّه من حِضنه ونقره وتغنّى : [من مجزوء الكامل]

إنّ المُخنَّبَـــةَ التـــي ... مَـــرَّتْ بنا قبل الصَّباحِ
في حُلَّـــةٍ مَوْشيّـــةٍ ... مَكِيَّـــةٍ غَرْثَـى الوِشاحِ
زَيْـنٌ لمشهـدِ فِطْرِهم ... وتَزِينُهم يومَ الأَضاحِي

الشعر لابن زهير المخنَّث ، والغناء لطُويس هزجٌ ؛ أخبرنا بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بَكّار ، فقال ابن سريج : هذا واللّه أحسنُ الناس غناء لا أنا .

[تبع جارية فزجرته]

قال إسحاق حدّثني المدائنيّ قال : حُدّثت أنّ طويساً تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها ، فخَبَّتْ[1] في المشي فلم ينقطع عنها ؛ فلمّا جازت بمجلسٍ وقفتْ ثم قالت : يا هؤلاء ، لي صديق ولي زوج ومولًى يَنْكِحُني ، فسَلُوا هذا ما يريد منّي ؟ فقال : أُضيِّق ما قد وسّعوه . ثم جعل يتغنّى : [من الهزج]

أفِقْ يا قلبُ عن جُمْلٍ ... وجُمْلٌ قطَّعتْ حَبْلِي
أفِقِ عنها فقد عُنِّيـ ... ـتَ حَوْلاً في هَوى جُمْلِ
وكيف يُفِيق محزونٌ ... بجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَراه الحُبّ في جملٍ ... فحَسْبِي الحبُّ من ثِقْلِ
وحَسْبِي فيكِ ما أَلْقَى ... من التَّفنيد والعَذْلِ[2]
وقِدْماً لامني فيها ... فلم أَحْفِل بهم أهلِي

[طُوَيس والرجل المسحور]

قال إسحاق وقال المدائنيّ قال مسلمة بن محارب حدّثني رجل من أصحابنا قال : خرجنا في سَفْرة ومعنا رجلٌ ، فانتهينا إلى وادٍ فدعَونا بالغداء ، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل ، فخرجنا نسأل عن حاله فلقِينا رجلاً طويلاً أحول مضطرب الخَلق في زِيّ الأعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبر الرجل ؛ فقال : ما اسم صاحبكم ؟ فقلنا : أُسَيد ؛ فقال : هذا وادٍ قد أُخِّذَتْ[3] سِباعه فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادي استمرّ صاحبكم وأكل . قلنا في أنفسنا : هذا من الجنّ ، ودخلتْنا فَزَعةٌ[4] ؛ ففهم ذلك وقال : لِيُفْرِخْ رَوعُكم فأنا طُوَيس . قال له بعض مَن معنا من بني غِفارٍ أو من بني عَبْس : مرحباً بك يا أبا عبد النعيم ، ما هذا الزِّيّ ! فقال : دعاني بعض أُودّائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطّى الأحياء فلا يُنكروني . فسألت الرجل أن يغنّينا ؛ فاندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربَّعٍ ، فلقد تخيَّل لي[5] أنّ الوادي يَنطِق معه حسناً ،

1 ل : فحثت .
2 التفنيد في ل : التعنيف .
3 أخِّذت سباعه : سحرت ؛ وفي ل : أخاف .
4 ل : ودخلنا فزع .
5 ل : خيّل إلي .

وتعجَّبْنا من علمه وما أخبرنا [به] من أمر صاحبنا .

وكان الذي غنّى به في شعر عُروة بن الورد في سلمى امرأته الغِفاريّة حيث رهَنها على الشراب[1] : [من الوافر]

سَقَوْني الخمرَ ثم تكنَّفُوني عُداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزورِ[2]

وقالوا لستَ بعدَ فِداء سَلْمى بمُفْنٍ ما لديك ولا فقيرِ

فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أمري ومَنْ لي بالتَّدَبُّرِ في الأُمورِ

إذاً لَعَصَيْتُهمْ في حبّ سَلْمى على ما كان من حَسَكِ الصدورِ[3]

فيا للنّاسِ كيف غُلِبْتُ أمري على شيءٍ ويكرَهُهُ ضميرِي

[عروة وامرأته سلمى الغفارية]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : لمّا غزا النبيّ ﷺ بني النَّضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيبَر يضربون بدُفوف ويَزمُرون بالمزامير وعلى النساء المُعصفرات وحُليّ الذهب مُظهرين لذلك تجلُّدا ، ومرَّت في الظُّعن يومئذٍ سلمى امرأة عروة بن الورد العبسي ، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف ، وكانت سلمى من بني غِفار ، فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمال فولدت له أولاداً وكان شديد الحبّ لها وكان ولده يعيَّرون بأمِّهم ويسمَّون بني الأَخيذة ، أي السَّبِيّة ، فقالت : ألا ترى ولدك يعيَّرون ؟ قال : فماذا تَرَين ؟ قالت : أرى أن تَردَّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأَنعَم لها[4] ، فأرسلت إلى قومها أنِ القَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكَر ويثمل فإنّه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلاّ أعطاه ؛ فلَقوه وقد نزل في بني النَّضير فسَقوه الخمر ، فلمّا سكر سألوه سلمى فردّها عليهم ثم أَنكحوه بعد . ويقال : إنّما جاء بها إلى بني النَّضير ، وكان صُعلوكاً يُغِير ، فسقَوه الخمر ، فلمّا انتشى منعوه ولا شيء معه إلاّ هي فرهنها ، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَت[5] ؛ فلمّا قال لها : انطلقي قالت : لا سبيل إلى ذلك ، قد أَغلَقتني . فبهذا صارت عند بني النَّضير . فقال في ذلك : [من الوافر]

سقَوْني الخمرَ ثم تكنَّفُوني عُداةُ اللهِ من كذبٍ وزورِ

---

1 ديوان عروة (شرح ابن السكيت) : 58 تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق : 1966 .

2 الخمر في الديوان : النسء وهي أيضاً الخمر .

3 حسك الصدور : الغلّ والعداوة .

4 أنعم لها : قال لها نعم .

5 غلق الرهن : استحق .

هذه الأبيات مشهورة بأنّ لطويس فيها غناءً ، وما وجدتُه في شيء من الكتب مجنّساً فتذكر طريقته .

[كان يغرى بين الأوس والخزرج بغنائه]

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال : كان طويس وَلِعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء ، فقَلّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحَيّان فغنّى فيه طويس إلاّ وقع فيه شيء ؛ فنُهِي عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدوني التراب ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به ، فكان يُبْدي السرائر ويُخرج الضغائن ، فكان القوم يتشاءمون به[1] .

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبَر عن حديثه ويُستشهد على معرفته ، فغنّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو : [من المنسرح]

ردّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ... مـاذا عليهم لـو أنّهم وقفُوا

لـو وقفـوا ساعـةً نسائلُهم ... رَيْث يضحّي جِمالَـه السَّلَفُ

فليت أهلي وأهلَ أَثْلَة في الـ ... ـدَّارِ قَرِيبٌ من حيثُ نختلِفُ[2]

فلمّا بلغ إلى آخر بيت غنّى فيه طويس من هذه القصيدة وهو : [من المنسرح]

أَبلِغْ بني جَحْجَبَى وقومَهـمُ ... خَطْمَـةَ أنّا وراءَهـم أُنُـفُ

تكلّموا وانصرفوا وجرتْ بينهم دماءٌ ، وانصرف طُوَيس من عندهم سليماً لم يُكَلَّمْ ولم يُقَلْ له شيءٌ .

[سبب الحرب بين الأوس والخزرج]

قال إسحاق فحدّثني الواقديّ وأبو البختريّ ، قالا : قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشَغب أثاره القوم بعد دهر طويل . ونذكر سبب أوّل ما جرى بين الأَوس والخزرج من الحرب .

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيديّ وأبو البختريّ ، وحدّثني مشايخ لنا قالوا : كانت الأوس والخزرج أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوان لأبٍ وأمٍّ وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأُمُّهما قَيلة بنت جَفنة بن عُتبة بن عمروٍ ؛ وقُضاعة تذكر أنّها قَيلة بنت كاهِل بن عُذرة بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسلم بن الحاف بن قُضاعة . وكانت أوّلُ حرب جرت

---

1 ل : يتماشون إليه .

2 في الدار في ل : والدار . ورواية الديوان :

بل ليت أهلي وأهل أثلة في دارٍ ... قريـبٍ من حيـث تختلـفُ

بينهم في مولىً كان لمالك بن العجلان قتله سُمَير بن يزيد بن مالك ، وسُمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف ، وكان مالك سيد الحيَّين في زمانه ، وهو الذي ساق تُبَّعاً إلى المدينة وقتل الفِطْيون[1] صاحب زُهرة وأذلَّ اليهودَ للحيَّين جميعاً ، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم ، وكانت ديةُ المولى فيهم ، وهو الحليفُ ، خَمساً من الإبل ، ودية الصريح عشراً ، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف : ابعثوا إليّ سُمَيراً حتى أقتله بمولاي فإنّا نكرَه أن تَنشَبَ بيننا وبينكم حرب ؛ فأرسلوا إليه : إنّا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منّا عقلَه[2] ، فإنّك قد عرفت أنّ الصريح لا يُقتل بالمولى ؛ قال : لا آخذ في مولاي دون دية الصريح ؛ فأبوا إلاّ ديةَ المولى . فلمّا رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج ، وكان فيهم مُطاعاً ، وأمرهم بالتهيّؤ للحرب . فلمّا بلغ الأوس استعدُّوا لهم وتهيَّئُوا للحرب واختاروا الموت على الذلّ ؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصَّفِينة بين بئر سالم وبين قُباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض . ثم إنّ رجلاً من الأوس نادى : يا مالك ، ننشدك الله والرَّحِمَ ، وكانت أُمّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف ، فاجعل بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكَم علينا سلّمنا لك ؛ فارعوى مالك عند ذلك ، وقال نعم ؛ فاختاروا عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به ، واستوثق منهم ، ثم قال : فإنّي أقضي بينكم : إن كان سُمَير قتل صَريحاً من القوم فهو به قَوَدٌ ، وإن قبِلوا العقل فلهم دية الصريح ؛ وإن كان قتل مولًى فلهم ديّة المولى بلا نقصٍ ، ولا يُعطى فوق نصف الدية ، وما أصبتم منّا في هذه الحرب ففيه الدية مسلَّمةً إلينا ، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلَّمة إليكم . فلمّا قضى بذلك عمرو بن امرىء القيس غضب مالك بن العجْلان ورأى أن يردّ عليه رأيه ، وقال : لا أقبل هذا القضاء ؛ وأمَر قومه بالقتال ، فجمع القومُ بعضهم لبعضٍ ثم التقَوا بالفضاء عند آطام بني قَيْنُقاع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تداعَوا إلى الصلح فحَكَّموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسّان بن ثابت النَّجّاريّ ، فقضى بينهم أن يَدُوا مولى مالك بن العجْلان بدية الصَّريح ثم تكون السنَّة فيهم بعده على مالكٍ وعليهم كما كانت أوّل مرّة : المَولى على ديته ؛ والصريح على ديّته ؛ فرضي مالك وسلَّم الآخرون . وكان ثابت إذ حَكَّموه أراد إطفاء النائرة[3] فيما بين القوم ولَمَّ شَعَثِهم ، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدّي إلى مالك أكثر من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دون عشر . فلمّا أخرج

1 أسطورة الفطيون لها مشابه ، من ذلك ما يتصل بقصّة طسم واستعباده لجديس .

2 عقله : ديته .

3 النائرة : الفتنة (وتصحف إلى الثائرة) .

ثابت الخمس أرضى مالكاً بذلك ورضيت الأوس ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألاّ يُقتَل رجلٌ في داره ولا معقِلِه ، والمعاقل : النخل ، فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل . ثم انظروا في القتلى فأيُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدى له صاحبه . فأَفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نَفَر فوَدَتْهم الأوس واصطلحوا . ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لِما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك : [من الخفيف]

وأبِي في سُمَيْحة القائــلُ الفا صِلُ حين التَفّتْ عليه الخصومُ

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة : [من المنسرح]

رَدّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لـو أنّـهم وقَفوا

[رأي عمر بن عبد العزيز في شعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يُنشِد قول قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

بينَ شُكـولِ النساءِ خِلْقتُها قَصْدٌ فلا جَبْلَـةٌ ولا قَضَفُ

تنـام عن كُبْر شأنهـا فإذا قامت رُويداً تكاد تنقصفُ

تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ كأنّما شَفَّ وجهها نُـزُفُ

ثم يقول : قائلُ هذا الشعر أنسب الناس .

[أصوات من المائة المختارة]

وممّا في المائة المختارة من أغاني طويس

صوت[1]

[من الخفيف]

يـا لَقَوْمِي قـد أرّقتني الهمومُ ففؤادي ممّـا يُجِنُّ سقيمُ

أنْدَبَ الحبُّ في فؤادي ففيه لـو تَراءى للناظرين كلومُ

يُجنّ : يُخفي ، والجُنَّة من ذلك ، والجنّ أيضاً مأخوذ منه . وأندب : أبقى فيه نَدَباً وهو أثر الجرح ؛ قال ذو الرُّمّة[2] : [من البسيط]

تُرِيكَ سُنّةَ وجــهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

---

1 الأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات : 194 تحقيق د . محمد يوسف نجم ، عن الأغاني (دار صادر ، بيروت) .

2 ديوان ذي الرمّة : 1 : 29 من قصيدته المشهورة :

ما بال عينِكَ منها الماء ينسكبُ كأنّه من كُلـىً مفريـة سرِبُ

الشعر لابن قيس الرُّقيّات فيما قيل . والغناء لطويس ، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، قال إسحاق : وهو أجود لحن غنّاه طويس ، ووجدتُه في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طُنْبورة . قال وقال ابنُ المكّيّ : إنّه لَحَكَم ، وقال عمرو بن بانة : إنّه لابن عائشة أوّلُه هذان البيتان ، وبعدهما : [من الخفيف]

ما لِذا الهمِّ لا يَرِيمُ فؤادِي مثلَ ما يَلزَمُ الغريمَ الغريمُ
إنّ مَنْ فَرّق الجماعةَ منّا بعد خَفْضٍ ونَعْمَةٍ لذميمُ

انقضت أخبار طويس .

صوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجّار

[من الكامل]

حُجبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقربهم يا ليتَ أنّ حجابَهم لم يُقْدَرِ
حُجبُوا ولم نَقض اللُّبانةَ منهمُ ولنا إليهم صَبْوةٌ لم تُقْصِرِ
ويُحيط مئزرُها بِرِدْفٍ كاملٍ رابي المَجَسّةِ كالكَثيبِ الأعفرِ
وإذا مَشَتْ خِلتَ الطريقَ لمشيها وَحِلاً كمشي المُرْجحِنّ المُوقَرِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لقفا النجّار ، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ويقال : إن فيه لحناً لابن سريج . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى في الاختيار الواثقيّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل .

صوت

من المائة المختارة

أَفِقْ يا دارميُّ فقد بُلِيتا وإنّك سوف تُوشِك أن تَمُوتا
أراك تَزِيدُ عشقاً كلَّ يومٍ إذا ما قلتَ إنّك قد بَرِيتا

الشعر والغناء جميعاً لسعيد الدارميّ ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

[21] ـ ذكر الدارميّ وخبره ونسبه[1]

[نسبه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : الدارميّ من ولد سُوَيد بن زيد الذي كان جَدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هِنْد ، ثم هربوا إلى مكّة فحالفوا بني نَوفل بن عبد مَناف .

وكان الدارميّ في أيّام عمر بن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادر ، وكان من ظُرفاء أهل مكّة ، وله أصوات يسيرة . وهو الذي يقول : [من المتقارب]

ولمّـا رأيتُـكَ أوليتنـي الـــ ـقَبيحَ وأبعدتَ عنّي الجميلا
تركـتُ وِصالَـك في جانـبٍ وصادفتُ في الناسِ خِلاًّ بَدِيلا

[شبب بذات خمار أسود فنفقت الخمر السود]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا فَضْل اليزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرِّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال وحدّثني به النُّوشْجانيّ عن شيخ له من البِصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد ، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره : أنّ تاجراً من أهل الكوفة قَدِم المدينة بخُمُر فباعها كلّها وبقيت السود منها فلم تَنْفُق ، وكان صديقاً للدارميّ ، فشكا ذاك إليه ، وقد كان نَسَك وترك الغناء وقول الشعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّي سأُنفقها لك حتى تبيعها أجمع ؛ ثم قال : [من الكامل]

صوت

قُلْ للمليحةِ في الخَمارِ الأسودِ مـاذا صَنَعتِ براهبٍ متعبِّدِ
قـد كان شَمَّر للصـلاةِ ثيابَه حتى وقَفتِ له ببابِ المسجدِ

وغنّى فيه ، وغنّى فيه أيضاً سِنان الكاتب ، وشاع في الناس وقالوا : قد فتَك[2] الدارميّ ورجع عن نُسكه ؛ فلم تبقَ في المدينة طريفةٌ إلاّ ابتاعت خِماراً أسود حتى نَفِذ ما كان مع

1 لم يذكر أبو الفرج اسم الدارميّ كاملاً فلم يكن من الممكن العثور على ترجمة له في مصادر أُخرى ، وهو إنّما اشتهر بأبياته في «ذات الخمار الأسود» . وقد حققت ديوانه كارين صادر ، بيروت 2000 .

2 فتك : مجن .

العراقيّ منها ؛ فلمّا علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد .

فأمّا نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ والغناء أيضاً ، وهو خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لسِنانٍ الكاتب رمل بالوسطى عن حبش . وذكر حبش أنّ فيه لابن سريج هزجاً بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هفّان قال : حضرتُ يوماً مجلس بعض قوّاد الأتراك وكانت له ستارة فنُصبت ، فقال لها : غنّي صوت الخمار الأسود المليح ، فلم ندرِ ما أراد حتى غنّت :

قل للمليحةِ في الخمار الأسودِ

ثم أمسك ساعة ثم قال لها غنّي :

إنّــي خريــت وجئــت أنتقله

فضحِكت ثم قالت : هذا يشبهك ؛ فلم ندرِ أيضاً ما أراد حتى غنّتْ :

إنّ الخليــطَ أجــدّ مُنتقَلَهْ

[بخله وظرفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سَلْم[1] الخُزاعيّ قال حدّثني الحِرْمازيّ قال زعَم لي ابن مودود قال : كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَفَتِّيات[2] أهل مكّة لا يطيب لهنّ مُتَنَزَّه إلاّ بالدارميّ ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ في متنزَّه لهنّ ، وفيهنّ صديقة له ، وكلٌّ واحدة منهنّ قد واعدت هَواها ، فخرجن حتى أتيْنَ الجُحفة[3] وهو معهنّ ؛ فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخلو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ ؟ فإنّا إن فعلنا قطَّعَنا في الأرض ؛ قالت لهنّ صاحبته : أنا أكفِيكُنّه ؛ قلن : إنّا نريد ألاّ يلومَنا ؛ قالت : عليّ أن ينصرف حامداً ، وكان أبخلَ الناس ، فأتتـه فقالت : يا دارميّ ، إنّا قد تَفِلْنا[4] فاجلُب لنا طِيباً ؛ قال نعم هو ذا ، آتي سوق الجُحفة آتيكنّ منها بطِيبٍ ؛ فأتى المُكارِين فاكترى حماراً فصار عليه إلى مكّة وهو يقول : [من الهزج]

أنــا بالله ذي العِــــزِّ وبالرُّكـــنِ وبالصَّخْرةْ
من اللائــي يُرِدنَ الطِّيـ ـبَ في اليُسر وفي العُسْرةْ

---

1 ل : ابن أبي سلمة .

2 متفتيات : يذهبن مذهب الفتوة ويتشبّهن بالفتيان .

3 الجحفة : قرية بين مكّة والمدينة .

4 تفل : تغيّرت رائحته لعدم الطيب .

وما أقـــوى على هـذا ولـو كنتُ على البَصْرَهْ

فمكث النسوة ما شئن . ثم قَدِم من مكّة فلقِيَتْه صاحبته ليلة في الطَّواف ، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذهابه ويُعاتبها ، إلى أن قالت له : يا دارميّ ، بحقّ هذه البَنِيّة أتُحبُّني ؟ فقال نعم ، فبِربِّها أتُحبِّيني ؟ قالت نعم ؛ قال : فيا لكِ الخيرُ فأنتِ تحبِّيني وأنا أُحبّك ، فما مدخل الدراهم بيننا ؟!

[عطسة الدارميّ وعبد الصمد بن علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه ، فأغفى عبد الصمد فعطس الدارميُّ عطسةً هائلة ، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاضَّ كذا من أمّه أتفزعني ؟ قال : لا والله ولكن هكذا عُطاسي ؛ قال : والله لأَنقعنّك في دمك أو تأتيني ببيّنة على ذلك ؛ قال : فخرج ومعه حَرَسيٌّ لا يدري أين يذهب به ، فلقيه ابن الريّان المكيّ فسأله ؛ فقال : أنا أشهد لك ؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد ؛ فقال له : بم تشهد لهذا ؟ قال : أشهد أنّي رأيته مرّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه ؛ فضحك عبد الصمد وخلّى سبيله .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال : قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ : لو صَلَحتْ عليك ثيابي لكسوتك ؛ قال : فَدَيتك ! إن لم تصلُح عليّ ثيابك صَلَحتْ عليّ دنانيرك .

[الدارميّ مع نسوة من الأعراب]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير ، ونسخت من كتاب هارون بن محمد : حدّثنا الزبير قال حدّثني يونس بن عبد الله الخيّاط قال : خرج الدارميّ مع السُّعاة[1] ، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم ، فأتى بها في ثوبه ، وأحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه وألحَحْنَ عليه وهو يردّهنّ ؛ فعرفته صبيّة منهنّ فقالت : يا أخواتي ، أتدرين من تسألن منذ اليوم ؟ هذا الدارميّ السأّل . ثم أنشدت : [من المتقارب]

إذا كنتَ لا بـدّ مُستطعِماً فدَعْ عنك مَنْ كان يَستطعِمُ

فولّى الدارميّ هارباً منهنّ وهنّ يتضاحكن به .

[الدّارميّ والأوقص القاضي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال أخبرني أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثنا مصعب الزبيريّ قال : أتى الدارميُّ الأوقص القاضي بمكّة في شيء فأبطأ عليه فيه ، وحاكمه إليه خصم له في

1 السعاة : عمّال الصدقات .

حقٌّ ، فحبسه به حتى أدّاه إليه . فبينا الأوقص يوماً في المسجد الحرام يصلّي ويدعو ويقول : يا ربّ أعتِق رقبتي من النار ، إذ قال له الدارميّ والناس يسمعون : أَوَلك رقبةٌ تُعتق ؟ لا والله ما جعل الله ، وله الحمد ، لك من عتق ولا رقبة ؛ فقال له الأوقص : ويلك ! ومن أنت ؟ قال : أنا الدارميّ ، حبستَني وقتلتني ؛ قال : لا تقل ذلك وأْتِني فإنّي أعوّضك ؛ فأتاه ففعل ذلك به .

[نادرة له مع عبد الصمد بن علي]

أخبرني الحِرْميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له ؛ فلمّا فرغ أُدخِل إليه رجلٌ من الشُّراة ؛ فقال لغلامه : أَعْطِ هذا مائةَ دينار واضرب عنقَ هذا ؛ فوثب الدارميّ فقال : بأبي أنت وأُمّي ! بِرُّك وعقوبتك جميعاً نَقد ! فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرغ منه أمرتَه فأعطاني ! فإنّي لن أَريمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولم ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلط فيما بيننا ، والغلط في هذا لا يُستقال ؛ فضحك وأجابه إلى ما سأل .

[نادرة له في مرضه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي قال : أصابت الدارميّ قُرحةٌ في صدره ، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده . فرآه قد نفث من فيه نَفثاً أخضر ، فقال له : أَبْشِر ، قد أخضرَّتِ القرحة وعُوفِيتَ ؛ فقال : هيهات ، والله لو نفَثْتُ كلّ زُمُرُّدةٍ في الدنيا ما أَفلَتُّ منها .

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هيَّجتَ لي طرَبا ... زِدْتَ الفؤادَ على عِلاَّتِه وصَبا

ربعٌ تبدّل ممّن كان يسكُنه ... عُفْرَ الظِّباء وظِلْماناً بـه عُصَبا

الشعر لِهلال بن الأسعر المازِنيّ ، أخبرني بذلك وَكِيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه . وهكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني . ومن لا يعلم ينسُبه إلى عمرَ بن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونُصَيب ، وليس كذلك . والغناء في اللحن المختار لعزّور الكوفيّ ، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاي ، وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة ، ولا أعلم أنّي سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ غير هذا الصوت . ولحن هذا المختار ثقيل أوّل بالبِنصر في مجراها عن إسحاق ، وهكذا نسبَه في الاختيار الواثقيّ . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن عائشة لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر . وفي أخبار الغريض عن حمّاد أنّ له ثقيلاً أول . وقال الهشاميّ : فيه لعبد الله بن العبّاس لحنٌ من الثقيل الثاني . وذكر حبش أنّ فيه لحسين بن محرز خفيف رملٍ بالبنصر .

[22] ـ أخبار هلال بن الأسعر ونسبه[1]

[شاعر أمويّ شجاع أكول]

هو ، فيما ذكر خالد بن كلثوم ، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأَرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيَّار بن رِزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وأظنّه قد أدرك الدولة العباسية ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أَكولاً معدوداً من الأَكَلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حربٍ غَناءً . هذا لفظ أبي عمرو . وقال أبو عمرو : وعمِّر هلال بن أسعر عُمْراً طويلاً ومات بعد بلايا عِظامٍ مرّت على رأسه .

[كان المغيرة بن قنبر يعوله فلمّا مات رثاه]

قال : وكان رجلٌ من قومه من بني رِزام بن مالك يقال له المُغيرة بن قنبر يعوله ويُفضلُ عليه ويحتملُ ثِقْلَه وثِقْلَ عيالِه فهلك ، فقال هلال يَرثيه : [من الوافر]

ألا ليـتَ المُغيرةَ كان حيّـاً ... وأُفْنـى قبلَـه النـاسَ الفناءُ

ليَبْكِ على المُغيرةِ كلُّ خيـلٍ ... إذا أُفنـى عَرائكَهـا اللِّقاءُ[2]

ويَبْـكِ على المغيرةِ كلُّ كَلٍّ ... فَقِيـرٍ كان يَنْعَشُـه العَطاءُ[3]

ويَبْـكِ على المغيرةِ كلُّ جيشٍ ... تَمُورُ لـدى مَعارِكـه الدِّماءُ

فتى الفتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ ... إذا شالت وقـد رُفِع اللِّواءُ[4]

لقد وارَى جديـدُ الأرضِ منه ... خِصالاً عَقْـدُ عِصْمتِها الوفاءُ

فصبراً للنوائـب إن أَلَمَّـتْ ... إذا مـا ضاق بالحَدَثِ الفضاءُ

هِزبـرٌ تَنْجـلي الغَمْراتُ عنه ... نقـيّ العِـرْضِ همَّتُـه العَلاءُ

إذا شهِد الكَريهَـةَ خاض منها ... بُحـوراً لا تكدِّرُهـا الدِّلاءُ

جَسُورٌ لا يـروَّع عنـد رَوْعٍ ... ولا يَثْنِـي عزيمتَـه اتِّقاءُ

---

1 أورد ابن حمدون بعض أخبار هلال المازنيّ في التذكرة نقلاً عن الأغاني 9 : 34 ، 101 .

2 العرائك : جمع عريكة أي الشدّة والقوّة ، وأصل العريكة : سنام البعير .

3 ينعشه في ل : حين يلتمس .

4 شالت الحرب : إذا تمّ الاستعداد لها وأصبحت وشيكة الوقوع .

حَلِيـمٌ في مَشاهده إذا ما حُبـا الحُلَماءِ أطلقها المِراءُ[1]
حَميـدٌ في عشيرتِـه فَقيـدٌ يَطيـب عليـه في المـلأ الثناءُ
فـإن تكـن المنيّـةُ أَقْصدتْه وحُمَّ عليـه بالتلفِ القَضاءُ[2]
فقـد أَوْدَى بـه كـرمٌ وخِيرٌ وعَـوْدٌ بالفضائـل وابتداءُ[3]
وجـودٌ لا يَضُمّ إليـه جوداً مُراهِنُـه إذا جَـدّ الجِراءُ[4]

[كان عاديّ الخلْق صبوراً على الجوع]

وقال خالد بن كُلْثوم : كان هلال بن الأسعر ، فيما ذكروا ، يَرِد مع الإبل فيأكُل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم ورودِها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عاديّ الخَلق لا تُوصف صفتُه .

[حكايات عن قوّته]

قال خالد بن كلثوم فحدّثنا عنه من أدركه : أنّه كان يوماً في إبلٍ له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وَقْع الشمس محتدم الهاجِرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فُقَيم ، كانا أشدّ تَميميَّين في ذلك الزمان بطشاً ، يقال لأحدهما الهَيَّاج ، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أَنواطٌ[5] من تمر هَجَرَ ، وكان هلالٌ بناحية الصِّعاب[6] ؛ فلمّا انتهيا إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهِه ولا يعرفان أنّ الإبل له ، نادَيا : يا راعي ، أعندك شرابٌ تسقينا ؟ وهما يظنّانه عبداً لبعضهم ؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة التي صفتُها كذا في موضع كذا فأَنِيخاها فإنّ عليها وَطْبَيْن من لبنٍ ، فاشربا منهما ما بدا لكما . قال فقال له أحدهما : ويحك ! انهض يا غلام فأْتِ بذلك اللبن !؟ فقال لهما : إن تَكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها فتجدان[7] الوطبين فتشربان ؛ قال فقال أحدهما : إنّك يا ابن اللَّخناء لغليظ الكلام ، قم فاسقنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما ، حيث قال له

1 حبا : جمع حُبوة والثوب يشتمل به ؛ وإطلاق الحبا يعني الخروج عن طور الحلم إلى السفه والطيش ؛ والمراء : المجادلة والمخاصمة . أي أنّه يظلّ حليماً حتى إذا واجهه ما يخرج الحلماء عن أطوارهم .
2 أقصدته : أصابته .
3 خير : شرف .
4 الجراء : المسابقة والمفاخرة .
5 أنواط : جمع نوط وهو الجلة الصغيرة من التمر ونحوه .
6 الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين .
7 ل : فتحدران .

أحدهما : «إنّك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام» ، : أراكما والله ستلقيان هواناً وصَغاراً ؛ وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسَّوط على عَجُزِه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطةً ؛ فنادى صاحبه : ويحك أغِثني قد قتلني ؛ فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأُخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصُكّ برؤوسهما بعضاً ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه ؛ فقال أحدهما : كنْ هِلالاً ولا نُبالي ما صنعت ؛ فقال لهما : أنا والله هلال ، ولا والله لا تُفلِتان منّي حتى تُعطياني عهداً وميثاقاً لا تَخيسان به : لتأتيانّ المِربَد[1] إذا قدِمتُما البصرة ، ثم لتُناديانّ بأعلى أصواتكما بما كان منّي ومنكما ؛ فعاهداه وأعطياه نَوطاً من التمر الذي معهما ، وقدِما البصرة فأتيا المِربد فناديا بما كان منه ومنهما .

وحدّث خالد عن كُنَيف[2] بن عبد الله المازنيّ قال : كنتُ يوماً مع هلال ونحن نبغِي إبلاً لنا ، فدفَعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبنا وعطشنا ، وإذا نحن بفِتيةٍ شباب عند رَكِيّة[3] لهم وقد وردت إبلُهم ، فلمّا رأوْا هلالاً استهوْلُوا خَلقَه وقامتَه ، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما : يا عبد الله ، هل لك في الصِّراع ؟ فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج ؛ قال : وما هو ؟ قال : إلى لبنٍ وماءٍ فإنّنِي لَغِبٌ ظمآن ؛ قال : ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطيَنا عهداً لتُجيبنّنا إلى الصراع إذا أَرَحتَ ورَوِيت ؛ فقال لهما هلال : إنّني لكم ضيفٌ ، والضيف لا يُصارع آهِلَه وربَّ منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم : اعمِدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم شدّة وأهْيبِه صولةً وإلى أشدِّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أُدخل يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني ، وإن فعلته علمتم أنّ صراع أحدكم أيسر من ذلك . قال : فعجبوا من مقالته تلك ، وأومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قَطِمٍ[4] ؛ فأتاه هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخ لهم ، فأخذ بهامة الفحل ممّا فوق مِشفره فضغطها ضغطة جَرجَر الفحلُ منها واستخذى ورَغا ، وقال : ليُعطني من أحببتم يده أُولِجها في فم هذا الفحل . قال فقال الشيخ : يا قوم تنكّبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعت فلاناً (يعني الفحل) جرجر منذ بزَلَ[5] قبل اليوم ، فلا تعرِضوا لهذا الشيطان . وجعلوا

---

1 المربد : محلة بالبصرة كانت قديماً سوقاً للإبل ثم أصبحت معقد مفاخرة الشعراء ومجالس الخطباء .

2 ل : كفيف .

3 ركية : بئر .

4 قطم : هائج .

5 بزل البعير : فطر نابه ودخل في سنته التاسعة .

يتبعونه وينظرون إلى خطوِه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم .

[صارع في المدينة عبداً]

قال وحدّثنا مَن سمع هلالاً يقول : قدِمتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمال للتجّار حتى أُخِذ بيدي وقيل لي : أجِب الأمير . قال : قلتُ لهم : ويلكم ! إبلي وأحمالي ! فقيل : لا بأس على إبلك وأحمالك . قال : فانطُلِقَ بي حتى أُدخلت على الأمير ، فسلّمتُ عليه ثم قلت : جُعِلتُ فِداك ! إبلي وأمانتي ! قال فقال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها إليك . قال فقلت عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إليّ جعلني الله فداه ؟ قال فقال لي ، وإلى جَنْبه رجل أصفر ، لا والله ما رأيت رجلاً قطُّ أشدَّ خَلْقاً منه ولا أغلظ عُنُقاً ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عرضُه : إنّ هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربيّاً[1] يصارع إلاّ صرعه ، وبلغني عنك قوّة ، فأردتُ أن يُجريَ الله صرعَ هذا العبد على يديك فتُدرِك ما عنده من أوتار العرب . قال فقلت : جعلني الله فداء الأمير ، إنّي لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ ، فإن رأى الأمير أن يدَعني اليوم حتى أضعَ عن إبلي وأُؤدِّي أمانتي وأُريح يومي هذا وأجيئَه غداً فليفعل . قال فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه ؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ بقية يومي ذلك وبتُّ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شِبَعاً وراحةً وصلاح أمر ، فلمّا كان من الغد غدوتُ عليه وعليّ جُبّةٌ لي صوفٌ وبَتٌّ[2] وليس عليّ إزار إلاّ أنّي قد شددت بعمامتي وسَطي ، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام ، وقال للأصفر : قُم إليه ، فقد أرى أنّه أتاك الله بما يُخزيك ؛ فقال العبد : اتَّزِرْ يا أعرابيّ ؛ فأخذت بَتّي فاتّزرت به على جُبّتي ؛ فقال : هيهات ؛ هذا لا يثبُت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ قال فقلت : والله ما لي من إزار ؛ قال : فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلها ، فشددت بها على حَقْوِي[3] وخلعت الجُبّة ؛ قال : وجعل العبد يدور حولي ويريد خَتْلي وأنا منه وجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا منّي دَنْوةً فنقد[4] جَبهتي بظُفره نَقدة حتى ظننتُ أنّه قد شجّني وأوجعني ، فغاظني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِه بِم أقبضُ منه ، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعت إبهاميّ في صُدْغيه وأصابعي الأُخَر في أصل أُذنيه ، ثم غمزته غمزةً صاح منها : قتلتني ؛ قتلتني ! فقال الأمير :

---

1 ل : عبداً .

2 البت : كساء غليظ ، وقيل هو من وبر وصوف .

3 حقو : خصر .

4 نقد الشيء : نقره باصبعه .

اغمِس رأس العبد في التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك عليّ ؛ قال : فغمستُ والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغشيّ عليه ؛ فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وصلة وكسوةٍ وميرة وانصرفتُ[1] .

[قتل رجلاً من بني جلان استجار بمعاذ ثم فرّ إلى اليمن]

قال أبو الفرج : ولهلالٍ أحاديثُ كثيرة من أعاجيب شدّته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني رِبابٍ من بني حَنِيفة في شيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف ، فقال حاجب : [من الوافر]

وقائلــةٍ وباكيــةٍ بشَجْــوٍ لَبئس السيفُ سيفُ بني رِبابِ
ولـو لاقَـى هلالَ بني رِزام لعجّلــه إلى يــوم الحسابِ

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجلٌ من بني عنزة ثم من بني جَلاَّن يقال له عبيد بن جريّ في شيء كان بينهما ، فشجّه وخمشه خُماشةً ، فأتى هلالٌ بني جَلاّن فقال : إنّ صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقّي ، فأوعدوه وزجروه[2] ؛ فخرج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلاد قومه ؛ فمضى لذلك زمن طويل حتى درس ذكرُه ؛ ثم إنّ عبيد بن جريّ قَدِم الوَقَبى ، وهو موضع من بلاد بني مالك ، فلمّا قَدِمها ذكر هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوّفه ؛ فسأل عن أعزّ أهلِ الماء ، فقيل له : مُعاذ بن جعدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيّار بن رزام بن مازن ؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء ، فعقد عُبيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طُنُبِ بيت معاذ ، وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُبِ بيته للمستجير به أن يجيره وأن يطلب له بظلامته ، وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء ، فقيل : رجلٌ استجار بآل مُعاذِ بن جعدة . ثم خرج عبيد بن جريّ ليستقي ، فوافق قدومه هلال بإبله يوم وُروده ، وكان إنّما يقدَمُها في الأيّام ، فلمّا نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه وبينه ، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة ، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده ، فانتزع المِحور[3] من السَّانية فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرع وقِيذاً[4] ، وقيل : قتَل هلال بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة ! فلمّا سمع ذلك هلال تخوّف بني جعدة الرِّزامِيّين ، وهم بنو عمّه ، فأتى راحلته[5] ليركبها . قال هلال : فأتتني

---

1 ل : ثم انحدرت .

2 ل : وزبروه .

3 المحور : الحديدة بين الخطاف والبكرة ؛ والسانية : الدلو العظيمة .

4 الوقيذ : الذي أشرف على الموت .

5 ل : ناقته .

خَولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت ، وهي جدّة أبي السَّفَّاح زهيد بن عبد الله بن مالك أُمُّ أبيه ، فتعلّقت بثوب هلال ، ثم قالت : أيْ عدوّ الله قتلتَ جارنا ، والله لا تُفارقني حتى يأتيَكَ رجالُنا ! قال هلال : والمحورُ في يدي لم أضعه ؛ قال : فهَممتُ أن أعلو به رأس خولة ، ثم قلت في نفسي : عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ ، قال : فضربتها برجلي ضربةً رميتُ بها من بعيدٍ ، ثم أتيت ناقتي فأركبها[1] ثم أضربها هارباً . وجاء معاذ بن جعدة وإخوته ؛ وهم يومئذٍ تسعة إخوة ، وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ ويقال لها جُبَيلةُ ، وهو مع ذلك ابن عمّتهم خَوْلة بنت يزيد بن ثابت ، فهو معهم كأنّه بعضُهم ؛ فجاؤوا من آخر النهار فسمِعوا الواعية[2] على الجَلاّنيّ وهو دَنِفٌ لم يمُت ، فسألوا على تلك الواعية فأُخبروا بما كان من استجارة الجَلاّنيّ بمعاذ بن جعدة وضربِ هلالٍ له من بعد ذلك ؛ فركب الإخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم ، وكانوا أمثال الجبال في شدّة خَلْقِهم مع نجدتهم ، وركبوا معهم بعشرة غِلمة لهم أشدّ منهم خَلْقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضعٍ يريده من رَميَّته ، حتى تبعوا هلالاً ؛ وقد نَسَلَ[3] هلال من الحرب يومه ذلك كلَّه وليلته ، فلمّا أصبح أَمنَهم وظنَّ أن قد أَبْعد في الأرض ونجا منهم ؛ وتبِعوه ، فلمّا أصبحوا من تلك الليلة قصُّوا أثره ، وكان لا يَخفى أثرُه على أحد لعِظَم قَدَمه ، فلحقوه من بعد الغد ، فلمّا أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسيّ والسيوف والتِّرَسَة ، ناداهم : يا بني جعدة ، إنّي أنشدُكم الله أن أكون قتلتُ رجلاً غريباً طلبته بِترةٍ تقتلوني وأنا ابن عمّكم ! وظنّ أنّ الجَلاَّني قد مات ، ولم يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه ؛ فقال معاذ : والله لو أيقنّا أنّه قد مات ما ناظرْنا[4] بك القتل من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت ، ولسنا نحبّ قتلك إلاّ أن تمتنع منّا ، ولا نُقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا ؛ فقاتلهم وامتنع منهم ، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه : لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه ؛ ففعلوا ذلك ، فما قَدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأُخرى إصبعين ، ودقُّوا ضِلعين من أضلاعه وأكثروا الشِّجاج في رأسه ، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه ، فوضعوا في رجله أُدهَم[5] ، ثم جاؤوا به وهو معروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوَقَبى فدفعوه إلى الجَلاَّني ولم يمت بعد ، فقالوا : انطلقوا به

1 ل : فركبتها .

2 الواعية : الصراخ على الميت .

3 نسل : أسرع في سيره ؛ وفي ل : تمهّل .

4 ما ناظرنا بك القتل : ما أخرناه .

5 أدهم : قيد .

معكم إلى بلادكم ولا يُحدِثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يُصنع بصاحبكم ، فإن مات فاقتلوه وإن حَيَ فأعلمونا حتى نحمل لكم أرْشَ[1] الجناية . فقال الجلاّنيّون : وَفَتْ ذمّتكم يا بني جعدة ، وجزاكم الله أفضل ما يجزي به خيار الجيران ، إنّا نتخوّف أن ينزعه منّا قومكم إن خلّيتم عنّا وعنهم وهو في أيدينا ؛ فقال له معاذ : فإنّي أحمله معكم وأُشيّعكم حتى تَرِدوا بلادكم ، ففعلوا ذلك ، فحُمل معروضاً على بعير ورَكِبتْ أختُه جماء بنت الأسعر معه ، وجعل يقول : قتلتْني بنو جعدة ، وتأتيه أخته بمَغْرة فيشربها فيُقال : يُمشي بالدَّم ، لأنّ بني جعدة فرَثوا[2] كبِدَه في جوفه . فلمّا بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجَلاَّنيّون لمعاذ وأصحابه : أدام الله عزّكم ، قد وفيتم فانصرفوا . وجعل هلال يُريهم أنّه يُمشي في الليلة عشرين مرّة . فلمّا ثقُل الجَلاَّنيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميّتاً ، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنّه يقضي حاجة ، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظَلماء ، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه ، ثم طار تحت ليلته على رجليه ، وكان أدلّ الناس فتنكَّب الطّريق التي تُعرف ويُطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يُطمَع فيها ، حتى انتهى إلى رجل من بني أُثاثة بن مازن يقال له السِّعر بن يزيد بن طَلْق بن جُبَيلة بن أُثاثة بن مازن ، فحمله السِّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة ، فركبها ثم تجنَّب بها الطريق فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان ، تخوّفاً من بني مازن أن يَتبعوه أيضاً فيأخذوه ، فسار ثلاث ليالٍ وأيّامها حتى نزل اليوم الرابع ، فنحَر الناقة فأكل لحمها كلَّه إلاّ فضلة فضلت منها فاحتملها ، ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها ، فلبث زماناً وذلك عند مُقام الحجاج بالعراق ، فبلغ إفلاته مَن بالبصرة من بكر بن وائل . فانطلقوا إلى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبهم ؛ فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شُعبة بن العلقم ، وهو يومئذٍ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم ، فقال له : لَتَأْتينّي بهلال أو لأفعلنّ بك ولأفعلنّ ؛ فقال له عبد الله بن شُعبة : إنّ أصحاب هلال وبني عمّه قد صنعوا كذا وكذا : فاقتصَّ عليه ما صنعوا في طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجَلاّنيّين وتَشييعهم إيّاه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل ؛ فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ قال فقال بعض البكريّين : صدَق ، أصلحَ الله الأمير ؛ قال فقال الحجّاج : فلا يُرغم الله إلاّ أنوفكم ، اشهدوا أنّي قد آمنت كلَّ قريب لهلال وحَميم وعريف ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومن طلبه حتى يظفَرَ به البكريّون أو يموت قبل ذلك . فلمّا وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رِزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويُعظّم عليهم حقّه ويذكر قرابته ، وذلك أنّ سائر بني

1 الأرش : دية الجراحات .

2 فرثوا كبده : ضربوها فأخذوا بها .

مازن قاموا ليحمِلوا ذلك الدّم ، فقال معاذ : لا أرضى والله أن يُحمل لجاري دمٌ واحد حتى يُحمل له دم ولِجواري دمٌ آخر ، وإن أراد هلال الأمان وسطنا حُمل له دم ثالث ؛ فقال هلال في ذلك : [من الطويل]

بَني مـازنٍ لا تطـرُدوني فإنّني ... أخوكم وإن جَرّتْ جرائرَها يدِي
ولا تُثلِجوا أكبادَ بكر بـن وائلٍ ... بترك أخيكـم كالخليـع المُطرَّدِ
ولا تجعلوا حِفظي بظَهرٍ وتحفَظوا ... بعيـداً ببغضاء يـروح ويغتدي
فإنّ القريـبَ حيثُ كان قريبُكم ... وكيفَ بقطع الكَفّ من سائرِ اليدِ
وإن البعيدَ إن دنـا فهـو جاركم ... وإن شطّ عنكم فهـو أبعدُ أبعدِ
وإنّي وإن أوجدتمـوني لحافـظ ... لكم حفظَ راض عنكمُ غير مُوجَدِ[1]
سيَحْمِي حِماكم بي وإن كنتُ غائباً ... أغـرُّ إذا مـا ريـع لم يتبلَّدِ
وتَعلم بكر أنّكم حيـثُ كنتمُ ... وكنتُ من الأرض الغريبة مَحتِدِي
وأنّي ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا ... وأنّي وإن أُوجِدتُ لستُ بأوحدِ
وأنّهـمُ لّمـا أرادوا هَضيمتـي ... مُنُوا بجميع القلب عَضبٍ مُهنَّدِ
حُسامٍ متى يعزِمْ على الأمـر يأتهِ ... ولم يتوقّـفْ للعواقـبِ في غدِ
وهم بَدأوا بالبَغْي حتّى إذا جُزُوا ... بأفعالهـم قالـوا لجازيهُـمُ قَدِ
فلم يَكُ منهم في البديهةِ[2] مُنصِفٌ ... ولم يك فيهم في العواقب مُهتدي
ولم يفعلـوا فعـلَ الحليم فيُجْمِلوا ... ولم يفعَلـوا فعـلَ العزيـز المؤيَّدِ
فإن يَسْرِ لي إيعادُ بَكْرٍ فربّمـا ... مَنَعتُ الكَرى بالغيظ من مُتوعِّدِ
ورُبَّ حِمَى قـوم أَبحـتُ ومَورِدٍ ... ورَدتُ بفتيـان الصباح وموردِ
وسَجْفٍ دَجُوجِيٍّ من الليل حالكٍ ... رفعتُ بعَجْلَى الرِّجل مَوّارةِ اليدِ[3]
سفينةِ خَـوّاضٍ بُحـورَ هُمومِـه ... قليلِ التِياث العزم عنـد التردّدِ[4]
جَسورٌ على الأمـر المَهيب إذا وَنَى ... أخـو الفَتْك ركّابٍ قَرى المتهدِّدِ

---

1 أوجدتموني : أحفظتموني .
2 البديهة : البداية .
3 موارة اليد : يعني أنّها سريعة الحركة .
4 الالتياث : الابطاء ؛ وفي ل : ثبات .

وقال وهو بأرض اليمن : [من الطويل]

أقول وقد جاوزتُ نُعْمى وناقتي ... تَحِنُّ إلى جَنْبَيْ فُلَيج مع الفَجْرِ
سقى اللهُ يا ناقَ البلادَ التي بها ... هواكِ ، وإن عنّا نأتْ ، سَبَلَ القَطرِ[1]
فما عن قِلًى منّا لها خفّتِ النّوى ... بنا عن مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ
ولكنّ صرفَ الدّهرِ فرّق بيننا ... وبين الأداني ، والفتى غَرَضُ الدهرِ
فسَقْياً لصحراء الإهالة مَرْبَعاً ... وللوَقَبَى من مَنزلٍ دَمِثٍ مُثْرِي
وسَقْياً ورَعْياً حيث حَلّتْ لمازنٍ ... وأيّامِها الغُرّ المحجّلةِ الزُّهْرِ

قال خالد بن كلثوم : ولمّا دُفِعَ هلال إلى أولياء الجَلاّني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له : حُفيدٌ[2] كان هلال قد وتَره فقال : والله لأؤنبنّه ولأُصَغِّرنّ إليه نفسه وهو في القيود مصبورٌ[3] للقتل ، فأتاه فلم يدع له شيئاً ممّا يكره إلاّ عدّه عليه . قال : وإلى جنب هلالٍ حَجَرٌ يملأ الكفّ ، فأخذه هلال فأهوى به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف جُلفةً من وجهه ورأسه ، ثم رمى بها وقال : خذ القصاص منّي الآن ، وأنشأ يقول : [من الرجز]

أنا ضرَبتُ كَرِباً وزَيْدا ... وثابِتاً مَشَّيتُهم رُوَيْدا
كما أفدتُ حَيْنَه عُبَيْدا ... وقد ضربتُ بعده حُفيدا[4]

قال : وهؤلاء كلُّهم من بني رِزام بن مازن ، وكلُّهم كان هلال قد نكَأَ فيهم .

[أدّى عنه ديسم الديّة لبني جلان فمدحه]

قال خالد بن كلثوم : ولمّا طال مُقام هلالٍ باليمن نهضَتْ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن جعدة جار الجَلاّني المقتول ، فقالوا : إنّكم قد أسأتم بابن عمّكم وجُزْتُم الحدَّ في الطلب بدم جاركم ، فنحن نحمِل لكم ما أردتم ، فحمل دَيْسَم بن المِنهال بن خزيمة[5] بن شهاب بن أُثاثة بن ضِباب بن حُجيَّة بن كابِية بن حُرقوص بن مازنٍ الذي طلب معاذ بن جعدة أن يُحمَلَ لجاره ، لفضل عزّه وموضعه في عشيرته ، وكان الذي طلب ثلثمائة بعيرٍ ؛ فقال هلال في ذلك : [من الكامل]

1 السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .
2 ل : جعيد .
3 ل : مصفود .
4 حفيدا في ل : جعيدا .
5 ل : جذيمة .

إن ابن كابِيةَ المـرزَّأَ دَيْسماً وارِي الزنادِ بعيدُ ضوءِ النارِ[1]

من كان يحملُ ما تحمّلَ ديسمٌ من حائـلٍ فُنُقٍ وأمّ حُوَارِ[2]

عَيَّتْ بنو عمرو بحمل هنائدٍ فيها العِشارُ مَلابِئُ الأبكارِ[3]

حتى تَلافاهـا كريـمٌ سابقٌ بالخير حـلّ منـازلَ الأخيارِ

حتى إذا وردتْ جميعاً أُرْزِمَتْ جَـلاَّنَ بعـد تَشَمُّسٍ ونِفارِ

تَرعَى بصحراءِ الإهالَة رُوبَةً والعُنظُوانَ مَنابِتَ الجَرجارِ[4]

[أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل وقال في ذلك شعراً]

وقال خالد بن كلثوم : كان قُميرُ بنُ سعد مُصَدِّقاً على بكر بن وائل ، فوجد منهم رجلاً قد سرق بعض صدقتِه ، فأخذه قُمَير ليحبسه ، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحُولوا بين قُميرٍ وبينه ، وهلالٌ حاضرٌ ، فلمّا رأى ذلك هلالٌ وثَب على البكريّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنُفُهما[5] ويُناطِح بين رؤوسهما ، فانتهى إلى قُميرٍ أعوانُه فقَهَروا البكريّين ؛ فقال هلال في ذلك : [من الطويل]

دعـاني قُمَيرٌ دَعْـوةً فأجبتُـه فأيُّ امرىءٍ في الحرب حين دَعانِي

معي مِخْذَمٌ قـد أخلَص القَيْنُ حَدَّه يُخَفِّـضُ عنـد الرَّوْعِ رَوْعَ جَنانِي

وما زِلتُ مذ شَدَّتْ يمينيَ حُجْزَتي[6] أُحـارِبُ أو في ظِـلّ حربٍ تَرانِي

[حبسه بلال بن أبي بردة وافتكّه ديسم]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفِيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ قال حدّثنا حَكِيم بن سعد عن زُفَر بن هبيرة قال : تَقاوَم هلالُ بن أسعر المازنيّ ، وهو أحد بني رِزام بن مازن ، ونُهَيْسٌ[7] الجَلاَّنِيّ من عنزة وهما يسقيان إبلَهما ، فخذف[8] هلالٌ نُهيساً[9] بمحورٍ في يده

1 المرزأ هنا : الكريم الذي يصاب في ماله .

2 الفنق : الناقة الفتيّة السمينة .

3 عيت في ل : عنيت . هنائد : جمع هنيدة وهي المائة من الإبل . العشار الملابىء : التي قرب نتاجها .

4 الروبة : الأرض الكثيرة الكلأ والشجر . العنظوان : نبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه . الجرجار : نبات طيّب الريح .

5 يكنفهما : يضمهما .

6 الحجزة : معقد الإزار .

7 ل : وبيهس .

8 خذف : حذف ورمى .

9 ل : بيهسا بمحزز .

فأصابه فمات ، فاستعدى ولده بلال بن أبي بُردة على هلالٍ فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام وعمل في أمره ديسم ابن المنهال أحد بني كابِية بن حرقوص فافتكه بثلاث دِيات ، فقال هلال يمدحه : [من الوافر]

تداركَ دَيْسمٌ حسَباً ومجداً ... رِزاماً بعد ما انشقَّتْ عَصاها

همو حمَلوا المِئِينَ فألحقُوها ... بأهليهـا فكان لهـم سَناها

وما كانــت لتحمِلَها رِزامٌ ... بأَسْتــاهٍ مُعَقَّصَـة لِحاها

بكابيـةَ بنِ حُرقُوصٍ وجدٌّ ... كريـمٍ لا فتـى إلاّ فَتاها

[نهم هلال وكثرة أكله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثني نصر بن علي الجَهْضَميّ قال حدّثنا الأصمعيّ ، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمِّل الصَّيرفيّ قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قـال حدّثنا المُعْتمِر بن سليمان قـال : قلت لهلال بن أسعر : ما أَكْلةٌ أكلتَها بلغتني عنك ؟ قال : جُعتُ مرّةً ومعي بعيري فنحرته وأكلته إلاّ ما حملت منه على ظهري ، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل المضري : ثم أردت امرأتي فلم أقدر على جماعها ؛ فقالـت لي : ويحك ؛ كيف تصل إليّ وبيني وبينك بعيرٌ ! قال المعتمر : فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ قال : أربعة أيّام . وحدّثني به ابن عَمَّار قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ عن مُعتمِر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لهلال بن الأسعر ، هكذا قال ابن أبي سعد : معتمر عن أبيه وقال في خبره : فقلت له ، كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : خمساً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال حدّثني شيخ من بني مازن قال : أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميع ما في بيتنا ، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلمّا رأى الخبز قد اختلف عليه قال : كأنّكم أرسلتم إلى الجيران ، أعندكم سَوِيق ؟ قلنا : نعم ، فجئتُه بجراب طويل فيه سويق وبَرْنيّة نبيذ ، فصبّ السويقَ الذي كان في الجراب كلّه ، فشربه مع النبيذ وصبَّ عليه النبيذ حتى أتى على السويقِ والنبيذ كلّه .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ هلال بن أسعر مرَّ على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطَباً في زَواريق ، فجلس على زورقٍ صغير منها وقد كُثِبَ الرطب فيه وغُطّي بالبواري ؛ قال له : يا ابن عمّ آكلُ من رُطَبك هذا ؟ قال : نعم ؛ قال : ما يكفيني . قال : ما يكفيك ؛ فجلس على صدر الزورق

وجعل يأكل إلى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف ، فكُشف الزورق فإذا هو مملوء نوًى قد أكل رُطَبه وألقى النوى فيه .

قال المدائنيّ وحدّثني مَن سأله عن أعجبِ شيء أكله ، فقال : مائتي رغيف مع مَكّوكِ[1] ملح .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازيّ ، وكان كَهْلاً سَرِيّاً مُعَدّلاً ، قال حدّثني شبان النِّيليّ عن صدقة بن عبيد المازنيّ قال : أولَمَ عليّ أبي لما تزوّجت فعَمِلنا عشر جِفانٍ ثريداً من جَزورٍ . فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ ، فقدّمنا إليه جفنةً فأكلها ثم أُخرى ثم أُخرى حتى أتى على العشر ، ثم استسْقَى فأُتي بقربةٍ من نبيذ فوضع طرفها في شِدقه ففرّغَها في جوفه ، ثم قام فخرج ؛ فاستأنفنا عمل الطعام .

[أبو عمرو بن العلاء لم يَرَ أطول منه]

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال : حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال : رأيت هلال بن أسعر ميتاً ولم أره حيّاً ، فما رأيت أحداً على سرير أطول منه .

[غنّى مخارق الرشيد فأعتقه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد قال حدّثني بعض حاشية السلطان قال : غنّى إبراهيم الموصليّ الرشيد يوماً : [من البسيط]

يا ربعَ سَلْمى لقد هيّجتَ لي طربا زِدتَ الفــؤاد على علاّتــه وَصَبا

قال : والصنعةُ فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عَزُّون ، فأُعجِبَ به الرشيد وطرِب له واستعاده مراراً ؛ فقال له الموصليّ : يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مُخارقٍ ، فإنّه أخذه عنّي وهو يفضُلُ فيه الخلق جميعاً ويَفضُلُني ، فأمر بإحضار مُخارقٍ ، فأُحضِر فقال له غنِّني :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا زدتَ الفــؤاد على عِلاّتــه وصَبا

فغنّاه إيّاه ؛ فبكى وقال : سَلْ حاجتكَ ! قال مخارق : فقلت : تُعتِقُني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشَرِّفني بولائك ، أعتقك الله من النار ؛ قال : أنت حرّ لوجه الله ، أعِدِ الصوت ؛ قال : فأعدته . فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ضيعةٌ تُقيمُني غلّتها ؛ فقال : قد أمرت لك بها ، أعد الصوت ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يأمر لي أمير المؤمنين

1 المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

بمنزلٍ وفرشِهِ وما يصلحه وخادمٍ فيه ؛ قال : ذلك لك ، أعِدْه ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ قلتُ : حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطِيل الله بقاءك ويُديم عزّك ويجعلني من كلّ سوء فداءك ؛ قال : فكان إبراهيم الموصليّ سبب عتقه بهذا الصوت .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثني هارون بن مخارق ، وحدّثني به الصُّوليّ أيضاً عن وكيع عن هارون بن مخارق قال : كان أبي إذا غنّى هذا الصوت : [من البسيط]

يا ربعَ سلمى لقد هيّجت لي طربا زدتَ الفؤاد على عِلاّته وصَبا

يقول : أنا مولى[1] هذا الصوت ؛ فقلت له يوماً : يا أبت ، وكيف ذلك ؟ فقال : غنّيتُه مولاي الرشيد فبكى وقال : أحسنتَ ، أعِد فأعدتُ ؛ فبكى وقال : أحسنت ! أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي ، وذكر قريباً ممّا ذكره المبرّد من باقي الخبر .

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن أبي الدُّنيا قال حدّثني إسحاق النَّخعيّ عن حسين بن الضَّحَّاك عن مُخارق : أنّ الرشيد أقبل يوماً على المغنّين وهو مضطجع ، فقال : مَن منكم يغنّي :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا زدتَ الفؤاد على عِلاّته وصَبا

قال : فقمت فقلت : أنا ، فقال : هاتِه ؛ فغنّيتُه فطرب وشرب ، ثم قال : عليّ بهَرثمة ، فقلت في نفسي : ما تُراه يريد منه ؟ فجاؤوا بهرثمة فأُدخِلَ إليه وهو يَجُرّ سيفه ، فقال : يا هرثمة ، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهنّا ؛ فقال : انصرف فانصرف ؛ ثم أقبل عليّ فقال : قد كنيتك أبا المهنّا لإحسانك ، وأمر لي بمائة ألف درهم ، فانصرفتُ بها وبالكنية .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه[2]

[من الوافر]

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشْد منه إذا نظرتْ ومستمِعاً سَمِيعا
أطاف بِغَيِّه فعدلتُ عنها وقلت له أَرى أمراً فظيعا[3]

الشعر لعُروة بن الورد ، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبِنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن عمرو أيضاً .

---

1 التذكرة : عتيق .
2 ديوان عروة : 50 .
3 الشطر الأول في الديوان : «أطاف بغيه فعدلت عنه» .

[23] ـ أخبار عروة بن الوَرْد ونسبه[1]

[نسبه ، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور]

عُرْوةُ بن الوَرد بن زيد ، وقيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشِب بن هريم[2] بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار ، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارس من فُرسانها وصُعلوك من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد .

[سبب تلقيبه بعروة الصعاليك]

وكان يلقَّب عروة الصعاليك لجَمعه إيّاهم وقيامه بأمرهم[3] إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مغزىً ، وقيل : بل لُقّب عروة الصعاليك لقوله[4] : [من الطويل]

لَحى اللهُ صُعلوكاً إذا جَنّ ليلُه مُصافي المُشاشِ آلِفاً كلَّ مَجزرِ[5]

يَعُدُّ الغنى مِن دهـره كلَّ ليلةٍ أصابَ قِراها من صَدِيقٍ مُيَسَّرِ

وللهِ صُعلوكٌ صفيحةُ وجهِـه كضوءِ شهابِ القابسِ المتنوِّرِ[6]

[شرف نسبه وتمنّي الخلفاء أن يصاهروه أو ينتسبوا إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال بلغني أنّ معاوية قال : لو كان لعُروة بن الوَرْد وَلدٌ لأحببتُ أن أتزوّج إليهم .

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ ، وحدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مُسلم قالا جميعاً : قال عبد الملك بن مروان :

---

1 ترجمة عروة بن الورد في الشعر والشعراء : 566 (دار الثقافة 1964) ، وأخباره ومختارات من شعره منثورة في مصادر كثيرة كخزانة الأدب للبغدادي (تحقيق عبد السلام هارون) وأمالي القالي (انظر الفهرس) وحماسة أبي تمام (شرح المرزوقي تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 421 ، 464 ، 1169 ، 1575 ، 1653 ، 1723 وانظر التذكرة الحمدونية (تحقيق إحسان عبّاس وبكر عبّاس ، دار صادر 1996 ، بيروت) 2 : 279 ، 430 ، 4 : 20 ، 5 : 104 ، 7 : 338 ، 8 : 91 ، 98 ، 117 ، 118 ، والبصائر والذخائر للتوحيدي (تحقيق د . وداد القاضي ، دار صادر 1988 ، بيروت) 7 : 162 ، وقد طبع ديوانه مرّات .

2 ل : هرم .

3 ل : بأمورهم .

4 ديوان عروة (طبعة دار صادر ، بيروت 1964) : 37 وهذه الأبيات من قصيدة له طويلة .

5 مصافي المشاش : مؤثر رؤوس العظام اللينة .

6 وللهِ صُعلوك في الديوان : ولكن صعلوكاً .

ما يسُرّني أنّ أحداً من العرب ولَدني ممّن لم يَلِدْني إلاّ عروة بن الورد لقوله[1] : [من الطويل]

إنِّي امـرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكَـةٌ وأنت امرؤٌ عافي إنائِكَ واحدُ
أتهـزأ منّي أن سمِنْتَ وأن ترى بجسمي مَسَّ الحقّ والحقُّ جاهِدُ[2]
أُفرِّق جِسْمِي في جسومٍ كثيرةٍ وأَحْسُو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ[3]

[قال الحطيئة لعمر بن الخطّاب كنّا نأتم في الحرب بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال : بلغني أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا ألف حازِم ، قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنّا لا نعصيه ، وكنّا نُقْدِم إقدام عنترة ، ونأتمُّ بشعر عروة بن الوَرْد ، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زياد .

[أجود من حاتم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال : ويقال : إنّ عبد الملك قال : من زعم أنّ حاتماً أَسمحُ الناسِ فقد ظلمَ عُروة بن الوَرْد .

[منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا إبراهيم بن المُنذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال : سمعت أنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلِّم ولده : لا تُرَوِّهم قصيدة عُروة بن الورد التي يقول فيها[4] : [من الوافر]

دَعِيني للغِنَى أَسْعى فإنِّي رأيتُ الناسَ شرُّهُم الفقيرُ

ويقول : إنّ هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

[خبر عروة مع سلمى سبيته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهريّ عن عامر بن جابر قال : أغار عُروة بن الورد على مُزَينة فأصاب منهم امرأةً من كِنانة ناكحاً ، فاستاقها ورجع وهو يقول[5] : [من الطويل]

---

1 ديوان عروة : 29 .
2 الشطر الثاني في الديوان والحماسة : بوجهي شحوب الحقّ والحقّ جاهد ، ومسّ في ل : شحوب .
3 ديوان والحماسة : أقسم .
4 ديوانه : 45 .
5 ديوانه : 63 .

تَبَغَّ عَدِيّاً حيث حَلّتْ ديارَها وأبناءَ عَوْفٍ في القُرُونِ الأوائلِ[1]
فإلاّ أَنَلْ أَوْساً فإنّي حَسْبُها بمُنْبطِحِ الأدغالِ من ذي السلائلِ[2]

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النَّضير ، فلمّا رأوْها أعجبتهمْ فسَقَوْه الخمر ، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم ، وكان لا يمسُّ النساء ، فلمّا أصبح وصحا ندم فقال :

سَقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني

الأبيات . قال : وجَلاها النبي ﷺ مع مَن جلا من بني النضير .

وذكر أبو عمرو الشيبانيّ من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنّه أصاب امرأة من بني كنانة بِكْراً يقال لها سلمى وتُكنى أمَّ وهب ، فأعتقها واتَّخذها لنفسه ، فمكثتْ عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشكّ في أنّها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حَجَجتَ بي فأَمُرَّ على أهلي وأراهم ؛ فحجّ بها ، فأتى مكّة ثم أتى المدينة ، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيُقرضونه إن احتاج ويُبايعهم إذا غَنِم ، وكان قومها يخالطون بني النضير ، فأتوهم وهو عندهم ؛ فقالت لهم سلمى : إنّه خارجٌ بي قبل أن يخرج الشهرُ الحرام ، فتعالوا إليه وأخبروه أنّكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سَبِيَّة ، وافتدوني منه فإنّه لا يرى أنّي أُفارقه ولا أُختار عليه أحداً ، فأتوه فسَقَوه الشراب ، فلمّا ثمل قالوا له : فادِنا بصاحبتنا فإنّها وسيطة النسب فينا معروفة ، وإنّ علينا سُبَّةً أن تكون سبيَّة ، فإذا صارت إلينا وأردتَ معاودتها فاخطُبها إلينا فإنّنا نُنكحك ؛ فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي الشرط فيها أن تُخيِّروها ، فإن اختارتني انطلقتْ معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذاك لك ؛ قال : دعوني أَلْهُ بها الليلة وأُفادِها غداً ، فلمّا كان الغد جاؤوه فامتنع من فدائها ؛ فقالوا له : قد فاديتنا بها منذ البارحة ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفاداها ، فلمّا فادوه بها خيّروها فاختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة أمَا إنّي أقول فيك وإن فارقتُك الحقَّ : والله ما أعلم امرأةً من العرب ألقت سِترَها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضَّ طرفاً وأقلّ فُحشاً وأجود يداً وأحمى لحقيقة ؛ وما مرّ عليّ يومٌ منذ كنت عندك إلاّ والموت فيه أحبُّ إليّ من الحياة بين قومك ، لأنّي لم أكن أشاء أن أسمع امرأةً من قومك تقول : قالت أمَةُ عروة كذا وكذا إلاّ سمعتُه ؛ ووالله لا أنظر في وجه غَطَفانيَّةٍ أبداً ، فارجع راشداً إلى ولدك وأحسِنْ إليهم . فقال عروة في ذلك :

1 عديّاً في الديوان : عداء .

2 الشطر الثاني في ل والديوان : بمنبطح الأوعال من ذي الشلائل .

سقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني[1]

وأوّلها[2] : [من الوافر]

أرِقتُ وصُحْبتي بمضيقِ عَمْقٍ ... لبرقٍ من تَهامةَ مُستَطِيرِ[3]

سَقى سَلْمى وأين ديارُ سلْمى ... إذا كانت مُجاورةَ السَّريرِ[4]

إذا حَلَّتْ بأرض بني عليّ ... وأهلي بين إمَّرَةٍ وَكِيرِ[5]

ذكرتُ منازلاً من أمّ وهبٍ ... محلَّ الحيِّ أسفلَ من نَقِيرِ[6]

وأُحْدَثُ معهدٍ من أمّ وهبٍ ... مُعرَّسُنا بدار بني النَّضيرِ

وقالوا ما تشاءُ فقلتُ أَلْهُو ... إلى الإصباحِ آثِرَ ذي أَثِيرِ[7]

بآنسةِ الحديثِ رُضابُ فِيها ... بُعَيدَ النومِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

وأخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو ، وقال فيها : إنّ قومَها أَغلَوْا بها الفِداء ، وكان معه طَلْقٌ وجُبار أخوه وابن عمّه ، فقالا له : والله لئن قبِلتَ ما أعطَوك لا تفتقِرُ أبداً ، وأنتَ على النساء قادر متى شئت ، وكان قد سَكِرَ فأجاب إلى فدائها ، فلمّا صحا ندم فشهِدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع . وجاءت سلمى تُثني عليه فقالت : والله إنّك ما علِمتُ لضَحُوكٌ مُقبِلاً ، كسوبٌ مُدبِراً ، خفيفٌ على مَتن الفرس ، ثقيل على العدو ، طويل العماد ، كثير الرَّماد ، راضي الأهل والجانب ، فاستوصِ ببنيك خيراً ، ثم فارقتْه . فتزوّجها رجل من بني عمِّها ، فقال لها يوماً من الأيّام : يا سلمى ، أثْني عليّ كما أثنيتِ على عروة ، وقد كان قولها فيه شُهِرَ ، فقالت له : لا تُكلِّفني ذلك فإنّي إن قلتُ الحقَّ غَضِبتَ ولا واللاّتِ والعُزّى لا أكذب ؛ فقال : عزمت عليكِ لتأْتيني في مجلس قومي فلَتُثنِين عليّ بما تعلمين ، وخرج فجلس في نَدِيّ القوم ، وأقبلت فرماها القوم[8] بأبصارهم ، فوقفت عليهم وقالت : أَنعِموا صباحاً ، إنّ هذا عزَم عليّ

1 الخمر في الديوان : النسء وهو الخمر .
2 ديوان عروة : 31–32 .
3 عمق : موضع قرب المدينة .
4 السرير : موضع في بلاد بني كنانة .
5 إمّرة وكير : جبلان ، وفي الديوان : زامرة .
6 نقير : موضع . وفي الديوان وياقوت : أسفل ذي نقير .
7 آثر ذي أثير : أوّل كلّ شيء .
8 ل : الناس .

أن أُثنيَ عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه فقالت : والله إنّ شِملتَك لالتِحاف ، وإنّ شُربَك لاشتِفاف[1] ، وإنّك لتنام ليلة تخاف ، وتَشبع ليلة تُضاف ، وما تُرضي الأهل ولا الجانب ، ثم انصرفت . فلامَه قومه وقالوا : ما كان أغناك عن هذا القول منها .

[كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم]

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني أبو فقعسٍ قال : كان عروة بن الوَرْد إذا أصابت الناس سنةٌ شديدةٌ تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يَحفِرُ لهم الأسراب ويَكنُف عليهم الكُنُفَ[2] ويَكسِبُهم ، ومَن قَوِي منهم ، إمّا مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيفٌ تثوب قوّته ، خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصَبَ الناس وألبَنوا وذهبت السَّنة ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقسَم له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها ، فربّما أتى الإنسان منهم أهلَه وقد استغنى ، فلذلك سُمّي عروة الصعاليك ، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله[3] : [من الطويل]

لعلّ ارتيادي في البلادِ وبُغيَتي وشَدّي حَيازِيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ[4]
سيدفَعُني يوماً إلى ربّ هَجْمَةٍ يُدافِعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخلِ[5]

[أغار مع جماعة على رجل فأخذ إبله وامرأته ثم هجاهم]

فزعموا أنّ الله عزّ وجلّ قيَّضَ له وهو مع قوم من هُلاَّكِ عشيرته في شتاءٍ شديدٍ ناقتين دهماوَيْن ، فنحَر لهم إحداهما وحمَل متاعهم وضُعفاءَهم على الأخرى ، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان ، وكان بين النَّقرة والرَّبذَة[6] فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له : ماوان[7] . ثم إنّ الله عزّ وجلّ قيَّضَ له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه ، وذلك أوّل ما ألبنَ الناسُ ، فقتله وأخذ إبله وامرأته ، وكانت من أحسن النساء ، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملَهم عليها ، حتى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقسِمُها بينهم وأخذ مثلَ

1 شربك اشتفاف : تعني أنّه يشرب كلّ في الإناء .
2 يكنف عليهم الكنف : يتّخذ لهم حظائر يؤون إليها ، واحدها الكنيف .
3 ديوان عروة : 54 .
4 ارتيادي في الديوان والحماسة : انطلاقي .
5 الهجمة من الإبل : أربعون أو أكثر ، فإذا بلغت مائة فهي هنيدة .
6 النقرة : من منازل حاج الكوفة ؛ والربذة : من قرى المدينة .
7 ماوان : قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة .

نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللاتِ والعُزّى لا نرضى حتى تجعلَ المرأة نصيباً فمن شاء أخذها ؛ فجعل يَهُمُّ بأن يحمِلَ عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم ، ثم يذكرُ أنّهم صنيعته وأنّه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع ، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يُردّ عليهم الإبل إلاّ راحلةً يحمِلُ عليها المرأة حتى يلحَقَ بأهله ، فأبوا ذلك عليه ، حتى انتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه ؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أوّلها[1] : [من الطويل]

ألا إن أصحابَ الكَنِيفِ وجدتُهم ... كما الناسِ لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا

وإنّي لمدفُوعٌ إليّ وَلاؤُهُم ... بماوانَ إذ نَمْشي وإذ نَتملمَلُ

وإنّي وإيّاهم كذِي الأمِّ أرْهَنَتْ ... له ماءَ عينيْها تُفدّي وتَحمِلُ[2]

فباتت بحدّ المِرْفَقيْن كِلَيْهما ... تُوَحوِحُ ممّا نالها وتُوَلْوِلُ[3]

تُخَيَّرُ من أمرين ليسا بغِبطةٍ ... هو الثُّكلُ إلاّ أنّها تتجمَّلُ[4]

[سبى ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً]

وقال ابن الأعرابيّ في هذه الرواية أيضاً : كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها : ليلى بنت شعواء ، فمكثتْ عنده زماناً وهي مُعجبة له تُريه أنّها تحبّه ، ثم استزارته أهلها فحملها حتّى أتاهم بها ، فلمّا أراد الرّجوع أبتْ أن ترجع معه ، وتوعّده قومها بالقتل فانصرف عنهم ، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلى ، خبِّري صواحبك عنّي كيف أنا ؛ فقالت : ما أرى لك عقلاً ، أتُراني قد اخترتُ عليك وتقول : خبِّري عنّي ، فقال في ذلك[5] : [من الطويل]

تَحِنّ إلى ليلى بجوّ بلادها ... وأنت عليها بالمَلا كنتَ أقدرا[6]

وكيف تُرَجّيها وقد حِيلَ دونَها ... وقد جاوزتْ حيّاً بتيْماء مُنكَرا

لعلّك يوماً أن تُسرِّي ندامةً ... عليّ بما جشّمتَني يوم غَضْوَرا[7]

وهي طويلة .

1 ديوان عروة : 56-58 .

2 وإيّاهم في الديوان : وإيّاكم . أرهنت : أدامت .

3 بحد المرفقين في الديوان : لحد المرفقين ، أي أنّها باتت متكئة على مرفقيها .

4 تتجملُ في الديوان : قد تجمّل .

5 ديوانه : 33-35 ، وهي أبيات من قصيدة طويلة .

6 بجو بلادها في الديوان : بحر بلادها : أي وسطها . الملا : المتّسع من الأرض .

7 تسرّي هنا : تظهري ، وهو من الأضداد . غضور : مدينة فيما بين المدينة وبلاد خزاعة وكنانة .

قال : ثم إنّ بني عامر أخذوا امرأة من بني عَبس ثم من بني سُكَين يقال لها أسماء ، فما لبِثتْ عندهم إلاّ يوماً حتّى استنقذَها قومُها ؛ فبلغَ عروة أنّ عامر بن الطُّفيل فخر بذلك وذكر أخذَه إيّاها ، فقال عروة يعيّرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية[1] : [من الطويل]

إن تأخُذوا أسماءَ مَوقِفَ ساعةٍ فمأْخَذُ ليلى وهي عَذْراءُ أعجبُ
لبِسنا زماناً حُسنَها وشَبابَها ورُدَّتْ إلى شَعْواء والرأسُ أشيبُ
كمأْخذِنا حسناءَ كرهاً ودمعُها غداةَ اللِّوى مَغصوبةً يَتصبّبُ

[خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها]

وقال ابن الأعرابيّ : أُجْدَب ناس من بني عَبْس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس ، فأتوا عُروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلمّا بَصُروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصَّعاليك ، أغِثْنا ؛ فرَقّ لهم وخرج ليغزوَ بهم ويُصيب معاشاً ، فنهتْه امرأته عن ذلك لِما تخوّفتْ عليه من الهلاك ، فعصاها وخرج غازياً ، فمرّ بمالِك بن حِمار الفزاريّ ثم الشَّمخيّ ؛ فسأله : أين يريد ؟ فأخبره ، فأمر له بجَزور فنحرها فأكلوا منها ؛ وأشار عليه مالكٌ أن يرجع ، فعصاه ومضى حتّى انتهى إلى بلاد بني القَيْن ، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً عاد بها على نفسه وأصحابه ؛ وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

أرى أمَّ حَسّانَ الغَداةَ تلُومُني تُخوِّفني الأعداءَ والنّفسُ أخوفُ
تقول سُلَيمى لو أقمتَ لَسَرَّنا ولم تـدرِ أنّي للمُقام أُطَوِّفُ
لعـلّ الذي خَوّفتِنا مِنْ أمامِنا يُصادفـه في أهلـه المُتَخَلِّفُ

وهي طويلة .

وقال في ذلك أيضاً[3] : [من الطويل]

أليس وَرائي أن أدِبَّ على العصا فيَشْمَتَ أعدائـي ويسأَمَني أهلِي
رَهينـة قَعْـر البيت كلَّ عَشيّـةٍ يُطيفُ بي الوِلْدانُ أَهْدَجَ كالرَّألِ[4]
أقيموا بنـي لُبْنَى صُدورَ رِكابكم فكلُّ مَنايا النّفْس خيرٌ من الهُزلِ
فإنّكمُ لـن تبلُغـوا كلَّ هِمّتِي ولا أرَبـي حتّى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْلِ

---

1 ديوانه : 18 .
2 ديوان عروة : 51 .
3 ديوان عروة : 53–54 .
4 الرأل : ولد النعام . وأهدج كالرأل : أمشي مضطرباً من الكبر كولد النعام .

لعلّ ارتيادي في البــلاد وحِيلتي   وشَدِّي حيازيـمَ المطيّـة بالرَّحْلِ[1]
سيدفعني يَومــاً إلى ربّ هَجْمةٍ   يُدافِـع عنهـا بالعُقـوق وبالبُخلِ

[قصّته مع هذلي أغار على فرسه]

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني حُرّ بن قَطَن أنّ ثُمامة بن الوليد دخل على المنصور ؛ فقـال : يا ثُمامة ، أتحفَظ حديثَ ابن عمِّك عُروة الصَّعاليك بن الوَرْد العَبْسيّ ؟ فقال : أيُّ حديثِه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنَه ؛ قال : حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسَه ؛ قال : ما يَحضُرني ذلك فأَرْويَه يا أمير المؤمنين ؛ فقال المنصور : خرج عروة حتّى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو مِيلين وقد جاع فإذا هو بأَرْنبٍ فرماها ثم أَوْرَى ناراً فشوَاها وأكلها ودفَن النّار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب الليل وغارت النجوم ، ثمّ أتى سَرْحـة[2] فصَعِدها وتخوّف الطّلَب ، فلمّا تغيّب فيها إذ الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَيات[3] . قال : فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركَز رُمحَه في موضع النار وقال : لقد رأيتُ النّارَ هاهنا ؛ فنزل رجلٌ فحفَر قدر ذِراع فلم يجد شيئاً ، فأكبّ القوم على الرجل يعذُلونه ويَعِيبون أمرَه ويقولـون : عنَّيتَنا في مثل هذه الليلة القـرّة وزعمتَ لنا شيئاً كذبت فيه ؛ فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيت النّار في موضع رُمحي ؛ فقالوا : ما رأيت شيئاً ولكن تحذلُقَك وتَدَهِّيَك هو الذي حَملك على هذا ، وما نعجب إلاّ لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك ؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم . واتَّبعهم عروة ، حتى إذا ورَدوا منازلهم جاء عروة فتمكَّن في كِسر بيت ؛ وجاء الرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود ، وعُروة ينظر ، فأتاهـا العبد بعُلبة فيها لبن فقال : اشربي ؛ فقالت لا ، أو تبدأ ، فبدأ الأسود فشرِب ؛ فقالت للرجل حين جاء : لعنَ الله صَلَفك ! عنّيتَ قومك منذ الليلة ؛ قال : لقد رأيت ناراً ، ثم دعا بالعلبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرَع : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة ؛ فقالت امرأته : وهذه أُخرى ، أيُّ ريح رجلٍ تجده في إنائك غيرَ ريحك ؟ ثم صاحت ، فجاء قومها فأخبرتهم خبره ، فقالت : يتّهمني ويظُنّ بي الظُّنون ، فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجع عن قوله ؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أوى الرجل إلى فراشه ، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به ، فضرب الفرس بيده وتحرّك[4] ، فرجع عروة إلى موضعه ، ووثَب الرجل فقال : ما كنتَ لتكْذِبَني فمالكَ ؟ فأقبلت

1 ارتيادي في الديوان : انطلاقي .
2 السرحة : واحدة من شجر السرح وهو شجر عظام يستظلّ بها .
3 البيات : الإيقاع بالقوم ليلاً .
4 ل : ونخر .

عليه امرأته لَوماً وعَذْلاً . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه[1] الرجل ، ثم أَوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم ، فقال : لا أقوم إليكَ الليلة ؛ وأتاه عُروة فجال في متنه وخرج ركْضاً ، وركِب الرجلُ فرساً عنده أنثى . قال عروة : فجعلت أسمعه خَلفي يقول : الحَقِي فإنّك من نسله . فلمّا انقطع عن البيوت ، قال له عُرْوة بن الورد : أيّها الرجل قِف ، فإنّك لو عرفتني لم تُقدم عليّ ، أنا عروة بن الورد ، وقد رأيت الليلة منكَ عجباً ، فأخبرني به وأردَّ إليك فرسك ؛ قال : وما هو ؟ جئتَ مع قومك حتّى ركزتَ رُمحَك في موضع نارٍ قد كنتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيت وقد صدَقْت ، ثم اتّبعتُك حتّى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتَها منهما ، ثم شَممتَ رائحة رجل في إنائك ، وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجتُك بالإناء ، وهو عبدُك الأسود وأظنّ أنّ بينهما ما لا تحبُّ ، فقلتَ : ريحُ رجلٍ ؛ فلم تزل تَثْنيكَ عن ذلك حتى انثنيت ، ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ إليه ، ثم خرجتَ وخرجتَ ، ثم اضربتَ عنه ، فرأيتُك في هذه الخصال أكملَ الناس ولكنّك تَنثني وترجع ؛ فضحِك وقال : ذلك لأخوال السَّوْء ، والذي رأيت من صَرامتي فمن قِبَل أعمامي وهم هُذَيل ، وما رأيت من كَعاعَتي[2] فمن قِبَل أخوالي وهم بطنٌ من خُزاعة ، والمرأة التي رأيت عندي امرأةٌ منهم وأنا نازلٌ فيهم ، فذلك الذي يَثْنيني عن أشياء كثيرة ، وأنا لاحقٌ بقومي وخارجٌ عن أخوالي هؤلاء ومُخَلٍّ سبيلَ المرأة ، ولولا ما رأيتَ من كَعاعتي لم يقوَ على مناوأة قومي أحدٌ من العرب . فقال عروة : خُذْ فرسَك راشداً ؛ قال : ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثله[3] ، فخذه مباركاً لك فيه . قال ثمامة : إنّ له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا .

[قصّة غزوه لماوان وحديثه مع غلام تبيّن بعد أنّه ابنه]

قال المنصور : أفَلا أُحدّثك له بحديثٍ هو أظرف من هذا ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره . قال : خرج عروة وأصحابُه حتى أتى ماوان فنزل أصحابه وكَنَف عليهم كَنيفاً من الشجر ، وهم أصحاب الكَنيف الذي سمعته قال فيهم : [من الطويل]

ألا إنّ أصحابَ الكنيف وجدتُهم ... كما الناس لَمّا أمرَعُوا وتموّلوا

وفي هذه الغَزاة يقول عروة[4] : [من الطويل]

---

1 ل : ومنعه الفرس .

2 الكعاعة : الجبن والضعف .

3 ل : خير منه .

4 ديوان عروة : 23 .

أقول لقـــوم في الكَنيفِ تَروّحُوا عَشِيّةَ قِلْنا حولَ مــاوانَ رُزَّحِ[1]

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

لِيَبْلُغَ عُــذْراً أو يُصِيــبَ غَنيمــةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذرَهــا مِثْلُ مُنْجِحِ[2]

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جُهِدُوا ، فإذا هو بأبيات شَعَرٍ وبامرأة قد خلا من سنِّها وشيخٍ كبيرٍ كالحِقاء[3] المُلقى ، فكمَن في كِسر بيتٍ منها ، وقد أجدبَ الناس وهَلَكت الماشية ، فإذا هو في البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشويّةٍ ، فقال ثمامة : وما السُّحور ؟ قال : الحلقوم بما فيه ، والبيت خالٍ فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعته وقَوِي ، فقال : لا أُبالي مَن لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأة فظنَّتْ أنّ الكلبَ أكلها فقالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ ! وطردَته . فإنه لكذلك إذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأت الأُفُق وإذا هي تلتفِت فَرَقاً ، فعلم أنّ راعيَها جلدٌ شديدُ الضرب لها ، فلمّا أتتِ المُناخ بركَت ، ومكث الراعي قليلاً ثم أتى ناقةً منها فَمرى[4] أخلافَها ، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها ، ثم أتى الشيخ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أُخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز ، ثم أتى أُخرى ففعل بها كذلك فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجع ناحية ، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف تَرَيْنَ ابني ؟ فقالت : ليس بابنك ! قال : فابن مَن ويلك ؟ قالت : ابن عروة بن الورد ، قال : ومِن أين ؟ قالت : أتذكر يوم مرَّ بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت : هذا عروة بن الورد ، ووصفتَه لي بِجَلَدٍ فإنّي استظرفته . قال : فسكت : حتى إذا نوّم وثَب عروة وصاح بالإبـل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألاّ يَتبعه الغلام ، وهو غلام حين بدا شاربه ، فاتّبعه . قال : فاتخذا[5] وعالجه . قال : فضرب به الأرض فيقع قائماً ، فتخوّفه على نفسه ، ثم واثبه فضرب به وبادره ، فقال : إنّي عُروة بن الورد ، وهو يريد أن يُعجِزَه عن نفسه . قال : فارتدع ، ثم قال ما لكَ ويلك ؟ لستُ أشكُّ أنّك قد سمعتَ ما كان من أمّي ؛ قال قلت : نعم فاذهب معي أنت وأمّك وهذه الإبلُ ودَعْ هذا الرجل فإنّه لا ينهاك عن شيء ، قـال : الذي بقي من عمر الشيخ قليلٌ ، وأنا مقيمٌ معه ما بقي ، فإن له حقّاً وذماماً ، فإذا هلك فما أسرعني إليك ، وخذ من هذه الإبل بعيراً ؛ قلت : لا يكفيني ، إنّ معي أصحابي قد خلَّفتُهم ؛ قال : فثانياً ، قلت لا ؛ قال : فثالثاً ، والله لا زِدتُكَ على ذلك . فأخذها ومضى إلى

1 الديوان والحماسة : قلت لقوم . . . عشية بتنا» ، وفي رواية : أقول لأصحاب الكنيف . . .

2 الديوان : رغيبة .

3 ل : كالخباء .

4 مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .

5 اتّخذا : تقاتلا .

أصحابه ، ثم إنّ الغلام لَحِقَ به بعد هَلاك الشيخ . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد زيَّنته عندنا وعظّمته في قلوبنا ؛ قال : فهل أعقبَ عندكم ؟ قال لا ، ولقد كنّا نتشاءم بأبيه ، لأنـّه هو الذي أوقعَ الحربَ بين عَبْسٍ وفزارة بمراهنته حُذيفة ، ولقد بلغني أنـّه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثِرُه على عروة فيما يعطيه ويُقرِّبُه ، فقيل له : أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه ! قال : أتَرَوْن هذا الأصغر ؟ لئن بقي مع ما رأى من شدّة نفسه ليَصيرَنّ الأكبر عِيالاً عليه .

صوت

من المائة المختارة[1]

[من البسيط]

أزْرَى بنــا أنّنا شالَتْ نَعامتُنا فخالني دونه بــل خِلتُه دونــي

فإن تُصبكَ من الأيّام جائحةٌ لم أَبكِ منك على دنيا ولا دينِ[2]

الشعر لذي الإصبع العَدْوانيّ ، والغناء لِقيلٍ مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . معنى قوله أزرى بنا : قَصَّر بنا ، يقال : زَرَيتُ عليه إذا عِبتَ عليه فِعلَه ، وأزريتُ به إذا قَصَّرتَ به في شيء . وشالت نعامتُهم إذا انتقلوا بكُلِّيتهم ، يقال : شالت نعامتُهم ، وزَفَّ رَألُـهمْ ، إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبقَ فيه منهم أحد ولم يبقَ لهم فيه شيء . وخالني : ظنني ، يقال : خِلتُ كذا وكذا فأنا إخاله إذا ظننتَه . والجائحة : النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نزلَتْ به .

1 هذان البيتان من نونية ذي الإصبع العدواني التي مطلعها :

يا من لقلب شديد الهم محزون أمسى تذكـر ليلى أم هـارون

وهي المفضلية الحادية والثلاثون ، وقد أوردها القالي كاملة في أماليه 1 : 255 وما بعدها ومنتهى الطلب 3 : 62–63 (طبعة دار صادر) ، وتجد تخريجاً كاملاً لها في المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط . 7 ، دار المعارف ، القاهرة) .

2 لم يرد هذا البيت في المفضليات ولا عند القالي ، وسيورد أبو الفرج جانباً كبيراً من القصيدة ليس فيه هذا البيت . وانظر ديوانه (جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي ، الموصل ، 1973) .

[24] ـ ذكر ذي الإصبع العدوانيّ ونسبُه وخبره[1]

[نسبه]

هو حُرثان بن الحارث بن مُحرِّثِ بن ثعلبة بن سَيّار بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر بن عَدْوان بن عمرو بن سَعَد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار ، أحد بني عدوان وهم بطنٌ من جَدِيلَة . شاعرٌ فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة .

[فنيت عدوان فرثاها]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيعٌ وابن عَمّار والأسديّ ، قالوا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أبو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال : نزلَت عدوان على ماء فأَحْصَوْا فيهم سبعين ألف غلام أغْرَلَ[2] سِوى من كان مختوناً لكثرة عددهم ، ثم وقع بأسهُم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

عَذِيـرَ الحيّ مِـن عَدْوا ... نَ كانوا حَيَّـةَ الأرضِ[4]

بَغَـى بعضُهُـمُ بعضـاً ... فلم يُبْقُوا على بعضِ

فقـد صاروا أحـاديثَ ... برَفْعِ القولِ والخفضِ[5]

ومنهـم كانـت السَّادا ... تُ والمُوفُـونَ بالقَرْضِ

ومنهـم مَـنْ يُجيزُ النا ... سَ بالسُّنَّـة والفَرْضِ

ومنهـم حَكَـمٌ يَقْضِي ... فلا يُنقَضُ مـا يَقضِي

1 ترجمة ذي الإصبع العدواني في الشعر والشعراء لابن قتيبة : 597–598 (طبعة دار الثقافة ، بيروت) والمؤتلف والمختلف للآمدي : 118 والسمط : 289 والخزانة 5 : 282 وما بعدها (تحقيق عبد السلام هارون) والمفضلية 29–31 بشرح ابن الأنباري (تحقيق ليال) وبتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون وأمالي القالي 1 : 255 وما بعدها ، وأورد ابن حمدون في مواطن متفرّقة من التذكرة نتفاً من أخباره وشعره وأمثاله (انظر الفهرس) .

2 أغرل : غير مختون .

3 ديوانه : 46–52 .

4 حية الأرض : يقال للرجل الصعب المنيع الجانب حيّة الأرض .

5 أي أنّهم أصبحوا أحاديث للناس في السرّ والعلن .

غنّى في هذه الأبيات مالكٌ ثقيلاً أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو .

وأمّا قولُ ذي الإصبع :

ومنهم حَكَـمٌ يَقضِي

فإنّه يعني عامرَ بنَ الظَّرب العَدواني ، كان حَكَماً للعرب تَحْتَكِم إليه .

[من قرعت له العصا]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن محمد بن حبيب قال : قيس تدَّعي هذه الحكومة وتقول : إنّ عامر بن الظَّرب العدوانيّ هو الحَكَم وهو الذي كانت العصا تُقرَع له ، وكان قد كَبِرَ فقال له الثاني من ولده : إنّك ربّما أخطأتَ في الحكم فيُحمَل عنك ؛ قال : فاجعلوا لي أَمارةً أعرفُها فإذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الحكم والصواب ، فكان يجلس قُدّامَ بيته ويقعدُ ابنُه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ[1] أو هفا قرَع له الجَفنة فرجع إلى الصواب . وفي ذلك يقولُ المتلمِّسُ[2] : [من الطويل]

لِذِي الحِلم قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا وما عُلِّـمَ الإنسانُ إلاّ ليَعلَمـا

قال ابن حبيب : وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام . واليمنُ تدّعيه لربيعة بن مُخاشِنٍ ، وهو ذو الأعواد ، وهو أوّل من جلس على مِنبر أو سرير وتكلّم ؛ وفيه يقول الأَسود بن يَعفُر : [من الكامل]

ولقد علمتُ لَوَ آنّ علمِي نافِعِي أنّ السبيلَ سبيـلُ ذِي الأعوادِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال أخبرنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : زعم أبو عمرو بن العلاء أنّه ارتحلتْ عَدوان من منزلٍ ، فعُدَّ فيهم أربعونَ ألفَ غلام أَقْلَف . قال الرياشيّ وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبيّ قال : وقع على إيّادٍ البقُّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقّتانِ .

[سؤال عبد الملك بن مروان عن ذي الإصبع]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا أحمد بن عبيدٍ أبو عَصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزياديّ ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمرُ بن شبّة ولم يُسنده إلى أحد وروايته أتمّ : أنّ عبد الملك بن مروان لما قَدِم الكوفة بعد قتله مُصعب بن الزبير جلس لعرض[3] أحياء العرب ، وقال عمرُ بن شبة : إنّ مصعب بن الزبير

---

1 ل : زلّ .

2 راجع ذلك في كتب الأمثال .

3 ل : جعل يعترض .

كان صاحب هذه القصّة ، فقام إليه معبد بن خالد الجَدَليّ ، وكان قصيراً دميماً ، فتقدّمه إليه رجل منّا حسنُ الهيئة ؛ قال معبد : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : ممّن أنت ؟ فسكتَ ولم يقل شيئاً وكان منّا ، فقلتُ من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلة ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : مِن أيّكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان عَدوانيّاً ؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال : لِمَ سُمِّيَ ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ فقلت : نهشتْه حيّةٌ في إصبعه فيبست ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وبِمَ كان يسمَّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان يسمَّى حُرْثانَ ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : مِن أيّ عدوان كان ؟ فقلت منْ خَلفه : من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر : [من الطويل]

وأمّا بَنُو نـاجٍ فـلا تَذْكُرَنَّهُمْ ... ولا تُتبِعَنْ عَينيكَ ما كان هالكا

إذا قُلتُ معروفاً لأُصلِحَ بينهم ... يقـولُ وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلكا

وروى عمرُ بن شبّة : لا أسَلّم . [من الطويل]

فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُه ... يَـدِبُّ إلى الأعداء أحـدَبَ بارِكا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أَنشِدني قوله : [من الهزج]

عذيـرَ الحـيّ مـن عَدوانَ

قال الرجل : لستُ أَرويها ؛ قلت : يا أمير المؤمنين إن شئتَ أنشدتُك ؛ قال : ادْنُ منّي ، فإنّي أَراكَ بقومك عالِماً ؛ فأنشدته[1] : [من مجزوء الوافر]

وليس المـرءُ في شيءٍ ... مـن الإبـرامِ والنقِضِ

إذا أبـرم أمـراً خـا ... لـه يَقْضِي وما يَقْضِي

يقـولُ اليـومَ أُمْضِيه ... ولا يَملِكُ مـا يُمْضِي

عَذِيـرَ الحـيّ من عَدوا ... نَ كانوا حَيَّـةَ الأرضِ

بغـى بعضُهـمُ بعضـاً ... فلم يُبْقُوا على بعضِ

فقـد صـاروا أحاديثَ ... برفع القـولِ والخفضِ

ومنهـم كانـت السادا ... تُ والموفُـونَ بالقَرضِ

ومنهـم حَكَـمٌ يَقضِي ... فلا يُنقَضُ مـا يَقضِي

---

1 ديوانه : 46–52 .

ومنهـم مـن يُجيزُ النا سَ بالسُّنَّــةِ والفـرضِ
وهم مـَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا بسرّ الحَسبِ المَحْـضِ[1]
ومِمَّـنْ ولــدوا عامِــ ـرُ ذو الطول وذو العرضِ
وهـم بَـوَّوْا ثَقِيفــاً دا رَ لا ذُلٍّ ولا خَفْـضِ[2]

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، فأقبل عليّ فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة ؛ فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا ؛ فانصرفتُ بها .

وقوله : «ومنهم من يُجيزُ الناس» فإنّ إجازة الحجّ كانت لخُزاعة فأخذتْها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سَيّارة أحدُ بني وابش بن زيد بن عدوان . وله يقول الراجز : [من الرجز]

خَلّوا السبيلَ عن أبي سَيَّارَهْ وعـن مَواليـه بنـي فَزارهْ
حتى يُجيز سالمــاً حِمارَهْ مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

قال : وكان أبو سيارة يُجيز الناس في الحجّ بأن يتقدّمهم على حمارٍ ، ثم يَخطُبَهم فيقول : اللهمّ أصلحْ بين نسائنا ، وعاد بين رعائنا ، واجعل المالَ في سُمَحائنا ، أَوْفُوا بعهدكم ، وأكرِمُوا جارَكم ، واقرُوا ضيفكم ، ثم يقول : أَشْرِقْ ثَبِيرْ كيما نُغير ، وكانت هذه إجازتَه ، ثم يَنْفِرُ ويتبعُه الناس . ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ والكلبيّ وغيرهما .

[خبر بناته الأربع وقد أردن الزواج]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال[3] : كان لذي الإصبع أربعُ بنات وكنّ يُخطَبْنَ إليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيَستَحِينَ ولا يزوّجهنّ ، وكانت أُمّهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ ! فلا يفعل . قال : فخرج ليلةً إلى مُتحدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمْنَ فقلن : تعالَيْنَ نتمنّى ولنَصْدُقْ ، فقالت الكبرى . [من الطويل]

ألا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذَوِي غِنًى حَدِيثُ الشباب طيّبُ الريح والعِطرِ[4]
طبيــبٌ بــأدواء النساء كأنّــه خليفــةُ جــانٍ لا ينـام على وِتْرِ[5]

1 أشبوا : جاؤوا بأولاد نجباء أذكياء .
2 بووا : أنزلوا ، بوأوا .
3 قارن الخبر بما جاء في الكامل للمبرد (تحقيق الدالي) : 679 وما بعدها .
4 والعطر في ل : والنشر .
5 وتر في ل : هجر .

فقلن لها : أنتِ تُحِبِّين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية : [من الطويل]

ألا هــل أراها ليلــةً وضَجيعُها أَشمُّ كنصــلِ السيف غَيرُ مُبَلَّدِ[1]

لَصُــوقٌ بأكبــاد النساء وأصلُــه إذا ما انتمي من سِرِّ أهلي ومَحْتِدِي

فقلن لها : أنتِ تُحِبِّين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة : [من الطويل]

أَلا لَيْتَه يَمْـلا الجِفـانَ لضَيْفِه له جفنةٌ يَشْقى بها النِّيبُ والجُزْرُ[2]

له حَكَمات الدهر من غير كَبْرة تَشِين ولا الفاني ولا الضَّرِعُ الغَمْرُ[3]

فقلن لها : أنت تُحبّين رجلاً شريفاً . وقلن للصُّغرى : تمنَّيْ ؛ فقالت : ما أُريد شيئاً ؛ قلن : والله لا تَبرحين حتى نعلم ما في نفسك ؛ قالت : زوجٌ من عُود خيرٌ من قُعود[4] . فلمّا سمع ذلك أبوهنّ زوّجهنّ أربعتهنّ . فمكَثنَ برهةً ثم اجتمعن إليه ، فقال للكبرى : يا بُنيّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الإبل ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لحومها مُزَعا ، ونشرب ألبانها جُرَعا ، وتحمُلنا وضعيفَنا معا ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرم الحليلة ، ويُعطي الوسيلة[5] ؛ قال : مالٌ عميـم وزوجٌ كريم . ثم قال للثانية : يا بنيّة ما مالُكم ؟ قالت : البقر ؛ قال : فكيف تجدونها ؛ قالت : خير مال ، تألف الفِناء ، وتُودِّك[6] السِّقاء ، وتملأ الإناء ، ونِساءٌ في نساء ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله ويَنسى فضله ؛ قال : حَظِيتِ ورضيتِ . ثم قال للثالثة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعزى ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها نُولِدها فُطُما ، ونسلَخها أَدَما ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[7] ولا بالسَّمْح البَذِر ، قال : جَدْوى مُغْنِية . ثم قال للرابعة : يا بنيّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الضَّأن ؛ قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : شرّ مال ، جُوفٌ لا يَشْبَعن ، وهِيمٌ[8] لا يَنقعنَ ، وصُمّ لا يَسمَعنَ ، وأمرَ مُغوِيَتهنّ يَتْبَعْنَ[9] ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرّ

1 ليلة في ل : مرّة .

2 لضيفه في ل : فدية .

3 حكمات الدهر في ل : محكمات الشيب . الضرع الغمر : الضعيف غير المجرّب .

4 انظر المثل رقم 1729 عند الميداني وقد نقل في خبره ما جاء في الكامل .

5 الوسيلة : ما يتقرّب به إلى الغير .

6 تودّك : تجعل فيه الودك وهو الدسم .

7 الحكر : المستبدّ ، وفي ل : الخرّ .

8 أي عظيمات الأجداف لا يشبعن وشديدات العطش لا يروين .

9 أمر مغويتهن يتبعن : يتبعن المتقدمة منهنّ فإذا سقطت في ماء أو وحل تبعها الباقي .

زوج ، يُكرِم نفسه ويُهين عِرسه ؛ قال : «أشبه امرأً بعضُ بَزّه»[1] .

وذكر الحسن بن عُليل العنزيّ في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنّه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبع الضَّادِيّة إلاّ الأبيات التي أنشدها وأنّ سائرها مَنحول .

[خرف وأهتر وقال في ذلك شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال : عُمِّر ذو الإصبع العدوانيّ عمراً طويلاً حتى خرِف وأُهتر وكان يفرِّق ماله ، فعذَله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده ؛ فقال في ذلك[2] : [من المنسرح]

أَهْلَكَنا اللّيلُ والنّهارُ معا ... والدّهرُ يَغْدُو مُصمِّما جَذَعا[3]

فليس فيما أصابني عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا

وكنتُ إذ رَونقُ الشَّبابِ به ... ماء شبابي تَخالُه شرعا

والحيُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقني ... حتّى مضى شَأْوُ ذاك فانقشعا[4]

صوت

[من المنسرح]

إنّكما صاحبيّ لم تدَعا ... لَوْمِي ومَهما أُضِقْ فلن تَسَعا[5]

لم تَعقِلا جَفْوةً عليّ ولم ... أَشتُم صديقاً ولم أنَلْ طَبَعا[6]

إلاّ بأن تكذِبا عليّ وما ... أَملِك أن تكذِبا وأن تَلِعا[7]

لابن سريج في هذه الأبيات لحنان : أحدهما ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة والبِنصر عن يحيى المكّيّ ، والآخر ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . [من المنسرح]

---

1 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (إعداد إحسان عبّاس ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981) : 701 . ويروى أيضاً «أشبه امرؤ بعضَ بزّه» .

2 انظر ديوان : 55–63 والمفضليّة 29 .

3 الجذع : الحدث الناشىء .

4 انقشعا في ل : فانقطعا .

5 لم في ل والمفضليات : لن . أضق في ل والمفضليات : أُضع . يعني : أنّهما لا يستطيعان الإحاطة بما يضيع منه ، أي أنّهما يعجزان عن بلوغ مبلغه أو القيام مقامه .

6 في المفضليات : لن تعقلا جفرة عليّ ولن ... أوذ نديماً ولم أنل طبعا
الطبع : هو الدنس أو العيب .

7 تلعا : تكذبا .

وإنّني سوف أبتدِي بنَدًى يا صاحبيَّ الغداةَ فاستمِعا
ثمّ سَلا جارتي وكِنّتها هل كنتُ فيمن أراب أو خدَعا[1]
أو دَعَتاني فلم أُجِبْ ، ولقد تأمن منّي حَليلتِي الفَجَعا
آبَى فلا أقربَ الخِباءَ إذا ما ربُّه بعد هَدْأةٍ هجَعا
ولا أرُوم الفتاةَ زَوْرَتَها إن نام عنها الحليلُ أو شَسَعا[2]
وذاك في حِقبةٍ خَلتْ ومضَتْ والدّهرُ يأتي على الفتى لُمَعا[3]
إن تَزْعُما أنّني كبِرتُ فلم أُلفَ ثقيلاً نِكْسا ولا وَرَعا
إمّا تَرَيْ شِكّتِي رُمَيحَ أبي سعدٍ فقد أحمِلُ السّلاحَ مَعا

أبو سعد : ابنُه ، ورُمَيحٌ : عصاً كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يُطاعِنُهم بها كالرُّمح ، فصار يتوكّأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها . [من المنسرح]

السّيفُ والرّمحُ والكِنانةُ قد أكملتُ فيها مَعابِلاً صُنُعا[4]
والمُهْرُ صافي الأَدِيم أصنَعُه يَطِير عنه عِفاؤه قَزَعا[5]
أقْصِرُ من قَيده وأُردَعُه حتّى إذا السِّرب رِيعَ أو فزِعا
كان أمامَ الجِيادِ يَقْدُمها يَهُزّ لَدْناً وجُؤجُؤا تَلِعا[6]
فغامَس الموتَ أو حَمى ظُعُنا أو رَدّ نَهْباً لأيّ ذاك سعى[7]

[وصيّته لابنه عند موته]

قال أبو عمرو : ولّما احتضِر ذو الإصبع دعا ابنه أُسيدا فقال له : يا بُنيّ ، إنّ أباك قد فني وهو حيّ وعاش حتّى سَئم العيش ، وإنّي مُوصيك بما إنّ حفِظتَه بلغتَ في قومك ما بلغتُه ، فاحفظ عنّي : ألِن جانبك لقومك يحبّوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك ، ولا تَستأثر عليهم بشيء يُسوّدوك ؛ وأكرِم صِغارهم كما تُكرِم كبارَهم يكرِمْك كبارُهم ويكبَرْ على

---

1 خدَعا في ل : قذعا .
2 شسع : بعد .
3 لمعا : ألواناً .
4 رواية المفضليات : السيف والرمح والكنانة والـ ـنّبل جيـاداً محشورة صنعا
والمعابل : جمع معبلة وهي نصل عريض طويل . وصنع : جمع صنيع وهو المجرب المجلو .
5 العفاء : الشعر الطويل والقزع : القطع المتفرّقة .
6 الجؤجؤ : الصدر . وتلع : منبسط .
7 غامس الموت : ورده .

مودّتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحْمِ حريمَك ، وأعززْ جارك ، وأعِن مَن استعان بك ، وأكرِم ضيفَك ، وأسرع النَّهضة في الصَّريخ ، فإن لك أجلاً لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهَك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمّ سُودَدُك ؛ ثم أنشأ يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

أأسيدُ إنْ مـالاً مَلكـ ـتَ فسِرْ به سَيراً جميلا
آخِ الكِـرامَ إن استطعـ ـتَ إلى إخائهـمُ سبيلا
واشرَب بكأسهـمُ وإن شربوا بـه السُّمّ الثَّميلا
أهِـنِ اللِّئـام ولا تكـنْ لإخائهم جَمَـلاً ذَلُولا
إنَّ الكـرامَ إذا تُـوا خِيهمْ وجدتَ لهم فُضولا[2]
ودَعِ الذي يَعِـد العَشيـ ـرةَ أن يسيلَ ولن يَسيلا
أبُنَـيّ إن المـالَ لا يَبْكِي إذا فقَـد البخيلا

صوت

[من مجزوء الكامل]

أأسيدُ إن أزمعتَ مـن بلـدٍ إلى بلـدٍ رَحيلا
فاحفـظْ وإن شَحط المَزا رُ أَخا أخيك أو الزَّميلا[3]
واركب بنفسك إن هَمَمـ ـتَ بها الحزونةَ والسّهولا
وصِلِ الكِرامَ وكُـن لمن ترجـو مَودّتـه وَصولا

الغناء للهذليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرٍو : [من مجزوء الكامل]

ودَعِ التَّوانِـيَ في الأمـو رِ وكن لها سَلِساً ذَلُولا
وابسُطْ يمينَـكَ بالنَّدى وامْدُدْ لهـا باعـاً طويلا
وابسُطْ يَدَيْكَ بمـا مُلكْـ ـتَ وشَيِّد الحسَبَ الأثيلا
واعْـزِمْ إذا حاولـتَ أمـ ـراً يَفْرِجُ الهـمَّ الدَّخِيلا
وابذُلْ لِضَيفكَ ذاتَ رَحْـ ـلِكَ مُكرِمـاً حتّى يَزُولا[4]
واحلُـلْ على الأيْفاعِ للـ ـعافِينَ واجْتنِبِ المَسيلا

---

1 ديوانه : 72–74 .
2 فضولاً في ل : قبولا .
3 الزميل : الرفيق في السفر .
4 الرحل هنا : المثوى والمنزل .

وإذا القُــرُومُ تخاطـرَتْ يوماً وأرعَـدَتِ الخَصِيلا[1]
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّـ ـبَ مِن فَرِيستِه التَّلِيلا[2]
وانــزِلْ إلى الهيجـا إذا أبطالُـهـا كَرِهـوا النزولا
وإذا دُعِيــتَ إلى المُهِــ ـمّ فكن لفادِحِهِ حَمُولا

[استنشد معاوية قيسيّاً شعره وزاد في عطائه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : جرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتْبَةَ بن أبي سُفيان لِحاء بين يدي معاوية ، فجعل ابن الزبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتبَةَ ويُعَرِّضُ بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك ، فالتفت إليه معاوية متمثِّلاً وقال[3] : [من الطويل]

ورامٍ بعُـورانِ الكلام كأنّهـا نوافِـرُ صُبـحٍ نفَّرتْهـا المراتِعُ[4]
وقد يَدْحَضُ المرءُ المُوارِبُ بالخَنا وقد تُدرِك المرءَ الكريمَ المصانِعُ[5]

ثم قال لابن الزبير : مَن يقول هذا ؟ فقال : ذو الإصبع ؛ فقال : أتَرْوِيه ؟ قال لا ؛ فقال : مَنْ هاهنا يروي هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أَرْوِيها يا أمير المؤمنين ؛ فقال أنشِدني ؛ فأنشده حتى أتى على قوله : [من الطويل]

وساعٍ برجليـه لآخــرَ قاعدٍ ومُعْــطٍ كريـمٌ ذو يَسارٍ ومانِعُ
وبــانٍ لأحسابِ الكرامِ وهادِمٌ وخافــضُ مـولاه سَفاهاً ورافِعُ
ومُغْضٍ على بعض الخطوبِ وقد بدَت له عَوْرةٌ من ذي القرابةِ ضاجعُ
وطالــب حُوبٍ باللسان وقَلبُـه سِوى الحقّ لا تَخفَى عليه الشرائعُ[6]

فقال له معاوية : كَمْ عطاؤك ؟ قال : سبعمائة ؛ قال : اجعلوها ألفاً ، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتبة .

[شعره في ابن عمّه وقد عاداه]

قال أبو عمرو : وكان لذي الإصبع ابن عمّ يُعاديه فكان يتدسَّسُ إلى مكارِهه ويَمشي به إلى أعدائه ويُؤلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بني عمّه ويَبغِيه عندهم شرّاً ؛ فقال فيه ، وقد أنشدنا

1 أرعدت الخصيل : جعلت الأوصال ترجف من الخوف .
2 التليل : العنق .
3 ديوانه : 66–67 .
4 عوران الكلام : ما تنفيه الأذن .
5 يدحض : يزلّ .
6 سوى الحق : وسطه أي أن قلبه ملازم للحق .

الأخفش هذه الأبيات أيضاً عن ثعلب والأُحول السُّكَّريّ[1] : [من مجزوء الكامل]

يــا صاحِبَيّ قِفا قَليلا وتَخَبَّرا عَنِّـي لَمِيسا
عمَّنْ أصابــتْ قلْبَــه في مَرِّهــا فغَدا نَكِيسا[2]
ولِـيَ ابنُ عـمٍّ لا يـزا ل إليّ مُنكَـرُه دَسِيسا
دبَّـتْ لـه فأَحسَّ بعـ ـد البُرْءِ من سَقَمٍ رَسِيسا[3]
إمّــا علانيـــةً وإمّــ ـا مُخْمَراً أكلاً وَهِيسا[4]
إنّـي رأيـتُ بَنـي أبيـ ـك يُحَمِّجُون إليّ شُوسا[5]
حَنَقاً عـليَّ ولن تَـرى لِيَ فيهـمُ أثـرا بَئِيسا
أنْحَوْا على حُـرِّ الوجو ه بحَدّ مِئشارٍ ضُرُوسا[6]
لــو كنتَ مـاءً لم تكنْ عَذْبَ المَذاقِ ولا مَسُوسا[7]
مِلحاً بعيـدَ القعـر قـد فَلَّـتْ حجارتُه الفؤوسا
مَنّاعُ مـا ملكَـتْ يـدا كَ وَسائِلٌ لَهُمُ نَحُوسا

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات ، وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه يشبه معناه : [من الرجز]

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ أو كنتَ سيفاً كنتَ غير عَضْبِ
أو كنتَ طِرْفاً كنتَ غيرَ نَدْبِ أو كنتَ لحما كنتَ لحمَ كَلْبِ[8]

قال : وفي مثله أنشدنا : [من الرجز]

لو كنتَ مُخّاً كنتَ مُخّاً رِيرا أو كنت بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرا[9]
أو كنت رِيحاً كانت الدَّبورا

---

1 ديوانه : 42–44 .
2 نكيس : مريض .
3 الرسيس : أول الحمّى .
4 مخمراً : متستراً . والأكل الوهيس : الشديد .
5 يحمجون : يديمون النظر . الشوس : النظر بمؤخر العين تغيظاً .
6 المئشار : لغة في المنشار .
7 المسوس : الماء بين العذب والملح .
8 طرف ندب : حصان نشيط .
9 مخ ريرا : أي فاسد من الهزال .

[سبب تفرّق عدوان وتقاتلهم]

قال أبو عمرو : وكان السبب في تفرّق عدوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانَوْا : أنّ بني ناج بن يَشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، ونَذِرتْ بهم بنو عوف فاقتتلوا ، فقتل بنو ناج ثمانية نفرٍ ، فيهم عُمَير بن مالك سيِّد بني عوف ، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سِنان بن جابر ، وتفرّقوا على حرب . وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيّداً ، فاصطلح سائرُ الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك ، وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر ديةً ، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومَن والاهم ، وتَبِعه على ذلك كَرِبُ بن خالد أحد بني عبس بن ناج ، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبولَ الدية وقال : قد قُتِلَ منّا ثمانية نفر فقبِلنا الدية وقُتِل منكم رجل فاقبلوا ديته ؛ فأبَيا ذلك وأقاما على الحرب ، فكان ذلك مبدأ حربٍ بعضِهم بعضاً حتى تَفانَوْا وتَقَطَّعوا . فقال ذو الإصبع في ذلك[1] : [من الطويل]

ويا بُـؤسَ للأيّام والدّهرِ هالِكا ... وصَرْفِ الليالي يَخْتَلِفْـنَ كذلِكا

أبَعْدَ بني نـاجٍ وسَعْيِكَ فيهِمُ ... فلا تُتبِعَنْ عينيْكَ مـا كان هالِكا

إذا قلتُ معروفـاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقـولُ مَريـرٌ لا أُحـاوِلُ ذلِكا

فأضحَوْا كظهرِ العَوْدِ جُبَّ سَنامُه ... تَحُوم عليه الطيرُ أحدَبَ بارِكا[2]

فإن تك عَدْوانُ بن عمرو تفرّقت ... فقد غَنِيَتْ دَهـراً ملوكاً هُنالِكا

[قصيدته النونية]

وقال أبو عمرو : وفي مَرير بن جابر يقول ذو الإصبع ، وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور ، وأوّلها[3] : [من البسيط]

يـا مَنْ لقلبٍ شَدِيدِ الهمِّ مَحزونِ ... أمسَى تَذَكَّـرَ رَيّـا أُمَّ هـارُونِ[4]

أمسى تَذَكَّرها مِن بعد ما شَحَطتْ ... والدَّهْرُ ذو غِلظٍ حينا وذو لِينِ[5]

---

1 ديوانه : 69–70 .

2 تحوم عليه الطير في ل : يدب إلى الأعداء .

3 هذه هي النونية التي منها المفضلية 31 وفي حاشية طبعة شاكر وهارون تخريج كامل لها وقد أوردها القالي في الأمالي كاملة 1 : 255–257 ، وانظر ديوانه : 88–98 .

4 الأمالي : طويل البث .

5 غلط في ل والأمالي : غلظة .

فإنْ يكنْ حبُّها أمسى لنا شَجَناً ... وأصبحَ الوَلْيُ منهـا لا يُواتِيني[1]

فقـد غَنِينا وشمْلُ الدارِ يجمعُنا ... أُطِيـعُ رَيَّـا ورَيَّـا لا تُعاصِيني

نَرمِـي الوُشاةَ فلا نُخْطِي مَقاتِلَهُمْ ... بخالصٍ مِن صفاءِ الوُدِّ مَكنونِ[2]

ولي ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مُختَلِفـــانِ فأَقْلِيــهِ ويَقْلِينِي

أزرى بنـا أنّنا شالَـتْ نَعامتُنا ... فخالني دونـه بـل خِلتُهُ دوني

لاهِ ابنُ عمّكَ لا أُفضلتَ في حسَبٍ ... شيئـاً ولا أنت دَيَّاني فَتَخزُوني[3]

ولا تَقُوتُ عِيـالي يـومَ مَسْغَبَةٍ ... ولا بنفسكَ في العَـزَّاءِ تَكْفِيني[4]

فإن تُـرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنْقَصَتِي ... فـإنّ ذلك مِمّـا ليس يُشْجِينِي

ولا تَـرى فيَّ غيرَ الصّبرِ مَنقَصةً ... ومـا سِواه فـإنّ اللهَ يَكفِيني

لولا أَواصِرُ قُرْبـى لستَ تحفظُها ... ورَهْبَـةُ اللهِ في مَولـىً يُعادِيني

إذاً بَرَيتُك بَرْيـاً لا انجبارَ لـه ... إنّي رأيتُـك لا تنفَـكُّ تبريني

إنّ الذي يَقبِضُ الدنيا ويبسُطها ... إن كان أغناكَ عنّي سوفَ يُغْنِيني

اللهُ يَعلَمُكـم واللهُ يَعلَمُنِـي ... واللهُ يَجزيكُمُ عَنّـي ويَجْزِيني[5]

ماذا عليَّ وإن كنتم ذوِي رَحِمِي ... ألاَّ أحبّكـم إن لـم تُحبُّوني

لو تَشْرَبُونَ دَمِي لَم يَرْوَ شارِبُكم ... ولا دِمـاؤُكم جَمْعـاً تُرَوِّينني

ولي ابن عمٍّ لو آنّ الناسَ في كَبِدي ... لَظَـلَّ مُحتَجِزاً بالنَّبْـلِ يَرْمِيني[6]

يا عمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصتِي ... أَضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسْقُوني[7]

كلّ امرِئٍ صائـرٌ يومـاً لِشيمَتِه ... وإن تخلَّـقَ أخلاقـاً إلى حِـينِ

إنّي لَعَمْرُكَ مـا بَابِي بـذِي غَلَقٍ ... عن الصّديق ولا خَيري بمَمْنُونِ

1 الولي : القرب وفي الأمالي : الوأي وهو الوعد .

2 بخالص في الأمالي : بصادق .

3 دانه : قهره .

4 العزاء : السنة الشديدة .

5 الشطر الأول رواية الأمالي : الله يعلمني والله يعلمكم .

6 محتجز : شاد مئزره كناية عن التهيّؤ .

7 حتى في الأمالي : حيث . كانت العرب تزعم أن القتيل الذي لم يؤخذ بثأره تصيح روحه عند قبره «اسقوني ! اسقوني !» وتطير عندما يدرك بثأره .

ولا لساني على الأدنى بمنطلَق ... بالمنكَرات ولا فَتْكِي بمأمُونِ
لا يُخرِجُ القَسْرُ منّي غير مَغْضبةٍ ... ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يبتغِي لِيني[1]
وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائةٍ ... فأجمِعُوا أمرَكم شَتَّى فكِيدُوني
فإن علمتُم سبيلَ الرُّشدِ فانطلِقوا ... وإن غَبِيتم طريقَ الرشدِ فأْتوني[2]
يا رُبَّ ثوبٍ حواشيه كأوسطِه ... لا عيبَ في الثوبِ من حُسنٍ ومن لِينِ
يوماً شَدَدتُ على فَرْغاءَ فاهقةٍ ... يوماً من الدّهرِ تاراتٍ تُمارِيني[3]
ماذا عليّ إذا تدعونَني فَزَعاً ... ألاّ أُجيبَكم إذ لا تُجيبُوني
وكنتُ أُعطِيكُم مالي وأَمنحُكم ... وُدِّي على مُثْبَتٍ في الصدرِ مَكنونِ[4]
يا رُبَّ حَيٍّ شَدِيد الشَّغْبِ ذي لَجَبٍ ... ذعَرْتُ مِن راهن منهم ومَرهُونِ[5]
رَدَدتُ باطلَهُم في رَأْس قائِلهم ... حتى يَظَلُّوا خصوماً ذا أفانينِ[6]
يا عَمرُو لو كنتَ لي أَلْفَيْتَني يَسَراً ... سَمْحاً كريماً أُجازِي مَنْ يُجازِيني

[قصيدته في رثاء قومه]

قال أبو عمرو: وقال ذو الإصبع يرثي قومَه: [من الهزج]

وليس المرءُ في شيءٍ ... من الإبرام والنقضِ
إذا يفعلُ شيئاً خا ... له يَقْضِي وما يَقْضي
جَدِيدُ العيشِ ملبوسٌ ... وقد يُوشِكُ أن يُنْضي

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّماً في صدر هذه الأخبار، وتمامها:

وأَمْرَ اليومِ أَصْلِحْهُ ... ولا تَعْرِضْ لما يَمضي
فبينا المرءُ في عَيشٍ ... له من عِيشَةٍ خَفْضِ
أتاه طَبَقٌ يوماً ... على مَزْلَقةٍ دَحْضِ[7]

---

1 مغضبة في الأمالي: مأبية.
2 غبيتم في الأمالي: جهلتم.
3 فرغاء: طعنة واسعة، والفاهقة هي التي تنهق بالدم أي تتصبّب.
4 وكنت في الأمالي: قد كنت.
5 ذعرت في الأمالي: دعوتهم.
6 خصوماً في الأمالي: جميعاً.
7 طبق: شدّة.

وهم كانوا فلا تُكْذَبْ ذوي القُـوّةِ والنَّهْضِ
وهم إن وَلَـدُوا أَشْبَوْا بسِرّ الحسَـب المَحْضِ
لهـم كانت أعالي الأر ض فالسرَّان فـالعِرْضِ [1]
إلى مـا حـازه الحَزْنُ فمـا أسهـلَ للحَمْضِ
إلى الكَفْرَيْـنِ من نخلـ ـةَ فالدَّاءةِ فالمَرْضِ [2]
لهـم كان جِمـامُ [3] المـا ءِ لا المُزجى ولا البَرْضِ [4]
فكان النـاسُ إذ هَمُّوا بيُسْرٍ خـاشعٍ مُغْضي
تَنادَوْا ثـم ساروا بِـ ـرئيسٍ لهـمُ مُـرْضي
فمَـنْ ساجَلَهُمْ حربـاً ففي الخَيْبَةِ والخَفْضِ
وهـم نالُـوا على الشَّنْآ نِ والشَّحْنـاء والبُغض
مَعـالي لم ينلهـا النَّـا سُ في بَسْطٍ ولا قبضِ

[شعر أمامة بنت ذي الإصبع]

قال أبو عمرو : قالت أُمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرةً ترثي قومَها : [من السريع]

كم مِن فَتىً كانت لـه مَيْعَةٌ أبلـجَ مثلِ القمـرِ الزاهرِ [5]
قـد مرَّتِ الخيلُ بحافاتِهِ كمـرّ غيثٍ لجِبٍ ماطِرِ
قـد لَقِيَتْ فَهْمٌ وعَدْوانُها قَتْلاً وهُلْكـاً آخـرَ الغابرِ
كانوا ملوكاً سادةً في الذُّرى دهراً لها الفَخْرُ على الفاخرِ
حتى تَساقَوْا كأسَهم بينهم بَغْياً فَيـا لِلشَّاربِ الخاسرِ
بادُوا فمَنْ يَحْلُلْ بأوطانهم يَحْلُلْ برَسْمٍ مُقْفـرٍ داثرِ

[شعره في الكبر]

قال أبو عمرو : ولأمامة ابنتِه هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكّأ على العصا فبكت فقال : [من الكامل]

---

1 العرض : واد باليمامة . وكلّ واد فيه قرى ومياه : عرض .
2 الداءة : جبل نواحي مكّة . وفي ل : الدارة .
3 جمام الماء : كثيرة .
4 المزجى والبرض : الماء القليل .
5 ميعة الشباب : أوّله .

جَزِعَتْ أمامَةُ أن مَشَيتُ على العصا ... وتَذَكَّرَتْ إذ نحن مِ الفِتْيانِ
فَلَقَبْل ما رام الإلهُ بكيده ... إرَماً وهذا الحيَّ مِنْ عَدْوانِ
بعد الحكومةِ والفضيلة والنُّهى ... طافَ الزمانُ عليهمُ بأَوانِ
وتفرّقُوا وتقطّعت أشلاؤهم ... وتبدَّدُوا فِرَقاً بكلّ مكانِ
جَدَبَ البلادُ فأُعْقِمَتْ أرحامُهُم ... والدَّهْرُ غَيَّرَهُمْ مع الحِدثانِ
حتى أبادَهُمُ على أُخْراهُم ... صَرْعَى بكلِّ نُقَيْرَةٍ ومَكانِ
لا تَعْجَبنَّ أُمامُ من حَدَثٍ عَرا ... فالدَّهْرُ غَيَّرنا مع الأَزمانِ

[25] ـ ذكرُ قيلٍ مولى العَبَلات

[ولاؤه وغناؤه]

قال هارونُ بن محمد بن عبد الملك : أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يحيى قَيْل عبداً للثُّريّا ورُضَيّا وأخواتهما بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميّةَ الأصغر بن عبد شمس مَوْلَياتِ الغَريض .

قال وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال حدّثني ابن أبي جَناحٍ قال حدّثنا مقاحف بنُ ناصحٍ مولى عبد الله بن عبّاس قال قال حدّثني هشامُ بن المُرِّية ، وهي أمّه ، وهو مولى بني مَخزوم ، قال : كان يحيى قَيْل عبداً لامرأة من العَبَلات ، وله من الغناء[1] : [من الطويل]

صوت

وأخرجتُها من بطن مكّةَ بعد ما ... أَصاتَ المنادِي للصّلاةِ وأَعْتَما

فمرّتْ ببطن اللّيثِ تَهْوِي كأنّما ... تُبادِرُ بالإصباح نَهْباً مُقَسَّما[2]

والشعر لأبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ . وأوّل هذه القصيدة :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّم كَلْثَما

[أبو دهبل الجمحي]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني يحيى بن المقداد الزَّمْعِيّ قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب الزَّمْعِيّ قال أنشدني أبو دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ لنفسه[3] : [من الطويل]

ألا عَلِقَ القلبُ المتيَّمُ كَلْثَما ... لَجُوجاً ولم يلزَمْ من الحبّ مَلْزَما

خَرَجْتُ بها من بطن مكّةَ بعدَ ما ... أصاتَ المنادِي للصَّلاةِ وأعتَما

فما نام مِنْ راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ ... من الحيّ حتى جاوزَتْ بِي يَلَملَما[4]

ومرَّتْ ببطنِ اللّيثِ تَهوِي كأنّها ... تُبادِرُ بالإدلاج نَهْباً مُقَسَّما

1 البيتان لأبي دهبل الجمحي وسيردان عمّا قليل في قصيدته . وسيترجم أبو الفرج فيما بعد في الأغاني لأبي دهبل ، وسيورد القصيدة بصورة أتمّ . لاحظ اختلاف الرواية في الصفحة الواحدة .

2 الليث : واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو هو موضع في الحجاز (ياقوت) .

3 ديوان أبي دهبل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، ط10 ، النجف ، 1972) : 106–109 .

4 يلملم : موضع قريب من مكّة وهو ميقات أهل اليمن .

أجازت على البَزواءِ والليلُ كاسرٌ جناحَيْنِ بالبزواء وَرْداً وأدْهَما[1]
فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيَّنَتْ بِعُلَيْبَ نخـلاً مُشرِفـاً ومُخَيِّما[2]
ومرَّتْ على أشطانِ دُومةَ بالضحى فما خزرتْ للمـاء عيناً ولا فَما
وما شَرِبَـتْ حتى ثَنيتُ زِمامَها وخِفْتُ عليهـا أن تُحَزَّ وتُكْلَما
فقلت لها قـد تِعْتِ غيرَ ذميمةٍ وأصبحَ وادِي البِرْكِ غَيْثاً مُدَيِّما[3]

قال فقلت له : يا عمّ ما كنتَ إلاّ على الريح ! فقال : يا ابن أخي إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعل ، وهي العَجاجة ، أما سمعتَ قول أخي بني مُرَّة[4] : [من المتقارب]

إذا أقبلَتْ قُلـتَ مَشْحُونـةٌ أقلَّتْ لهـا الريحُ قِلْعاً جَفُولا[5]
وإن أدبَرَتْ قلـتَ مَذعُورةٌ من الرُّمْـدِ تتبَعُ هَيقاً ذَمُولا[6]
وإن أعرضَتْ خالَ فيها البَصيـ ـرُ مـا لا يُكلِّفُـه أن يَفِيلا[7]
يَـداً سُرُحـاً مائرا ضَبْعُها تَسُوم وتَقْدُمُ رِجـلاً زَجُولا[8]
فمـرّت على كشبٍ غُـدوَةً ومرَّتْ فُوَيـقَ أُريكٍ أُصيلا[9]
تُخَبِّـطُ باللّيـلِ حِزَّانَـهُ كَخَبْطِ القَويِّ العزيزِ الذَّليلا[10]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني ابن أصبغ السلميّ قال : جاء إنسان يُغنّي إلى عيّاش المِنقريّ بالعقيق فجعل يُغنّيه قول أبي دَهبلٍ :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّمُ كَلْثَما

1 البزواء : موضع في طريق مكّة قرب الجحفة .
2 عليب : موضع بتهامة .
3 تعت في ل : بعت . وادي البرك : ناحية باليمن .
4 المقصود بشامة بن عمرو الغدير والأبيات من المفضلية العاشرة وبين الروايتين بعض اختلاف .
5 القلع : الشراع ، وفي ل : خلعا .
6 الرمد : جمع رمداء وهي النعامة التي فيها سواد مائل إلى الرمادي ، والهيق : ذكر النعام ، والذمول : المسرع .
7 يفيل : يخطىء .
8 الشطر الأول في ل : يدي سرح مائر ضبعها . ومائر ضبعها : أي سريعة حركة القوائم . وتسوم : تمرّ مرّاً سهلاً . والزجول : التي تدفع نفسها .
9 ل : بذي خشب ، وهو موضع قرب المدينة ، وكشب : جبل ممّا يلي حدود اليمن . أريك : جبل في بلاد بني مرّة ، وقيل سمّي بذلك لكثرة شجر الأراك فيه .
10 حزان (بكسر الحاء وضمّها) : جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض .

وجعل يعيدُه فلمّا أكثر قال له عيّاش : كم تُنذِر بالعجوز عافاك الله ! اسم أمّي كلثم ، قال : وتسمعُ العجوز ، فقالت : لا والله ما كان بيني وبينه شيء .

قال : ومن غنائه[1] : [من البسيط]

أزرى بنــا أنّنا شالَتْ نعامتُنا فخالَني دونــه بل خِلتُه دوني

فإن تُصبكَ من الأيّام جائحةٌ لا نَبكِ منك على دنيا ولا دينِ

[وأوّل هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب] .

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلقٍ مختلفــانِ فأَقليــــهِ ويَقْلِيني

لاهِ ابنُ عمّكَ لا أفضلتَ في حَسَبٍ عَنّي ولا أنــتَ ديّاني فتَخْزُوني

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثانيَ ثقيل بالوسطى .

وقد عجِبتُ وما في الدّهرِ من عَجبٍ يَــدٌ تَشُجُّ وأُخرى منك تَأْسُوني

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

ارفَعْ ضَعيفَكَ لا يُحِرْ بكَ ضَعْفُه يوماً فتدرِكَــه العواقــبُ قــد نَما

يَجزيك أو يُثْنِي عليك وإنّ مَنْ أثنى عليكَ بما فعلتَ فقد جَزى

عَروضه من الكامل ، الشعر لغَريض[2] اليهوديّ وهو السموألُ بن عادِياء ، وقيل إنّه لابنه سَعْيَة[3] بن غريض ، وقيل إنّه لزيد بن عمرو بن نُفَيلٍ ، وقيل إنّه لورَقَة بن نَوْفلٍ ، وقيل إنّه لزهير بن جَنابٍ ، وقيل إنّه لعامر بن المجنون الجَرْميّ الذي يقال له : مَدرَجُ الرّيح ، والصحيح أنّه لغَريض أو لابنه .

---

1 تقدّمت الأبيات في ترجمة ذي الإصبع العدواني .

2 ضبط غريض في المصادر المختلفة هكذا بالغين على وزن فعيل ، وبالعين على الوزن نفسه وعلى التصغير . وقول أبي الفرج إنّ غريض هو السموأل بن عادياء مستغرب ، فهو يذكر السموأل في ترجمته بأنّه ابن عُريض بن عاديا .

3 سعية بن غريض تسميه بعض المصادر سعنة بالنون (انظر الإصابة 3 : 94) ويقال شعية بالشين (المؤتلف : 211) .

26 ـ [خبر غريض اليهوديّ]

[نسبه وأصل قومه]

وغريضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ﷺ ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجّه جيشاً إلى العَماليق وكانوا قد طَغَوْا وبلغت غاراتُهم إلى الشام وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يقتلوهم أجمعين ، فظَفِروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابنٍ لملكِهم كان غلاماً جميلاً فرحِموه واستبقوه ، وقَدِموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه ؛ فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشام علينا أبداً ، فأخرجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض : ما لنا بلدٌ غيرُ البلد الذي ظفِرنا به وقتلنا أهلَه ؛ فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوْس والخَزرج إيّاها عند وقوع سَيل العَرِم باليمن ، فمن هؤلاء اليهودِ قُرَيظة والنَضيرُ وبنو قَيْنُقاع وغيرُهم ، ولم أجد لهم نسباً فأذكره لأنـّهم ليسوا من العرب فتُدَوِّنَ العرب أنسابهم إنّما هم حلفاؤهم ، وقد شَرَحتُ أخبارهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيتُه أبو عبد الله ، وكان أبوه على المِيضأة بالمدينة فعُرِف بذلك ، وهو يسير الصناعة ليس ممّن خَدَمَ الخلفاءَ ولا شُهِرَ عندهم شُهرة غيره . وهذا الغناء ماخوريّ بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر .

[نسب له شعر هو لورقة بن نوفل]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة قال :

ارفَعْ ضَعِيفَك لا يَحُرْ بِكَ ضعفُه لغَريض اليهودي

[تمثّلت عائشة أمام رسول الله بشعر نزل بمعناه الوحي]

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمِّل بن عبد الرحمن الثَّقفيّ قال حدّثني سهل بن المغيرة عن الزُّهريّ عن عروة عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أتمثّل بهذين البيتين : [من الكامل]

ارفَعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضعفُه يوماً فتُدرِكَه العواقبُ قد نَما[1]

1 في نسبة هذين البيتين وتمثّل عائشة بهما وما قاله لها النبيّ ﷺ انظر الشعر والشعراء 296 والعقد 1 : 279 / 5 : 275 (لزهير بن جناب) وفيهما «فتدركه عواقب ما جنى» وفصل المقال : 207 (دون نسبة) والسمط : 206 وحماسة البحتري : 252 والخزانة 3 : 393 (ورقة بن نوفل) وروايتها جميعاً كراوية الأغاني : ومؤدى قول النبيّ لعائشة على اختلاف اللفظ أنّ من شكر الناس صنيعهم فقد كافأ ومن لم يشكرهم لم يشكر الله .

يَجْزِيكَ أو يُثني عليكَ وإنّ مَنْ أثنى عليكَ بما فعلْتَ فقد جزى

فقال ﷺ : «رُدِّي عليَّ قول اليهوديّ قاتله الله ؛ لقد أتاني جبريلُ برسالةٍ من ربّي : أيُّما رجل صنَع إلى أخيه صنيعةً فلم يجد له جزاءً إلاّ الثناء عليه والدعاءَ له فقد كافأه» .

قال أبو زيد : وقد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل ، وقد ذكر الزبير بن بكّار أيضاً أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدةٍ أوّلها : [من الكامل]

رَحَلَتْ قُتيلَةُ عِيرَها قبلَ الضحى وإخالُ أَن شَحَطَتْ بجارتِكَ النَّوى

أو كُلَّما رَحَلَتْ قُتيلَةُ غُدْوَةً وغَدَتْ مُفارِقَةً لأرضهمُ بكى

ولقد ركِبتُ على السَّفينِ مُلجِّجاً أَذرُ الصّديقَ وأنتحِي دارَ العِدا

ولقد دخلتُ البيتَ يُخشى أهلُه بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندى

فوجدتُ فيه حُرّةً قد زُيِّنتْ بالحَلْي تحسَبُه بها جمرَ الغَضا

فنَعِمْتُ بالاً إذ أَتيتُ فِراشَها وسقَطتُ منها حين جئتُ على هَوى

فلَتِلكَ لَذّاتُ الشَّبابِ قَضَيتُها عنِّي فسائِلْ بعضهم ماذا قَضى

فرج الرَّباب فليس يؤدي فرجه لا حاجةً قَضًى ولا ماءٍ بغى

فارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدرِكَه العواقبُ قد نَما

يَجْزِيكَ أو يُثْني عليك وإنّ مَنْ أثنى عليك بما فعلتَ فقد جَزى

[27] ـ ذكر ورقة بن نوفل ونسبه[1]

[نسبه]

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ ، وأمّه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قُصَي . وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدِّين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان .

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غيرِ ارفع ضعيفَكَ . . .

صوت

[من الكامل]

ولقد طرقتُ البيتَ يُخشى أهلُه بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندى
فوجدتُ فيه حُـرَّةً قـد زُيِّنَـتْ بِالحَلْي تحسَبُه بها جَمرَ الغَضا

الشعر لورقة بن نوفل ، والغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنا الزبير بن بكَّار قال حدّثنا عبد الله بن مُعاذٍ عن مَعمرٍ عن الزُّهريّ عن عروة بن الزبير قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال : «قد رأيتُه في المنام كأنّ عليه ثياباً بيضاً فقد أظنّ أنّ لو كان من أهل النار لم أرَ عليه البياض» . قال الزبير وحدّثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهريّ عن عائشة : أنَّ خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها ، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب[2] العِبرانيّ فيكتُب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، فقالت خديجة : أي ابن عمٍّ ، اسمع من ابن أخيك ؛ قال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى ؛ يا ليتني فيها جَذَع[3] ، ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجُك قومُك ؛ قال رسول الله ﷺ : «أوَ مُخرِجيّ هم» قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قطُّ بمثلِ ما جئتَ به إلاّ عُودِيَ ، وإن يُدركني يومُكَ لأنصرنَّكَ نصراً مُؤَزَّراً ، ثم لم يَنشبْ ورقةُ أن تُوُفِّيَ .

---

1 انظر سيرة ابن هشام 1 : 222 وما بعدها وخزانة الأدب : 3 : 389 وما بعدها وتاريخ الطبري 2 : 292 (أبو الفضل إبراهيم) .
2 الكتاب : مصدر أي الكتابة العبرانيّة .
3 جذع : شاب حدث .

[رأى بلالاً يعذّب لإسلامه فقال شعراً]

قال الزبير حدّثني عثمان عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال قال عروة : كان بِلالٌ لجاريةٍ من بني جُمَحِ بن عمرو ، وكانوا يعذّبونه برَمضاء مكّة ، يُلصِقون ظهرَه بالرَّمضاء ليُشرك بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ ؛ فيمرّ عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول : أحد أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أحَدٌ أحدٌ والله يا بلال ؛ والله لئن قتلتموه لاتّخذنّه حناناً[1] كأنّه يقول : لأتَمسّحنّ به . وقال ورقة بن نوفل في ذلك[2] : [من البسيط]

لقد نَصَحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم ... أنا النذيرُ فلا يَغرُرْكُمُ أحَدُ
لا تَعبُدُنّ إلهاً غيرَ خالقكم ... فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدُ[3]
سُبحانَ ذي العرشِ سبحاناً نعوذ به ... وقبلُ قد سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ[4]
مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ له ... لا ينبغي أن يُناوِي مُلكَهُ أحَدُ
لا شيءَ ممّا ترى تبقى بَشاشتُهُ ... يبقى الإله ويُودِي المالُ والوَلَدُ[5]
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سليمانَ إذ دانَ الشُّعُوبُ له ... والجنُّ والإنسُ تَجْرِي بينها البُرُدُ[6]

[مدحه النبيّ ونهى عن سبّه]

قال الزبير حدّثني عمّي قال حدّثنا الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة : أنّ رسول الله ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : «شَعَرتُ أنّي قد رأيتُ لوَرَقة جنّةً ، أو جنّتين» يشكّ هشام .

قال عروة : ونَهى رسول الله ﷺ عن سبّ ورقة .

وقال الزبير وحدّثني عمّي قال حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه : أنّ خديجة كانت تأتي ورقة بما يُخبرها رسول الله ﷺ أنّه يأتيه ، فيقول ورقة : لئن كان ما يقول حقّاً إنّه ليأتيه الناموس الأكبر ناموسُ عيسى بن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلاّ بثمن ، ولئن نَطَق وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنّ فيه لله بَلاءً حسناً .

---

1 لاتخذنه حناناً : لاتخذن قبره موضعاً للتبرّك وطلباً للرحمة . ويضعّف الخبر أنّ ورقة بن نوفل توفي قبل البعثة ولم يكن بلال قد تعرّض للعذاب .

2 الأبيات في الخزانة منسوبة إلى ورقة بن نوفل 3 : 389 مع اختلاف يسير في اللفظ والترتيب .

3 حدد : مانع .

4 الجمد : اسم جبل .

5 جعل هذا البيت في الخزانة آخراً .

6 البرد : جمع بريد وهو الرسول . وهذا البيت ممّا ينسب إلى أميّة بن الصلت ولزيد بن عمرو بن نفيل .

[28] ـ خبر زيد بن عمرو ونسبه[1]

[نسبه]

هو زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب بن لُؤيّ بن غالب . وأمّه جَيْداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فَهْم . وكانت جيداء عند نُفَيل بن عبد العُزَّى فولدت له الخطّاب أبا عُمَر بن الخطّاب وعبدَنُهْم[2] ، ثم مات عنها نُفَيل فتزوّجها ابنه عمرو فولدت له زيداً ، وكان هذا نِكاحاً ينكحه أهل الجاهليّة .

[اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً]

وكان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشرَ قريش ، أيُرسِل الله قَطْرَ السماء ويُنبت بَقْل الأرض ويَخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغيره ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري .

[إخراجه عن مكّة لمخالفته دين قريش]

أخبرنا الطُّوسيُّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعَب بن عبد الله ومحمد بن الضحّاك عن أبيه ، قالا : كان الخَطّاب بن نُفَيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكّة وجماعةٌ من قريش ومنعوه أن يدخُلها حين فارق أمرَ عبادة الأوثان ، وكان أشدّهم عليه الخَطّاب بن نُفَيل . وكان زيد بن عمرو إذا خلَص إلى البيت استقبله ثم قال[3] : لَبَّيْكَ حَقّاً حقّاً ؛ تعَبُّداً ورِقّاً ؛ البِرَّ أرجو لا الخال ، وهل مُهَجِّرٌ كمن قال ! ثم يقول : [من مجزوء الكامل]

عُـدتُ بما عاذَ به إبراهِيمْ ... مُسْتَقْبِلَ الكعبةِ وهـو قائِمْ

يقولُ أنفِي لك عانٍ راغمْ ... مهما تُجَشِّمْنِي فإنّي جاشِمْ

ثم يسجد . قال محمد بن الضحّاك عن أبيه : [و] هو الذي يقول : [من الرجز]

لا هُـمّ إنّي حَـرَمٌ لا حِلَّـهْ ... وإنّ داري أوسط المَحَلَّـهْ

عند الصَّفا ليست بها مَضَلَّـهْ

---

1 انظر ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل في سيرة ابن هشام 1 : 224–232 والخزانة 6 : 410–419 وكتب السير كالاستيعاب والإصابة .

2 عبد نهم : شيطان أو صنم لمزينة وبه سمّوا عبدنهم .

3 قارن بما جاء في سيرة ابن هشام 1 : 230 .

[شعره في ترك عبادة الأوثان]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنّها قالت : قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل[1] : [من الوافر]

عزلتُ الجـنَّ والجِنَّانَ عنّي كذلك يفعـل الجَلْدُ الصَّبُورُ
فـلا العُزَّى أدِينُ ولا ابنتَيْها ولا صَنَمَيْ بني غَنَـمٍ أزورُ[2]
ولا هُبَـلاً أُدِينُ وكان رَبّاً لنا في الدهرِ إذ حلمي صغيرُ[3]
أربّـاً واحـداً أم ألفَ ربٍّ أديـنُ إذا تُقُسِّمتِ الأُمورُ
ألم تعلَـمْ بـأنَّ اللهَ أفنَـى رجـالاً كان شأْنَهُمُ الفُجورُ
وأبقَـى آخريـن ببِرِّ قـومٍ فيربـو منهـم الطفلُ الصغيرُ
وبينا المـرء يَعْثُرُ ثابَ يومـاً كما يتروّحُ الغُصـنُ النَّضيرُ[4]

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نُفيل[5] : [من الطويل]

رَشَدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرٍو وإنّما تَجنَّبْتَ تَنُّوراً مـن النار حامِيا
بِدِينك ربّـا ليس ربّ كَمِثلِـه وتَرْكِكَ جِنّـانَ الجبالِ كما هيا
أقولُ إذا ما زُرتُ أرضاً مخوفةً حَنانَيْكَ لا تُظْهِـرْ علـيَّ الأعادِيا
حَنانَيْكَ إنّ الجنَّ كانت رجاءَهُمْ وأنـت إلهـي ربَّنـا ورَجـائيا
أدِيـنُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرى أُدِيـنُ لمن لا يسمع الدهرَ داعِيا
أقـولُ إذا صلَّيْتُ في كلِّ بِيعـةٍ تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعِيا

يقول : خلقتَ خَلْقاً كثيراً يدعُون باسمك .

[امتناعه عن ذبائح قريش]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله قال حدّثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن

1 هناك اختلاف كبير بين ما أثبته أبو الفرج وما جاء في سيرة ابن هشام 1 : 226–227 .
2 غنم في ل : طسم .
3 هبلاً في ل : غنماً .
4 ثاب في ل : ذات .
5 هذا رثاء ورقة لزيد كما جاء في السيرة 1 : 232 وينحصر التشابه بين النصين في أوّل بيتين أمّا الأبيات الأُربعة الأُخرى فمختلفة جدّاً .

أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة قال سمعتُ من أرضى يحدِّث : أنّ زيد بن عمرو كان يَعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها اللهُ وأنزل من السماء ماءً وأنبتَ لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال الزبير : وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله أنّه سمع عبد الله بن عمر يحدِّث عن رسول الله ﷺ : أنّه لَقيَ زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح ، وكان قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحيُ ، فقدّم إليه رسول الله ﷺ سُفْرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل ، وقال : إنّي لا آكل إلاّ ما ذُكِر اسم الله عليه .

[اجتمع بالشام مع يهودي ونصرانيّ فسألهما عن الدِّين واعتنق دين إبراهيم]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله قال ، قال موسى : لا أُراه إلاّ حدّثه عن عبد الله بن عمر : إنّ زيد بن عمرو خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويتّبعه ، فلقي عالِماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : لعلّي أدين بدينكم فأخبِرني بدينكم ؛ فقال اليهوديّ : إنّك لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو : لا أفرّ إلاّ من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تَدُلّني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلَمه إلاّ أن يكون حَنيفاً ؛ قال : وما الحَنيف ؟ قال : دين إبراهيم ؛ فخرج من عنده وتركه . فأتى عالِماً من علماء النَّصارى فقال له نحواً ممّا قال لليهوديّ ، فقال له النَّصرانيّ : إنّك لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ؛ فقال : إنّي لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً ممّا قاله اليهوديّ : لا أعلمه إلاّ أن تكون حنيفاً ؛ فخرج من عندهما وقد رضيَ بما أخبراه واتّفقا عليه من دين إبراهيم ، فلمّا بَرَز رفع يديه وقال : اللهمّ إنّي على دين إبراهيم .

[بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال قال هشام بن عُروة : بلَغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشام ، فلمّا بلَغه خبرُ النبيّ ﷺ أقبل يريده فقتله أهل مَيفعة[1] .

1 ل : ميقعة .

[قال عنه النبي يأتي يوم القيامة أُمّةً وحده]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال : سألت أنا وعمر بن الخطّاب رسول الله ﷺ عن زيد فقال : «يأتي يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه» .

وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحزاميّ عن أبيه لزيد بن عمرو[1] : [من المتقارب]

أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المُزْنُ تحمِل عَذْبا زُلالا

وأسلمتُ وجهِي لمن أسلمتْ ... له الأرضُ تَحمِل صَخْراً ثِقالا

دَحاها فلمّا استوتْ شَدّها ... سَواءً وأرسَى عليها الجِبالا

1 أبيات زيد هذه في سيرة ابن هشام 1 : 230 مع اختلاف في الترتيب .

29 ـ [خبر زهير بن جناب][1]

[زهير بن جناب وشعره في الكبر]

وأمّا زهير بن جَناب الكلبيّ فإنّه أحد المعمَّرين ، يقال : إنّه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو ، فيما ذُكِر ، أحد الذين شربوا الخمر في الجاهليّة حتى قتلتهم ؛ وكان قد بلغ من السنّ الغاية التي ذكرناها ، فقال ذات يوم : إنّ الحيّ ظاعن . فقال عبد الله بن عُلَيم بن جناب : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال زهير : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال عبد الله : إنّ الحيّ ظاعن ؛ فقال : مَن هذا الذي يخالفني منذُ اليوم ؟ قيل : ابن أخيك عبد الله بن عُلَيم ؛ فقال : أوَ ما هاهنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك ! قالوا : لا ، فغضب وقال : لا أُراني قد خولفت ، ثم دعا بالخمر فشربها صِرْفاً بغير مِزاج وعلى غير طعام حتّى قتلته . وهو الذي يقول في ذمّ الكِبَر وطول الحياة[2] : [من مجزوء الكامل]

المـوتُ خيـرٌ للفتى ... فلْيَهْلِكَنْ وبـه بَقيّهْ

من أن يُرى الشّيخَ البجا ... لَ إذا تَهادى بالعشيّهْ[3]

أبَنيّ إن أهلِكْ فقد ... أُورثتكم مجداً بَنيّهْ[4]

وتركتُكم أبنـاءَ سا ... داتٍ زِنادُكُمُ وَرِيَّهْ

بـل كلّ مـا نال الفتى ... قـد نلتُـه إلاّ التّحيّهْ[5]

[مدرج الريح][6]

[مدرج الريح وسبب هذه التسمية]

وأمّا مَدرَج الرِّيح فاسمه عامر بن المجنون الجَرْمِيّ ، وإنّما سمّي مدرجَ الريح بشعر قاله

---

1 ترجمة زهير بن جناب الكلبيّ في طبقات ابن سلام : 35 والشعر والشعراء : 294-297 والمؤتلف : 190 وسيترجم له أبو الفرج ترجمة أوفى في الأغاني فيما بعد .

2 ثلاثة من هذه الأبيات في الشعر والشعراء وثلاثة في المؤتلف . وقد وردت القصيدة كاملة في طبقات ابن سلام وسيوردها أبو الفرج في ترجمة زهير بن جناب فيما بعد .

3 البجال : الشيخ المبجل لكبره .

4 الشطر الثاني في رواية : «فإني قد بنيت لكم بنيه99» .

5 الطبقات والمؤتلف : «ولكل» وكذلك هي في ترجمة زهير في الأغاني . التحية : الملك ، وتعني أيضاً البقاء . قالوا إنّه يقصد هنا البقاء لأنّه كان ملكاً في قومه ، وذهب البغدادي في الخزانة 5 : 299 إلى أنّه يعني «الملك» وأنّ التحيّة أن يقال له «أبيت اللعن» التي لا تقال إلاّ للملوك .

6 لم نعثر على ترجمة له سوى سطر في الشعر والشعراء : 622 : «هو عامر بن المجنون ، من قضاعة ، وسمّي مدرج الريح لقوله . . .» .

في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ وأنّها تسكُن الهواء وتتراءى له ، وكان محمَّقاً ؛ وشعره هذا : [من الرمل]

صوت

لابنة الجنِّيّ في الجَوِّ طَلَلْ   دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْهُ الرّيحُ من بين صَبًا   وجَنوبٍ درَجتْ حِيناً وطَلّ

الغناء فيه لحُنين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ ، وذكر حبش أنّه لمعبد ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حُنين من خفيف الثَّقيل الأوّل بالبِنصر . وأخبار عامر بن المجنون تُذْكَر في موضع آخرَ إن شاء الله تعالى[1] .

1 لم يفِ أبو الفرج بهذا الوعد .

30 ـ [سعية بن غريض][1]

[سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر]

وأمّا سعية بن غَريض فقد كان ذُكِر خبرُ جدِّه[2] السَّموأل بن غريض بن عادِيا في موضع غير هذا . وكان سعية بن غريض شاعراً ، وهو الذي يقول لمّا حضرته الوفاة يرثي نفسه[3] : [من الكامل]

صوت

يا ليتَ شِعري حين يُذكَر صالحي ماذا تُؤبِّنُني به أنواحِي[4]

أيَقُلْنَ لا تبعَدْ ، فربّ كريهة فرّجتها ببشارة وسَماحِ[5]

وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سهّلتُها أُدعَى بأفلِحْ تارةً ونجاحِ[6]

غنّاه ابنُ سُريج ثاني ثقيل بالبِنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وأسلم سَعْيَة وعُمِّر عمراً طويلاً ، ويقال : إنّه مات في آخر خلافة معاوية .

[سعية بن غريض ومعاوية]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عَدِيّ قال : حجّ معاوية حجّتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلةً يحجّ عليها نساؤه وجواريه . قال : فحجّ في إحداهما فرأى شيخاً[7] يُصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان

---

1 ترجمته في طبقات ابن سلام (وانظر حاشية الأستاذ محمود محمد شاكر حول الاختلاف في اسمه واسم أبيه في المصادر المختلفة) والمؤتلف : 211 .

2 انظر أبو الفرج في القول إنّ السموأل جدّ سعية ، فهو في جميع المصادر أخوه ، وقد ذكر مرّة في الإصابة أنّه ابن أخي السموأل .

3 هذه الأبيات في طبقات ابن سلام .

4 أنواحي : النائحات عليّ .

5 ببشارة في الطبقات : بيسارة .

6 رواية الطبقات :

وإذا عمدت لصخرة أسهلتها أدعو بأفلحَ مرّة ورباحِ

وفي حاشية الأستاذ محمود شاكر أنّ أفلح ورباح كانا ، على الظنّ ، بطنين من قبائل اليهود ، وربّما كانا عبدين عنده لأنّ أفلح ورباح من أربعة أسماء نهى النبيّ ﷺ عن تسمية الرقيق بها .

7 ل : شخصاً .

أبيضان ، فقال : من هذا ؟ قالوا : سَعْيَة بن غَرِيض ، وكان من اليهود ، فأرسل إليه يدعوه ، فأتاه رسولُه فقال : أجِبْ أميرَ المؤمنين ؛ قال : أو ليس قد مات أميرُ المؤمنين ! قيل : فأجب معاوية ؛ فأتاه فلم يسلِّم عليه بالخلافة ؛ فقال له معاوية : ما فعلتْ أرضُك التي بتَيْماء ؟ قال : يُكسى منها العارِي ويُردّ فَضلُها على الجار ؛ قال : أفتبيعها ؟ قال : نعم ؛ قال : بكَمْ ؟ قال : بستّين ألفَ دينار ، ولولا خَلّة أصابت الحيّ لم أبِعها ؛ قال : لقد أغليت ؛ قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تُبَل ! قال : أجل ، وإذ بخِلتَ بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي [به] نفسه ؛ فقال : قال أبي : [من الكامل]

يا ليتَ شِعري حين أُندَبُ هالكاً ماذا تُـؤبّـنُنـي بــه أُنواحِي

أيقلن لا تبعَـد ، فـرُبّ كَريهة فرّجتُها بشجاعـــةٍ وسَماحِ

ولقد ضربتُ بفضل مالي حقَّه عنـد الشِّتاء وهَبَّـة الأرواحِ

ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصم ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاحِي

وإذا دُعيتُ لصَعبـةٍ سهّلتُها أُدعـى بأفلِـحْ مـرّة ونَجاحِ

فقال : أنا كنتُ بهذا الشعر أولى من أبيك ؛ قال : كذبتَ ولُؤْمْتَ ؛ قال : أمّا كذبتُ فنَعَمْ ، وأمّا لُؤْمْتُ فَلِمَ ، قال : لأنّك كنتَ مَيّتَ الحقِّ في الجاهلية وميِّتَه في الإسلام ، أمّا في الجاهليّة فقاتلتَ النبيَّ ﷺ والوَحيِ حتى جعل الله عزّ وجلّ كيدَك المردود ، وأمّا في الإسلام فمنعتَ ولدَ رسول الله ﷺ الخلافة ، وما أنت وهي ؟ وأنتَ طَلِيقٌ ابن طَلِيقٍ[1] ! فقال معاوية : قد خَرِفَ الشيخ[2] فأقيموه ، فأُخِذَ بيده فأُقِيم .

وسَعية هذا هو الذي يقول : [من البسيط]

صوت

يـا دارَ سُعْدى بأقصى تَلْعَةِ النَّعَمِ حُيِّيتِ داراً على الإقواءِ والقِدَمِ[3]

وما بِجزْعِك إلاّ الوَحشُ ساكنةً وهامدٌ من رَمـادِ القِدْرِ والحُمَمِ

عُجْنا فما كلَّمتْنا الدارُ إذ سُئِلَتْ وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صَمَمِ

الشعر لسعية بن غريض ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البِنصر .

1 أي من الذين قال لهم النبيّ ﷺ يوم الفتح : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

2 ل : الرجل .

3 تلعة النعم : موضع بالبادية .

[31] ـ أخبار ابن صاحب الوَضوء ونسبه

[نسبه]

اسمه محمد بن عبد الله ، ويُكنى أبا عبد الله ، مولى بني أميّة ، وهو من أهل المدينة ؛ وكان أبوه على مِيضَأةِ المدينة فسُمّي صاحب الوَضوء . وهو قليل الصّنعة لم يذكُر له إسحاق إلاّ صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخُوريّ ، ولا ذكَر له غير إسحاق سواهما إلاّ ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصل له ، وفي كتاب حَبَش [الصينيّ] . وهو رجل لا يُحصِّل ما يقوله ويَرويه .

[مدح يونس الكاتب غناءه]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه [عن] جدّه عن سِياط عن يونس الكاتب قال : غنّى ابن صاحب الوَضوء في شعر النابغة : [من الطويل]

خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حبالٍ مَتينةٍ تَمُدّ بها أيدٍ إليكَ نَوازِعُ

وفي شعر بعض اليهود : [من الكامل]

ارفع ضَعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدركَه العواقبُ قد نَما

فأجاد فيهما ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان ؛ فقيل له : ألا تزيد وتصنع شيئاً آخر ؟ فقال : لا والله حتى أُرى غيري قد صنع مثلَ ما صنعتُ وأَزْيد ، وإلاّ فحَسبي هذا .

[نقل أبو مسلمة لعبد الله بن عامر صوتاً فغنّاه في المحراب]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ وإسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ ، قال ابن عمّار في خبره : وكان يسمَّى المبارك ، قال حدّثنا أبو مسلمة المَصْبَحيّ قال : قَدِم علينا أسود من أهل الكوفة فغنّى : [من الكامل]

ارفَعْ ضَعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدركَه العواقبُ قد نَما

قال : فمررت بعبد الله بن عامر الأسلميّ ، وكان يؤمّنا وهو قائم يصلّي الظهر ، فقلت له : قدِم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّي كذا وكذا فأجاده ؛ فأشار إليّ بيده أن اجلس ؛ فلمّا قضى صلاته قال : أخذته عنه ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأمِرَّهُ عليّ ، ففعلتُ ؛ قال : فلمّا كان بالليل صلّى بنا فأدّاه في المحراب .

صوت
من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

يـا ليلَتـي تَزْدادُ نُكْـرا مِنْ حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرا
حَـوْراءِ إن نظرَتْ إليـ ـكَ سقَتْكَ بالعينين خَمْرا

الشعر لبشّار ، والغناء في اللحن المختار ليزيد حَوراء رملٌ بالبِنصر عن عمرو ويحيى المكيّ وإسحاق . وفيه لِسِياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو وإبراهيم المَوْصِليّ .

[32] ـ أخبار بشّار بن برد ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان الشّعوبيّ ، بَشّار بن بُرد بن يَرجُوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيذان بن داذان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب بن لهراسف . قال : وكان يَرْجُوخ من طُخارُستان من سَبْيِ المُهَلَّب بن أبي صُفرة . ويُكنى بَشّار أبا معاذ . ومَحَلُّه في الشعر وتقدُّمه طبقات المحْدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله . وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأُمَويّة ، وقد شُهِر فيهما ومَدَح وهَجا وأخذ سَنيّ الجوائز مع الشعراء .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حُمَيد بن سعِيد : كان بشّار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك . قال : وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز . قال : وكان يُكنى أبا مُعاذ .

[ولاؤه لبني عقيل]

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ وغيرُهما عن الحسن بن عُلَيل العَنزيّ عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال : كان بشّار بن بُرْد بن يَرجوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خِيرةَ القُشَيريّة امرأة المهلّب بن أبي صُفرة ، وكان مُقيماً لها في ضيعتِها بالبصرة المعروفة «بخِيرَتان» مع عَبيدٍ لها وإماء ، فوهَبَتْ بُرداً بعد أن زوّجته لامرأةٍ من بني عُقَيل كانت متَّصلة بها ، فولدت له امرأته وهو في مِلكِها بشاراً فأعتقته العُقيليّة .

وأخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان بُردٌ أبو بشّارٍ مولى أُمِّ الظِّباء العُقيليّة السَّدوسيّة ، فادّعى بشّار أنّه مولى بني عُقَيل لنزوله فيهم .

---

1 ترجمة بشّار بن برد في الشعر والشعراء : 643–646 ونكت الهميان : 125 ومعاهد التنصيص 1 : 289 والموشح : 246 وتاريخ بغداد 7 : 112 وطبقات ابن المعتزّ : 21–31 ووفيات الأعيان 1 : 271–274 والسمط : 196 وانظر بروكلمان 2 : 13–17 وقد نشر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ثلاثة مجلّدات من ديوانه وصلت إلى حرف الراء وأتبعها جزءا رابعاً ضمنه ما جمعه من شعره وكذلك فعل محمد بدر الدين العلوي (ط . دار الثقافة ، بيروت) وإليه نشير . وقد نقل ابن حمدون قدراً كبيراً من أخباره في مواضع متفرّقة من التذكرة (انظر الفهرس) .

وأخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني رجلٌ من ولد بشّار يقال له حَمدان كان قَصّاراً بالبصرة ، قال : وَلاؤُنا لبني عُقَيلٍ ؛ فقلت : لأيّهم ؟ فقال : لبني ربيعة بن عُقَيلٍ .

وأخبرني وكيعٌ قال حدّثني سليمان المَدَنيّ قال قال أحمد بن معاوية الباهليّ : كان بشّار وأُمُّه لرجل من الأَزد ، فتزوّج امرأةً من بني عُقَيل ، فساق إليها بشّاراً وأُمَّه في صَداقها ، وكان بشّار وُلِدَ مكفوفاً فأعتقته العُقَيليّة .

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عليلٍ العنزيّ قال حدّثنا قعنَبُ بن المُحرِز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : باعتْ أُمُّ بشّار بشّاراً على أُمِّ الظّباء السَّدوسيّة بدينارين فأعتقته . وأُمُّ الظباء امرأة أَوس بن ثعلبة أحد بني تَيْم اللاّت بن ثعلبة ، وهو صاحب قصر أَوسٍ بالبصرة ؛ وكان أَوس أحد فُرسان بَكْر بن وائلٍ بخُراسان .

[كان أبوه طياناً]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن زيد العِجْليُّ قال أخبرني بَدْر بن مُزاحِم : أنّ بُرْداً أبا بشّار كان طَيّاناً يَضرِب اللَّبِنَ ، وأراني أبي بيتين لنا فقال لي : لَبِنُ هذين البيتين من ضَرب بُردٍ أبي بشّار . فسمع هذه الحكاية حمّاد عَجْردٍ فهجاه فقال : [من الخفيف]

يا ابنَ بُردٍ إخْسَأْ إليكَ فمثلُ الـ	ـكلبِ في الناسِ أنتَ لا الإنسانِ
بل لَعَمْرِي لأنتَ شرٌّ من الكلـ	ـبِ وأَولى منه بكلّ هَـوانِ
ولَرِيحُ الخنزيرِ أهونُ من رِيـ	ـحِكَ يا ابن الطيّانِ ذِي التُّبّانِ

[أنشد المهديّ شعراً في أنّه عجميّ بحضور أبي دلامة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الصَّلْتِ البَصْرِيّ عن أبي عدنان قال حدّثني يحيى بن الجَوْنِ العَبْدِيُّ راوِية بشّار قال : قال : لمّا دَخلتُ على المهديّ قال لي : فيمَن تَعتَدُّ يا بشّار ؟ فقلت : أمّا اللسان والزّيّ فعربيّان ، وأمّا الأصل فعجميّ ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين[1] : [من المتقارب]

ونُبِّئتُ قوماً بهم جِنَّـةٌ	يقولونَ مَنْ ذا وكنتُ العَلَمْ
ألا أيُّها السائـلي جاهداً	لِيَعْرِفَنِي أنا أنفُ الكَرَمْ

---

1 ديوان بشّار : 218 مع بعض اختلاف وقد أثبت جامعه القراءات المختلفة في المصادر المختلفة .

نَمَتْ في الكرامِ بَنِي عامرٍ فُروعِي وأَصْلِي قريشُ العَجَمْ
فإنّي لأُغْني مقامَ الفتى وأُصبي الفتاةَ فما تَعتَصِمْ

قال : وكان أبو دُلامة حاضراً فقال : كلا ! لَوَجْهُك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك ؛ فقلت : كلاً ، والله ما رأيتُ رجلاً أصدقَ على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله إنّي لطويلُ القامة عظيمُ الهامة تامّ الألواح أُسجحُ[1] الخدَّين ، ولرُبَّ مُسترخِي المِذْرَوَين[2] للعين فيه مَرادٌ قد جلس من الفتاة حَجرةً وجلستُ منها حيث أُريد ، فأنتَ مثلي يا مَرْضَعان[3] ! قال : فسكت عنّي . ثم قال لي المهديّ : فمِن أيِّ العجم أصلُك ؟ فقلت : مِن أكثرها في الفُرسان ، وأشدِّها على الأقران ، أهل طُخارُستان ؛ فقال بعض القوم : أولئك الصُّغْدُ ؛ فقلت : لا ، الصُّغْدُ تِجارٌ ؛ فلم يَردُدْ ذلك المهديُّ .

[كان كثير التلوّن في ولائه للعرب مرّة وللعجم أُخرى]

وكان بشّار كثير التلوّن في ولائه ، شديد الشَّغْب والتعصُّب للعجم ، مرَّةً يقول يفتخر بولائه في قيس[4] : [من الوافر]

أَمِنْتُ مَضَرَّةَ الفُحَشاء أنّي أرى قيساً تَضُرُّ ولا تُضارُ[5]
كأنّ الناسَ حين تَغِيبُ عنهم نباتُ الأرضِ أخطأهُ القِطارُ[6]
وقد كانت بتَدْمُرَ خيلُ قيسٍ فكان لِتَدْمُرٍ فيها دَمارُ
بحيٍّ من بني عَيْلانَ شُوسٍ يَسيرُ الموتُ حيث يقالُ سارُوا
وما نَلقاهُمُ إلاّ صَدَرْنا بِريٍّ منهمُ وهُمُ حِرارُ[7]

ومرَّةً يتبرَّأ من وَلاء العرب فيقول[8] : [من الكامل]

أصبحتُ مولَى ذي الجلالِ وبعضُهمْ مولى العُرَيبِ فخذْ بفضلك فافخَرِ
مَولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلِّها أهلِ الفَعالِ ومن قُريشِ المَشْعَرِ

1 أُسجح الخدّين : سهلهما .
2 المذروان : طرف الاليتين ، يريد أنّه سمين يروق للعين .
3 مرضعان : لئيم .
4 ديوان بشّار : 110 .
5 الفحشاء : جمع فاحش وهو السيء الخلق . تضر في ل : تسب .
6 القطار : المطر .
7 حرار : شديدو العطش .
8 ديوان بشّار : 124 عن الأغاني .

فارجِعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدافَعٍ سُبحانَ مَولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخِر بولاء بني عُقَيلٍ[1] : [من الخفيف]

إنّني من بني عُقَيلِ بنِ كعبٍ مَوضِعَ السّيفِ مِنْ طُلَى الأعناقِ

ويُكنى بشّار أبا مُعاذ ، ويُلقّب بالمرَعَّثِ .

أخبرني عمّي ويحيى بن عليّ قالا حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم قال : بشّارٌ المرعَّثُ هو بشّار بن بُرد ، وإنّما سُمِّي المرعَّثَ بقوله[2] : [من مجزوء الخفيف]

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ ساحرُ الطَّرفِ والنَّظَرْ

لستَ واللهِ نائلي قلتُ أو يَغْلِبُ القَدَرْ

أنتَ إن رُمتَ وَصْلَنا فانجُ ، هل تُدْرِكُ القَمَرْ

قال أبو أيّوب : وقال لنا ابن سلاّمٍ مرّةً أُخرى : إنّما سُمّي بشّار المرعَّث ، لأنّه كان لقميصه جَيبان : جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله ، فإذا أراد لُبسَه ضَمّه عليه من غير أن يُدخِل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعَه حلَّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجيوب بالرِّعاث لاسترسالها وتَدلِّيها ، وسُمِّي من أجلها المرعَّثَ .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة : لُقِّبَ بشّارٌ بالمرَعَّثِ لأنّه كان في أُذنه وهو صغير رِعاثٌ . والرِّعاث : القِرَطَةُ ، واحدتها رَعْثَةٌ وجمعُها رِعاثٌ ، ورَعَثاتٌ . ورَعَثاتُ الديك : اللحم المتدلِّي تحت حنكه ؛ قال الشاعر : [من الوافر]

سَقَيْتُ أبا المصرَّعِ إذ أتاني وذُو الرَّعَثاتِ مُنتَصِبٌ يَصيحُ[3]

شراباً يهرُبُ الذِّبّانُ منه ويَلْثَغُ حين يشربه الفَصيحُ

قال : والرَّعث : الاسترسال والتساقط . فكأنّ اسم القِرَطَةِ اشتُقَّ منه .

[كان شديد التبرّم بالناس]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العنزيُّ قال حدّثنا محمد بن بدر العِجليّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يذكر أنّ بشّاراً كان من أشدّ الناس تبرُّماً بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي ذهب ببصري ؛ فقيل له : ولِمَ يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : لئلاّ أَرى مَن أُبغِضُ . وكان يلبس قميصاً له

1 ديوان بشّار : 168 .

2 ديوان بشّار : 140 .

3 المصرع في ل : المطرح .

لِبْنتان[1] ، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله ، فبذلك سُمّيَ المرعَّث .

[صفاته]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعيّ قال حدّثنا قَعنَبُ بن مُحرِز عن الأصمعيّ قال : كان بشّارٌ ضَخماً ، عظيم الخَلق والوجه ، مَجدوراً ، طويلاً ، جاحظ المُقلتين[2] قد تغشّاهما لحمٌ أحمر ، فكان أقبح الناس عَمًى وأفظَعه مَنظراً ، وكان إذا أراد أن يُنشِد صفَّق بيديه وتنحنح وبصَق عن يمينه وشماله ثم يُنشد فيأتي بالعجب .

[وُلد أعمى وهجي بذلك]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال : وُلِد بشّارٌ أعمى ، وهو الأكمه . وقال في تَصداق ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه : [من الطويل]

وعبدِي فَقا عينيكَ في الرِّحْمِ أَيرُه ... فجئتَ ولم تَعلَمْ لعينيكَ فاقِيا

أأُمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً ؟ ... عليَّ إذاً مَشي إلى البيتِ حافِيا

قال : ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسِراً .

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : وُلِد بشّار أعمى فما نَظَر إلى الدنيا قطُّ ، وكان يُشبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدِر البُصَراء أن يأتوا بمثله ؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله : [من الطويل]

كأنّ مُثارَ النقعِ فوقَ رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم ترَ الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إنّ عدم النظر يُقَوِّي ذكاءَ القلب ويقطع عنه الشغلَ بما يُنظَرُ إليه من الأشياء فيتوفّر حِسّه وتذكو قريحتُه ؛ ثم أنشدهم قوله[3] : [من الطويل]

عَمِيتُ جَنِيناً والذكاءُ من العَمَى ... فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلمِ مَوْئِلا

وغاضَ ضياءُ العينِ للعلمِ رافداً ... لِقلب إذا ما ضَيّعَ الناسُ حَصّلا

وشِعرٍ كنَوْرِ الروض لاءمتُ بينَه ... بقولٍ إذا ما أحزنَ الشعرُ أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العَنزيّ عن قَعنَب بن مُحرِز عن أبي عبد الله الشراذنيّ قال : كان بشّارٌ أعمى طويلاً ضخماً آدمَ مجدوراً .

---

1 اللبنة : بنيقة القميص .

2 ل : الحدقتين .

3 ديوان بشّار : 180 .

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدِينيّ قال قال الحمرانيّ قالت لي عمّتي : زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيْل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنْشِد[1] : [من الوافر]

مِـنَ المَفْتونِ بَشّارِ بن بُـرْدِ ... إلى شَيبانَ كَهْلِهِـمُ ومُـرْدِ

بأنّ فتاتَكـم سَلَبتْ فـؤادِي ... فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندي

فسألت عنه فقيل لي : هذا بشّار .

[كان يقول أزرى بشعري الأذان]

أخبرني محمد بن يحيى الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التَّوَّزيّ يقول : قال بشّار : أزرى بشعري الأذان . يقول : إنّه إسلاميّ .

[قال الشعر وهو ابن عشر سنين]

وأخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال أبو عبيدة : قال بشّار الشعرَ ولم يبلغ عشر سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشيٌّ مَعَرّةِ لِسانه .

[هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له]

قال : وكان بشّار يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي واستصغرني ، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس .

[كان الأصمعيّ يقول هو خاتمة الشعراء]

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الأصمعيّ يقول : بشّارٌ خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضَّلتُه على كثيرٍ منهم .

قال أبو زيد : كان راجزاً مُقَصِّداً .

[جودة نقده للشعر]

أخبرني أبو الحسن الأَسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَطّاح قال حدّثني أبو عبيدة : قال سمعت بشّاراً يقول وقد أُنْشِد في شعر الأعشى : [من البسيط]

وأنكَرتْنِي وما كان الذي نَكِرَتْ ... من الحوادثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ؛ فعَجِبتُ لذلك .

فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس ، فقال : حدّثني أبو عمرو ابن العلاء أنّه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى : [من البسيط]

---

1 ديوان بشّار : 142 .

وأنكرتْني وما كان الذي نكرتْ   من الحوادثِ إلاّ الشيبَ والصلعا

فجعلت حينئذٍ أزداد عَجَباً من فِطنة بشّار وصحّة قريحته وجَودة نَقده للشعر .

[له اثنتا عشرة ألف قصيدة]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : قال بشّار : لي اثنا عَشَرَ ألف بيت عَين ؛ فقيل له : هذا ما لم يكن يَدّعيه أحدٌ قطُّ سواك ؛ فقال : لي اثنتا عشرة ألف قصيدة ، لَعَنها اللهُ ولعن قائلها إن لم يكن في كلّ واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ .

[رأي أبي عبيدة فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال : قلتُ لأبي عبيدة : أَمَروانُ عندك أشعر أم بشّار ؟ فقال : حَكَمَ بشّار لنفسه بالاستظهار أنّه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيِّد ، ولا يكون عدد الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة والإسلام هذا العدد ، وما أحسبهم بَرَّزُوا في مثلها ، ومروان أمدح للملوك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال بشّار الشعر وله عشرُ سنين ، فما بلغ الحُلُمَ إلاّ وهو مَخْشيٌّ مَعَرّة اللسان بالبَصرة . قال : وكان يقول : هَجَوت جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي ، ولو أجابني لكنتُ أشعر أهل زماني .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويَهْ قال حدّثنا أبو العَواذل زكريّا بن هارون قال : قال بشّار : لي اثنا عشر ألف بيت جيّدة ؛ فقيل له : كيف ؟ قال : لي اثنتا عشرة ألف قصيدة ، أمّا في كلّ قصيدة منها بيت جيّد .

[كلام الجاحظ عنه]

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره : كان بشّار شاعراً خطيباً صاحب منثور ومزدوجٍ وسَجعٍ ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنِّين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه ؛ قال الشعرَ في حياة جرير وتَعَرَّض له ، وحُكي عنه أنّه قال : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي ، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس .

[كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمّة]

قال الجاحظ: وكان بَشّار يَدِين بالرَّجعة[1] ، ويُكَفِّر جميع الأمّة ، ويصوِّب رأي إبليس في تقديم النار على الطِّين ، وذكر ذلك في شعره فقال : [من البسيط]

الأرضُ مُظْلِمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ   والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

1 الرجعة : القول بأنّ الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيّاً كما كان ، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء (اللسان) .

[هجا واصل بن عطاء فحثّ على قتله]

قال : وبلغه عن أبي حُذَيفة واصلِ بن عَطاء إنكارٌ لقوله وهَتْفٌ به ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

مـا لي أُشايعُ غَزالاً لــه عُنقٌ كنِقْنِق الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مثَلا[2]
عُنْقَ الزَّرافةِ مـا بالي وبالكُمُ تُكَفِّرُون رجالاً كَفَّرُوا رَجلا !

قال[3] : فلمّا تَتابع على واصلٍ منه ما يَشْهد على إلحاده خَطَب به واصلٌ ، وكان أَلْثغَ على الراء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أَمَا لهذا الأعمى المُلْحِد ، أَما لهذا المُشَنَّف المَكنيّ بأبي مُعاذ من يقتله ؟ أَما والله لولا أن الغِيلة سجيّةٌ من سَجايا الغالِية لدَسَسْتُ إليه من يَبْعَج بطنَه في جوف منزله أو في حفله[4] ، ثم كان لا يتولَّى ذلك إلاّ عُقَيْليٌّ أو سَدُوسِيٌّ . فقال أبا مُعاذ ولم يقل بشَّاراً ، وقال المُشَنَّفَ ولم يقل المُرَعَّث ، وقال : من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة ، وقال : في منزله ولم يقل في داره ، وقال : يبعج بطنه ولم يقل يَبْقُر ، للّثغة التي كانت به في الرّاء .

قال : وكان واصلٌ قد بَلَغ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أنْ حَذَفَ الراءَ من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانَها ما يقوم مَقامها .

[هو أحد أصحاب الكلام الستّة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدّثني أبو سهيل قال حدّثني سعيد بن سَلاّم قال : كان بالبصرة ستّةٌ من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبَيد ، وواصل بن عطاء ، وبشّار الأعمى ، وصالح بن عبد القدُّوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجلٌ من الأَزد ، قال أبو أحمد : يعني جرير بن حازم ، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدِيّ ويختصمون عنده . فأمّا عمرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال . وأمّا عبد الكريم وصالح فصحَّحا التوبة . وأمّا بشّار فبقِي متحيِّراً مُخَلِّطاً . وأمّا الأَزدي فمال إلى قول السُّمَنِيّة[5] ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهرُه على ما كان عليه . قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلَغني أنّك تخلو بالحدث من أحداثنا فتُفسده وتستزِلُّه وتُدخِله في دينك ،

1 ديوان بشّار : 181 .
2 الغزال : لقب واصل بن عطاء . قيل إنّه لقّب بذلك لأنّه كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين (انظر البيان والتبيين 1 : 33 تحقيق عبد السلام هارون) . النقنق : ذكر النعام . والدو : الفلاة .
3 انظر البيان والتبيين 1 : 16 .
4 الحفل : الجمع من الناس .
5 السُّمَنية : نسبة إلى سومنات في الهند ، وهم قوم دهريون يقولون بالتناسخ .

فإن خرجتَ من مصرنا وإلاّ قمتُ فيك مقاماً آتي فيه على نفسك ؛ فلحِق بالكوفة ، فدُلّ عليه محمد بن سليمان فقتَله وصلَبه بها . وله يقول بشّار[1] : [من الخفيف]

قلْ لعبد الكريم يا ابنَ أبي العَوْ ... جاء بعتَ الإسلامَ بالكفرِ موقا[2]

لا تصلّي ولا تصومُ فإن صُمـ ... ـتَ فبعضَ النّهار صوماً رَقيقا

لا تُبالِي إذا أصبتَ من الخمـ ... ـرِ عَتيقاً ألاّ تكون عَتيقا

ليتَ شعري غداةَ حُلّيتَ في الجيـ ... ـدِ حَنيفاً حُلّيت أم زنديقا

أنت ممّن يَدُور في لعنة اللـ ... ـهِ صديق لمن ينيك الصديقا

[رأي الأصمعي فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرياشيّ قال : سئل الأصمعيّ عن بشّار ومروان أيّهما أشعر ؟ فقال : بشّار ؛ فسئل عن السبب في ذلك ، فقال : لأنّ مروان سلكَ طريقاً كثُر من يسلكه فلم يلحَق من تقدّمه ، وشركه فيه من كان في عصره ، وبشّار سلك طريقاً لم يُسلَك وأحسن فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسع بَديعاً ، ومروان لم يتجاوز مَذاهب الأوائل .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العَنزيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حَفصة ، فقال : وجَد أهلَ بغداد قد ختَموا به الشعراء وبشّار أحقُّ بأن يَختِموهم به من مروان ؛ فقيل له : ولِمَ ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعراً حتّى يُصلحَه له بشّار ويُقَوِّمَه ! وهذا سَلْمٌ الخاسِرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز ، وسلم مُعترف بأنّه تَبَعٌ لبشّار .

[مقارنته بامرىء القيس والقطامي]

أخبرني جحظة قال سمعت عليّ بن يحيى المُنجِّم يقول : سمعتُ مَن لا أُحصي من الرّواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول :

ألا انعِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلل البالِي

وحيث يقول :

قِفا نبكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزِلِ

---

1 ديوان بشّار : 167 عن الأغاني .

2 موقاً : حمقاً وغباوة .

وفي الإسلام القَطاميّ حيث يقول :

إنّا مُحيّـوكَ فاسلَم أيّها الطّللُ

ومن المُحدثين بشّار حيث يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أبى طَلَـلٌ بالجِزْع أن يتكلّما … ومـاذا عليه لـو أجاب مُتيّما

وبالفرعِ آثـارٌ بقـينَ وباللِّوَى … مَلاعـبُ لا يُعرَفْنَ إلاّ توهُّما

وفي هذين البيتين لابن المكّي ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه . وفيهما لابن جُؤذَرٍ رَمَلٌ .

[مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأصمعيّ يُعجَب بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرُّفه ، ويقول : كان مطبوعاً لا يُكلّف طَبْعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكّكه أيّاماً . وكان يُشبِّه بَشّاراً بالأعشى والنّابغة الذُّبيانيّ ، ويشبِّه مروان بزهير والحُطَيئة ، ويقول : هو متكلِّف .

قال الكُرانيّ : قال أبو حاتم : وقلت لأبي زيد : أيّهما أشعرُ بشّارٌ أم مروان ؟ فقال : بشّار أشعر ، ومروان أكفر .

قال أبو حاتم : وسألت أبا زيد مرّة أُخرى عنهما فقال : مروان أَجَدُّ وبشّارٌ أَهْزلُ ؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك ؛ فقال : بشّارٌ يصلُحُ للجِدّ والهزل ، ومَروان لا يصلحُ إلاّ لأحدهما .

[كان شعره سيّاراً بين الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا نجمُ بن النَّطّاح قال : عَهدي بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلاّ يَروِي من شعر بشّار ، ولا نائحةٌ ولا مُغنّيةٌ إلاّ تتكسَّب به ، ولا ذو شرفٍ إلاّ وهو يَهابه ويخاف مَعرّة لسانه .

[لم يأت في شعره بلفظ مستنكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن المبارك قال حدّثني أبي قال : قلتُ لبشّار : ليس لأحد من شعراء العرب شعرٍ إلاّ وقد قال فيه شيئاً استنكرْته العرب من ألفاظهم وشُكّ فيه ، وإنّه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه ؛ قال : ومن أين يأتيني الخطأ ؛ وُلِدتُ هاهنا ونشأتُ في حُجور ثمانين شَيخاً من فُصحاء بني عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرِف كلمة من الخطأ ، وإن دخلتُ إلى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم ، وأيفعتُ

---

1 ديوان بشّار : 199 .

فأبديتُ[1] إلى أن أدركتُ ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟ .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الأصمعيّ يقول : إنّ بشّاراً خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضّلتُه على كثير منهم .

[هو أوّل الشعراء في جملة من أغراض الشعر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو الفضل المَرْوَزيّ[2] قال حدّثني قَعنَب بن المُحرِز الباهليّ قال قال الأصمعيّ : لَقِيَ أبو عمرو بن العَلاء بعض الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدع الناس بيتاً ؟ قال : الذي يقول[3] : [من الرمل]

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ ... ونَفى عنّي الكَرى طيفٌ ألَمّ
رَوِّحي عنّي قليلاً واعلَمي ... أنّني يا عَبْدَ من لحمٍ ودَمْ

قال : فمَن أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول[4] : [من الطويل]

لَمَستُ بكفّي كفَّه أبتغي الغِنَى ... ولم أدرِ أنّ الجودَ من كفّه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغِنَى ... أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عِندي

قال : فمَنْ أهجَى الناس ؟ قال : الذي يقول[5] : [من الطويل]

رأيتُ السُّهيْلَيْن استوى الجودُ فيهما ... على بُعْد ذا من ذاك في حُكم حاكمِ
سُهَيلُ بن عثمانٍ يَجودُ بمالِهِ ... كما جادَ بالوَجْعا سُهَيلُ بن سالمِ[6]

قال : وهذه الأبيات كلُّها لبشّار .

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنَّى فيها

صوت

[من الرمل]

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ ... ونفى عنّي الكرى طيفٌ ألَمّ
وإذا قلتُ لها جُودِي لنا ... خرجتْ بالصَّمْت عن لا ونعَمْ
نَفّسي يا عَبْدَ عنّي واعلمي ... أنّني يا عبدَ من لحمٍ ودمْ

---

1 أبديت : خرجت إلى البادية .
2 ل : المروروذي .
3 ديوان بشّار : 211–212 وفي رواية «نفسي يا عبد . . .» .
4 ديوان بشّار : 88 .
5 ديوان بشّار : 207 .
6 الوجعا : الدبر .

إنَّ في بُــرْدَيَّ جسماً ناحِلاً لــو توكّــأتِ عليــه لانهدَمْ
ختَم الحــبُّ لهــا في عُنُقــي موضِعَ الخاتَمِ من أهــل الذِّمْ

غنّاه إبراهيم هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ . وفيه لقعنب[1] الأسود خفيف ثقيلٍ . فأمّا الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدح الناس وأوّلها : [من الطويل]

لَمَسْتُ بكَفّي كفَّه أبتَغِي الغِنى

فإنّه ذكر أنّها لبشّار . وذكر الزبير بن بكّار أنّها لابن الخيّاط في المهديّ ، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخيّاط في هذا الكتاب .

[هجا صديقه ديسماً لأنّه يروي هجاءه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ الكسرويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال : كان بشّار كثير الوَلُوع بدَيسَم العَنزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءه ، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّار ؛ فبلغه ذلك فقال فيه[2] : [من الطويل]

أَدَيْسَمُ يا ابنَ الذئبِ من نَجْلِ زارِعٍ أَتَرْوِي هِجائي سادِراً غيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم : فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيت وسألتُه ما يقول فيه ، فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقلتُ : لبشّار يقوله في ديسم العَنزيّ ؛ فقال : قاتله الله ما أعلَمه بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيسمُ : ولد الذئب من الكلبة ، ويقال للكلاب : أولاد زارعٍ . والعِسبار : ولدُ الضَّبُعِ من الذئب . والسِّمْعُ : ولد الذئب من الضَّبع . وتزعم العرب أن السِّمْعَ لا يموت حتف أنفِه ، وأنّه أسرع من الريح وإنّما هلاكُه بعَرَض من أعراض الدنيا .

[مزاحه مع حمدان الخرّاط]

أخبرنا حبيب بن نصرٍ المهلَّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان بالبصرة رجلٌ يقال له : حمدان الخرّاط ، فاتّخذ جاماً لإنسان كان بشّار عنده ، فسأله بشّارٌ أن يتّخذ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تَطِيرُ ، فاتّخذه له وجاءه به ، فقال له : ما في هذا الجام ؟ فقال : صُوَرُ طيرٍ تطيرُ ؛ فقال له : قد كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنّه يريد صيدها ، فإنّه كان أحسن ؛ قال : لم أعلم ؛ قال : بلى قد علمتَ[3] ، ولكن علِمت أنّي أعمى لا أُبصر شيئاً ! وتهدّده بالهجاء ، فقال له حمدان : لا تفعل فإنّك تندم ؛ قال : أَو تُهَدِّدُني أيضاً ! قال : نعم ؛ قال : فأيّ شيءٍ تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك ؟ قال : أُصَوِّرُكَ على باب داري بصورتك هذه وأجعلُ من

---

1 ل : لقثعث .

2 ديوان بشّار : 128 .

3 ل : عملت .

خلفك قِرداً يَنكِحُك حتى يراك الصادر والوارد ؛ فقال بشّار : اللّهمّ أَخزه ، أنا أمازحُهُ وهو يأبى إلاّ الجِدَّ ! .

[مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى والحسن بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ قالوا : حدّثنا العنزيّ قال حدّثني جعفر بن محمد العدويّ عن محمد بن سلاّم قال حدّثني مَخْلَدٌ أبو سفيان قال : كان جرير بن المنذر السدوسيّ يُفاخر بشّاراً ؛ فقال فيه بشّار[1] : [من المتقارب]

أَمِثْلُ بَنِي مُضَرٍ وائِلٌ ... فَقَدتُكَ من فاخرٍ ما أَجَنّ
أفي النومِ هذا أبا مُنْذِرٍ ... فَخَيْراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ
رأيتُكَ والفخرَ في مثلِها ... كعاجنةٍ غيرَ ما تَطَّحِنْ

وقال يحيى في خبره : فحدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني عاصم[2] بن وهبٍ أبو شبلٍ الشاعر البُرْجُمِيّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج السراداني قال : كنّا عند بشّار وعنده رجلٌ ينازعه في اليمانيّة والمُضَريّة إذ أذّن المؤذّن ، فقال له بشّار : رويداً ، تَفَهَّم هذا الكلام ؛ فلمّا قال : أشهدُ أنّ محمداً رسول الله ، قال له بشّار : أهذا الذي نُودِي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضر هو أم من صُداءٍ وعَكٍّ وحِمْيَر ؟ فسكت الرجل .

[نقده للشعر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال أنشد[3] بشّار قول الشاعر[4] : [من الطويل]

وقد جَعَل الأعداءُ ينتقِصُوننا ... وتطمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
ألا إنّما ليلى عَصا خَيزُرانةٍ ... إذا غمزُوها بالأكفّ تَلينُ

فقال : والله لو زعم أنّها عصا مُخّ أو عصا زُبْدٍ ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصاً ؛ ألا قال كما قلت[5] : [من الوافر]

ودَعْجاءِ المَحاجرِ من مَعَدٍّ ... كأنّ حديثَها ثَمرُ الجِنانِ

---

1 ديوان بشّار : 244 .
2 ل : عصيم .
3 ل : أنشدنا .
4 انظر الخبر والشعر في الكامل للمبرد (الدالي) : 1018 وينسب البيت الأول لكثير (ديوانه : 176) . والثاني للمجنون بني عامر (ديوانه 264) ويردان دون نسبة في عدّة مصادر .
5 ديوان بشّار : 235 .

إذا قامت لِمشيتها تثنّتْ كأنّ عظامَها من خَيْزُرانِ[1]

[اعتداده بنفسه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني محمد بن [صالح بن] الحجّاج قال : قلت لبشّار : إنّي أنشدت فلاناً قولك : [من الطويل]

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ

فقال لي : ما كنتُ أظنّه إلاّ لرجل كبير ؛ فقال لي بشّار : ويلك ؛ أفلا قلتَ له : هو والله لأكبر الجنِّ والإنسِ ! .

[وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني أبو الشبل عن محمد بن الحجّاج قال : كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلمّا لم تأته أرسل إليها يعاتبها ، فاعتذرت بمرض أصابها ؛ فكتب إليها بهذه الأبيات[2] : [من مجزوء الكامل]

يا لَيْلَتي تَزدادُ نُكْراً مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرا

حَوراءُ إن نظرت إليـ ـكَ سقتكَ بالعينينِ خَمرا

وكأن رَجْعَ حديثِها قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرا

وكأنّ تحت لسانها هاروتَ ينفُثُ فيه سِحْرا

وتَخالُ ما جمعَتْ عليـ ـه ثيابُها ذهباً وعِطْرا

وكأنّها بَرْدُ الشرا بِ صَفَا ووافق منك فِطْرا

جِنِّيَّةٌ إنسيَّةٌ أو بينَ ذاك أجلُّ أمرا

وكفاك أنّي لم أحِطْ بشَكاةِ مَنْ أحببتُ خُبرا

إلاّ مقالةَ زائرٍ نَثَرَتْ لِيَ الأحزانَ نثرا

مُتخشِّعاً تحت الهوَى عشراً وتحت الموتِ عشرا

[كان إسحاق الموصليّ لا يعتدّ به ويفضل عليه مروان]

حدّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : كان إسحاق الموصليّ لا يَعتدُّ ببشّارٍ ويقول : هو كثير التخليط في شعره ، وأشعاره مختلفةٌ ، لا يُشبِه بعضها بعضاً ؛ أليس هو

---

1 لمشيتها في ل والديوان : لسبحتها ، والسبحة : صلاة التطوع والنافلة وفي رواية أُخرى «لحاجتها» .

2 ديوان بشّار : 118–119 .

القائل[1] : [من مجزوء الرمل]

إنّما عَظْمُ سُلَيمى حِبَّتـي ... قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجمَلْ[2]

وإذا أدْنَيتَ منهـا بصَـلاً ... غلبَ المِسكُ على ريح البصَلْ[3]

لو قال كلَّ شيء جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيَّفَهُ . قال : وكان يقدِّم عليه مروان ويقول : هذا هو أشدّ استواء شعرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعُدُّ أبا نوّاس ألبتّة ولا يرى فيه خيراً .

[أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور ولمّا قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم]

حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال : دخل بشّار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصور ويُشير عليه برأيٍ يستعمله في أمره ، فلمّا قُتِلَ إبراهيم خاف بشّارٌ ، فقلب الكنية ، وأظهر أنّه كان قالها في أبي مُسلم وحذف منها أبياتاً وأوّلها[4] : [من الطويل]

أبا جعفرٍ مـا طولُ عيشٍ بدائمٍ ... ولا سالمٌ عمَّـا قَليـلٍ بسالِمِ

قلب هذا البيت فقال : «أبا مسلمٍ» . [من الطويل]

على المَلكِ الجبّارِ يَقتحِمُ الردى ... ويصرَعُـه في المأزِق المتلاحِمِ

كأنّك لم تَسمَعْ بقتـل مُتوَّجٍ ... عظيم ولم تسمع بفَتكِ الأعاجِمِ

تَقَسَّمَ كِسرى رهطُه بسيوفهم ... وأمسى أبو العبّاسِ أحلامَ نائِمِ

يعني الوليد بن يزيد :

وقد كان لا يَخْشى انقلابَ مكيدةٍ ... عليـه ولا جَرْيَ النُّحوسِ الأشائِمِ

مُقيماً على اللذّاتِ حتى بَدَتْ له ... وجـوهُ المنايـا حاسِراتِ العمائمِ

وقـد تَـرِدُ الأيـامُ غُـرّاً وربَّما ... وَرَدْنَ كُلُوحاً بادِيـاتِ الشَّكائِمِ

ومَرْوانُ قد دارَتْ على رأسه الرحى ... وكان لِما أجرمْتَ نَزْرَ الجرائِمِ[5]

فأصبحتَ تجرِي سادراً في طريقهم ... ولا تَتَّقِـي أشبـاهَ تلـكَ النقائِمِ

---

1 ديوان بشّار : 192 .

2 حبَّتي في ل : خلّتي .

3 أدنيت في ل : قربت .

4 ديوان بشّار : 204-206 .

5 يقصد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُميّة .

تجـرَّدتَ للإسلامِ تَعفُــو سبيلَه وتُعْرِي مَطـاهُ للُّيوثِ الضَّراغِمِ[1]

فما زِلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَه عليكَ فعـاذُوا بالسّيوفِ الصوارمِ

فَرُمْ وَزَراً يُنْجِيكَ يـا ابن سَلامةٍ فلستَ بِنـاجٍ من مَضِيم وضائِمِ

جعل موضع «يا ابن سلامة» «يا ابن وشيكة» وهي أمّ أبي مسلمٍ .

لَحـا الله قومـاً رأَّسُوكَ عليهمُ وما زِلتَ مَرْؤوساً خبيثَ المطاعِمِ

أقُــولُ لِبَسّامٍ عليــه جَلالَـةٌ غَـدا أَرْيَحِيّـاً عاشِقاً للمكارمِ

مــن الفاطِمِيّينَ الدُّعاةِ إلى الهدَى جِهاراً ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ فاطمِ

هذا البيت الذي خافه وحذفه بشارٌ من الأبيات .

سِراجٌ لعــين المستضيءِ وتــارَةً يكــون ظَلامـاً للعـدوِّ المزاحِمِ

إذا بلَـغَ الرأيُ المَشُورَةَ فاستعِنْ بــرَأْيِ نَصيح أو نَصِيحـةِ حازمِ

ولا تجعَلِ الشُّورى عليكَ غضاضَةً فـإنّ الخـوافي قُـوّةٌ للقَوادِمِ

وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ومـا خيرُ سَيــفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائِمِ

وخَـلِّ الهُوَينا للضَّعيف ولا تكُنْ نَؤُومـاً فـإن الحَزْمَ ليس بنائِمِ

وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلاّ ظُلامةً شَبا الحربِ خيرٌ من قَبُولِ المظالِمِ

قال محمد بن يحيى : فحدّثني الفضل بن الحُباب قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول سمعت أبا عبيدة يقول : ميمِيَّةُ بشّارٍ هذه أحبّ إليّ من ميميَّتَيْ جريرٍ والفرزدق .

[حديث بشّار في المشورة]

قال محمد : وحدّثني ابن الرِّياشيّ قال حدّثني أبي قال : قال الأصمعيّ قلت لبشّار : يا أبا معاذ ، إنّ الناس يَعجَبُونَ من أبياتك في المشورة ؛ فقال لي : يا أبا سعيد ، إنّ المُشاوِرَ بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه ؛ فقلت له : أنت والله في قولِكَ هذا أشعرُ منكَ في شعرك .

[بشّار والمعلّى بن طريف]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الفَضْلُ بن محمد اليزيديّ عن إسحاق وحدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال : كان بشّار جالساً في دار المهديّ والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالي المهديّ لمن حضر : ما عندكم في قـول الله عزّ وجـلّ : ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً ومِنَ الشَّجَرِ﴾ فقال له بشّار : النّحلُ التي يعرفها الناس ؛

---

1 تعفو : تمحو . المطى : كظهر .

قال : هيهات يا أبا معاذٍ ، النحل : بنو هاشم ، وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاس﴾ يعني العلم ؛ فقال له بشّار : أَراني اللهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفاءَكَ فيما يخرجُ من بطون بني هاشم ، فقد أوسَعْتَنا غَثاثَةً ؛ فغَضِبَ وشَتَم بشّاراً ؛ وبلغ المهديَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصّة ، فحدّثه بَشَّار بها ؛ فضحِك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أَجَلْ ! فجعل الله طعامك وشرابك ممّا يخرج من بطون بني هاشم ، فإنّك باردٌ غَثٌّ . وقال محمد بن مَزيَد في خبره : إنّ الذي خاطبَ بشّاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهديّ المُعَلَّى بن طَريفٍ .

[بشّار ويزيد بن منصور الحميري]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل يزيد بن منصور الحِمْيَرِيّ على المهديّ وبشّار بين يديه يُنشده قصيدةً امتدحه بها ، فلمّا فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحِميريّ ، وكانت فيه غفلةٌ ، فقال له : يا شيخ ، ما صناعتك ؟ فقال : أُثقُبُ اللؤلؤَ ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشّار : أُعْزُبْ ويلك ؛ أَتتنادَرُ على خالي ! فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى يُنشِد الخليفة شِعراً ويسأله عن صناعته ! .

[ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال : وقف على بشّار بعض المُجّان وهو ينشد شعراً ؛ فقال له : اسْتُر شِعرَكَ هذا كما تستُر عورَتَك ؛ فصفَّق بشّار بيديه وغضب وقال له : مَن أنت ويلك ؟ قال : أنا أعزّك الله رجل من باهلة ، وأخوالي من سَلُول ، وأصهاري عُكْل ، واسمي كلبٌ ، ومولدي بأُضاخ[1] ، ومنزلي بنهر بلال[2] ؛ فضحك بشّار ثم قال : اذهب ويلك ؛ فأنت عتيق لؤمِك ، قد علم الله أنّك استترتَ منّي بحصونٍ من حديد .

[وصف قاص قصراً كبيراً في الجنّة فعابه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني الفضل بن سعيد قال حدّثني أبي قال : مرّ بشّار بقاصٍّ بالبصرة[3] فسمعه يقول في قصصه : مَن صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنّة صحنُه ألف فرسخ في مثلها وعُلْوُه ألف فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصيرِه عشرة فراسخ في مثلها ، قال : فالتفت بشّارٌ إلى قائده فقال : بئست والله الدار هذه في كانون الثاني .

1 أضاخ : قرية من قرى اليمامة .

2 نهر بلال : نهر بالبصرة حفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

3 ل : بالمدينة .

[سمع صخباً في الجيران فقال كأن القيامة قامت]

قال الفضل بن سعيد وحدّثني رجلٌ من أهل البصرة ممّن كان يتزوّج بالنّهاريّات قال : تزوّجت امرأةً منهنّ فاجتمعت معها في عُلْوِ بيتٍ وبشّار تحتنا ، أو كنّا في أسفل البيت وبشّار في عُلْوة مع امرأةٍ ، فنهقَ حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجّت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يَدُقّها بها دقّاً شديداً فسمعتُ بشّاراً يقول للمرأة : نُفِخَ ، يعلم الله ، في الصُّورِ وقامتِ القيامة أما تسمعين كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فَزِعَتْ شاةٌ كانت في السطح فقطعت حبلَها وعَدَت فألقت طبقاً وغَضارةً[1] إلى الدار فانكسرا ، وتطاير حمامٌ ودجاج كنّ في الدار لصوت الغضارة وبكى صبيّ في الدار ؛ فقال بشّار : صحّ والله الخبر ونُشِر أهلُ القبور من قبورهم أزِفَتِ ، يشهد الله ، الآزفة وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلزالها ، فعجبتُ من كلامه وغاظني ذلك ؛ فسألت من المتكلّم ؟ فقيل لي : بشّار ، فقلت : قد علمتُ أنّه لا يتكلّم بمثل هذا غير بشّار .

[نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار قال حدّثني قُدامة بن نوح قال : مرّ بشّارٌ برجل قد رمحَته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشّار : استَزِدْه يَزِدْكَ .

[ما لهم مسرعين بالميت ؟]

قال : ومرّ به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها ، فقال : ما لهم مسرعين ؛ أتُراهم سرقوه فهم يخافون أن يُلحَقوا فيؤخذ منهم ؟ .

[مات ابن له فرثاه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب ، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمهور ، قالا : توفّي ابن لبشّار فجزع عليه ؛ فقيل له : أجرٌ قدّمتَه ، وفَرَطٌ افترطتَه ، وذُخرٌ أحرزته ، فقال : ولدٌ دفنته ، وثكلٌ تعجّلته ، وغيبٌ وُعِدتُه فانتظرته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرحُ للزيادة . وقال يرثيه[2] : [من الطويل]

أجارَتَنا لا تَجْزَعي وأنيبي ... أتاني من الموت المُطلِّ نَصيبي
بُنَيّي على رَغْمِي وسُخْطِي رُزِئْتُه ... وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قليبِ[3]

---

1 الغضارة : القصعة الكبيرة .

2 ديوان بشار : 33–34 .

3 جال : جانب ، والقليب : البئر .

وكان كرَيحانِ الغصونِ تَخالُه ... ذَوى بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطِيبِ[1]
أُصيبَ بُنَيِّي حين أورَقَ غُصنُه ... وأَلقى عليّ الهَمَّ كُلُّ قَريبِ
عَجِبتُ لإسراعِ المنيّةِ نحوَه ... وما كان لو مُلِّيتُهُ بعَجيبِ[2]

[نوادره]

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذكر عافيةُ بن شبيب عن أبي عثمان اللّيثيّ، وحدّثني به الحسن بن عليّ عن ابن مهرويَه عن أبي مسلم، قالا: رفع غلام بشّارٍ إليه في حساب نفقته جِلاءَ مرآةٍ عشرة دراهم، فصاح به بشّار وقال: والله ما في الدنيا أعجبُ من جِلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم، والله لو صدئَتْ عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أُجرة مَن يجلوها عشرة دراهم.

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ قال حدّثنا أبو معاذ النُّميريّ قال: قلت لبشّار: لِمَ مَدحتَ يزيد بن حاتم ثم هجوته؟ قال: سألني أن أُنيكَه فلم أفعل؛ فضحكتُ ثم قلت: فهو كان ينبغي له أن يغضب، فما موضع الهجاء؟ فقال: أظنّك تُحِبّ أن تكون شريكَه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلك ويلَك!

[سئل عن شعره الغث فأجاب]

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثنا أحمد بن خَلاَّد، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ، قالا حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال قلت لبشّار: إنّك لَتَجيءُ بالشيءِ الهَجِين المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قال قلت: بينما تقول شعراً تُثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك[3]: [من الطويل]

إذا ما غَضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيّةً ... هَتكنا حِجابَ الشمس أو تُمْطِرَ الدَما
إذا ما أعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ... ذُرى مِنْبرٍ صلَّى علينا وسَلَّما

تقول[4]: [من الهزج]

رَبابَةُ رَبَّةُ البيتِ ... تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ ... ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

فقال: لكُلٍّ وجهٌ وموضعٌ، فالقولُ الأوّل جِدٌّ، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكلُ البيضَ من السُّوق، وربابة هذه لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها،

1 الغصون في ل: العروس.
2 مليته: متعت به.
3 ديوان بشّار: 199.
4 ديوان بشّار: 52.

فهذا عندها من قولي أحسن من : [من الطويل]

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ

عندكَ .

[كان يحشو شعره تكميلاً للقافية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن محمد جِدار قال حدّثني قُدامة بن نوح قال : كان بشّار يحشو شِعرَه إذا أعوزَته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنّه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غَنّني للغَريض يـا ابنَ قنانِ

فقيل له : مَن ابن قنان هذا ، لسنا نعرفه من مُغَنّي البصرة ؟ قال : وما عليكم منه ! ألكم قِبَلَهُ دَينٌ فتطالبوه به ، أو ثأرٌ تريدون أن تُدرِكوه ، أو كَفَلتُ لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنّما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل يُغنّي لي ولا يخرج من بيتي ؛ فقالوا له : إلى متى ؟ قال : مُذ يومَ وُلِد وإلى يوم يموت . قال : وأنشدها أيضاً في هذه القصيدة :

. . . . ووافا ني هـلالُ السمـاء في البردانِ

فقلنا : يا أبا معاذ . أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سمّيته البردان ، أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه ؟ .

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسّان دَماذ ، واسمه رفيع بن سلَمَة ، قال حدّثني يحيى بن الجَوْنِ العبديّ راوية بشّار قال : كنّا عند بشّار يوماً فأنشدنا قوله[1] : [من المتقارب]

وجاريةٍ خُلِقَـتْ وحدَهـا كأنّ النساءَ لديْهـا خَدَمْ
دُوار العـذارَى إذا زُرْنَـها أطَفْنَ بحَوْراءَ مثـلِ الصَنَمْ[2]
ظَمِئتُ إليهـا فلم تَسْقِني بِريٍّ ولم تَشْفِني من سَقَمْ
وقالت هَوِيتَ فمتْ راشِداً كما مـات عُروةُ[3] غمّاً بغَمّ
فلمّا رأيـتُ الهـوى قاتلي ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَمّ
دَسَسْتُ إليهـا أبا مِجْلَزٍ وأيّ فتىً إن أصابَ اعتزَمْ

---

1 ديوان بشار : 214-216 .

2 دوار : اسم صنم كانت العرب تدور حوله .

3 هو عروة بن حزام صاحب عفراء .

فمـا زال حتى أنابتْ لـه ... فراح وحلَّ لنـا مـا حَرُمْ

فقال له رجل : ومَن أبو مجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : وما حاجتك إليه ؟ لك عليه دينٌ أو تطالبه بطائلةٍ[1] ! هو رجل يتردّد بيني وبين معارفي في رسائل . قال : وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا .

[شعره في قينة]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كانت بالبصرة قينةٌ لبعض ولد سليمان بن عليّ وكانت مُحسنة بارعة الظَّرف ، وكان بشّار صديقاً لسيِّدها ومَدّاحاً له ، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغنِّي ؛ فَسُرَّ بحضوره وشَرِب حتى سكِر ونام ، ونهض بشّار ؛ فقالت : يا أبا معاذ ، أُحبّ أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيّدي وتكتب بها إليه ؛ فانصرف وكتب إليه[2] : [من البسيط]

وذاتِ دَلٍّ كأن البـدرَ صُورَتُهـا ... باتَتْ تُغنّي عميدَ القلبِ سكرانا
(إنّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنـا ثـم لم يُحيِينَ قتلانا)
فقلتُ أحسَنْتِ يا سُؤْلِي ويا أملي ... فأسمِعِينـي جـزاكِ اللهُ إحسانـا :
(يا حبّذا جبلُ الرَّيـانِ من جبلٍ ... وحبّذا ساكـنُ الريّانِ مَنْ كانا)
قالت فهلاّ فدَتكَ النفسُ أحسن مِنْ ... هذا لِمَنْ كان صبَّ القلبِ حَيرانا :
(يا قوم أُذْني لبعض الحـيِّ عاشِقَةٌ ... والأذن تَعشَقُ قبـل العين أحيانا)
فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً ... أضرَمْتِ في القلبِ والأحشاء نِيرانا
فأسمِعِينـيَ صَوتـاً مُطرِبـاً هَزَجاً ... يزيدُ صَبّاً مُحِبّاً فيكِ أشجانا
يـا ليتني كنتُ تُفّاحـاً مُفَلَّجةً ... أو كنتُ من قُضبِ الريحان رَيحانا
حتى إذا وَجَـدَتْ رِيحِي فأعجبَها ... ونحـنُ في خَلـوةٍ مُثِّلْتُ إنسانا
فحرّكَتْ عُودَها ثـم انثنَتْ طَرَباً ... تَشْدُو بـه ثم لا تُخفِيه كِتمانا :
(أصبَحْتُ أطوعَ خَلقِ الله كُلِّهِمِ ... لأكثرِ الخلق لِي في الحبِّ عِصيانا)

---

1 طائلة : ذحل أو ثأر .

2 ديوان بشّار : 223–225 والأبيات التي بين قوسين هي التي فيها الغناء وأوّل اثنين منها من قصيدة جرير التي مطلعها (ص 490 ، ط . دار صادر) :

بـان الخليط ولو طوِّعـت ما بانا ... وقطعوا من حبال الوصـل أقرانـا

فقلتُ أطربْتِنا يـا زَيْنَ مجلِسَنا ... فهـاتِ إنـكِ بالإحسانِ أولانا
لـو كنـتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلُني ... أعددتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنقاً رَمَلاً ... يُذْكِي السّرورَ ويُبْكِي العينَ ألوانا :
(لا يَقتُلُ اللهُ مَـنْ دامَـتْ مَوَدّتُهُ ... واللهُ يقتُـلُ أهـلَ الغَـدْرِ أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها ، فبعث إليه سيّدُها بألفَيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً .

[أغضبه أعرابيّ عند مجزأة بن ثور فهجاه]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ قال حدّثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد الله المقرىء الجَحدَريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة ، قال : دخل أعرابيّ على مجزأة بن ثور السَّدوسيّ وبشّار عنده وعليه بِزّةُ الشعراء ، فقال الأعرابيّ : مَنِ الرجل ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ ؛ فقال : أَمَوْلًى هو أم عَرَبيّ ؟ قالوا : بل مولًى ؛ فقال الأعرابيّ : وما للموالي وللشعر ؟ فغضِب بشّار وسكت هُنيهةً ، ثم قال : أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا مُعاذٍ ؛ فأنشأ بشّار يقول[1] : [من الوافر]

خليـلي لا أنـامُ على اقتسارِ ... ولا آبـى عـلى مَوْلـىً وجارِ
سَأُخبِرُ فاخـرَ الأعراب عنّي ... وعنـه حـين تأذنُ بالفَخارِ
أحين كُسِيتَ بعد العُرْي خَزّاً ... ونادَمْـتَ الكِـرامَ على العُقارِ
تُفاخِرُ يـا ابـنَ راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرار حَسبُكَ مِنْ خَسارِ
وكنتَ إذا ظمِئْتَ إلى قَراحٍ ... شَرِكْتَ الكلبَ في وَلْغِ الإطارِ
تُرِيـغُ بخُطْبَـةٍ كسرَ الموالي ... ويُنْسِيكَ المكـارمَ صيدُ فارِ[2]
وتَغْـدُو للقنافـذ تَدَّرِيَهـا ... ولم تَعقِـلْ بـدَرَّاج الدِّيارِ[3]
وتَتَّشحُ الشِّمـالَ لِلابسيهـا ... وتَرعى الضأنَ بالبلَـد القِفارِ[4]
مُقامُـكَ بيننـا دَنَسٌ علينـا ... فليتَـكَ غائِـبٌ في حَـرِّ نارِ
وفخـرُكَ بـين خنزيرٍ وكلبٍ ... على مِثلي مـن الحدَثِ الكُبارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ : قَبَحَكَ اللهُ ؛ فأنتَ كَسَبْت هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالِك .

1 ديوان بشار : 122–123 عن الأغاني .
2 تريغ : تريد وتطلب .
3 تدريها : تختلها لتصيدها . دراج الديار : القنفذ .
4 الشمال : جمع شملة وهي الكساء يتّشح به .

[خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني العنزيّ عن الرياشيّ قال : حضر بشّار باب محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : آصبِر ؛ فقال : إنّ الصبرَ لا يكون إلاّ على بلِيَّةٍ ؛ فقال له الحاجب : إنّي أظنُّ أنّ وراء قولك هذا شرّاً ولن أتعرَّض له ، فقم فادخُل .

[بشّار وهلال الرأي]

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سلاّم قال : قال هلال الرأي ، وهو هلال بن عطيّة ، لبشّارٍ وكان له صديقاً يمازحه : إنّ الله لم يُذهب بصرَ أحدٍ إلاّ عوّضه بشيء ، فما عوّضَك ؟ قال : الطويل العريض ؛ قال : وما هذا ؟ قال : ألاّ أراك ولا أمثالك من الثقلاء . ثم قال له : يا هلال أتُطيعُني في نصيحةٍ أخُصُّكَ بها ؟ قال نعم ؛ قال : إنّك كنتَ تسرِقُ الحمير زماناً ثم تُبتَ وصِرتَ رافِضيّاً ، فعُد إلى سرقة الحمير ، فهي والله خيرٌ لك من الرِّفْضِ [1] .

قال محمد بن سلاّم : وكان هلال يُستثقَل ، وفيه يقول بشّار [2] : [من الوافر]

وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي … وحَوْلِي عَسكَرانِ مِنَ الثِّقالِ

قُعُوداً حولَ دَسْكَرتِي وعندِي … كأنّ لهم علَيّ فضولَ مالِ

إذا ما شِئتُ صبَّحني هِلالٌ … وأيُّ الناس أثقل من هلالِ

وأخبرني أبو دُلَفَ الخُزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، فذكر أنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه المخاطبة ابن سيَّابة ، فلمّا أجابه بشّار بالجواب المذكور ، قال له : من أنت ؟ قال : ابن سيّابة ؛ فقال له : يا ابن سيّابة ، لو نُكِحَ الأسد ما افترس ؛ قال : وكان يُتَّهمُ بالأُبْنَةِ .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

قال أيوب وحدّثني محمد بن سلاّم وغيره قالوا : مرّ ابن أخي بشّارٍ به ومعه قومٌ ؛ فقال لرجل معه : مَن هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أنّ أصحابه أنذال ؛ قال : وكيف علِمتَ ؟ قال : ليست لهم نِعالٌ .

[كان دقيق الحسّ]

أخبرنا محمد بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني عافيةُ بن شَبيب عن أبي دُهمان الغَلابيّ ، قال : مررتُ ببشّار يوماً وهو جالس على بابه وحده وليس معه خَلقٌ وبيده مِخْصَرَةٌ يلعبُ بها

---

1 الرفض (بالكسر) : مذهب الرافضة ، وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ولمّا رفض التبرّؤ من الشيخين رفضوه وانفضوا عنه .

2 ديوان بشار : 282 عن الأغاني .

وقُدَّامه طبق فيه تفّاح وأُترُجٌّ ، فلمّا رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه ، فجئتُ قليلاً قليلاً وهو كافٌّ يده حتى مَددت يدي لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربةً كاد يكسِرُها ، فقلت له : قطع الله يدك يا ابن الفاعلة ، أنتَ الآن أعمى ؛ فقال : يا أحمق ، فأين الحِسُّ ؟ .

[حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : كان لبشّار في داره مجلسان : مجلسٌ يجلس فيه بالغداة يُسمِّيه «البردان» ومجلسٌ يجلس فيه بالعشيّ اسمه «الرَّقيق» ، فأصبح ذات يومٍ فاحتجم وقال لغلامه : أَمسك عليّ بابي واطبُخ لي من طَيِّبِ طعامي وصَفٍّ نبيذي ؛ قال : فإنّه لكذلك إذ قُرِع الباب قرعاً عنيفاً ؛ فقال : ويحك يا غلام ؛ انظُر مَنْ يدقّ الباب دَقَّ الشُّرَطِ ؛ قال : فنظر الغلام ، فقال له : نسوةٌ خمسٌ بالباب يسألن أن تقول لهنَّ شعراً ينُحْنَ به ؛ فقال : أَدخِلْهُنَّ ، فلمّا دخلنَ نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قَنانِيِّه في جانب بيته ؛ قال : فقالت واحدة منهنّ : هو خمرٌ ، وقالت الأُخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ ، وقالت الثالثة : نقيع زبيب ؛ فقال : لستُ بقائلٍ لكنّ حرفاً أو تَطعَمْنَ من طعامي وتشربْنَ من شرابي ؛ قال : فتماسكْنَ ساعةً ، ثم قالت واحدة منهنّ : ما عليكنّ ؛ هو أعمى فكُلْنَ من طعامه واشربن من شرابه وخُذْن شِعرَه ؛ فبلغ ذلك الحسن البصريَّ فعابه وهتَفَ ببشّارٍ ؛ فبلغه ذلك ، وكان بشّار يُسمِّي الحسن البصريّ القَسَّ ، فقال[1] : [من مجزوء الكامل]

لمّا طَلَعْـنَ مـن الرّقيـ ـق عليّ بالبردانِ خمسا
وكأنّهـنّ أهِلَّـةٌ تحت الثيابِ زَفَفْنَ شمسا
باكَـرْنَ عِطْـرَ لَطِيمَـةٍ وغُمِسْنَ في الجادِيّ غمسا[2]

صوت

لمّـا طلَعْـنَ حَفَفْنَهـا وأصَخْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسا
فسألنَنِي مَـنْ في البيـو تِ فقلتُ ما يُؤْوِينَ إنسا
ليـتَ العيـونَ الطارفـا تِ طُمِسْنَ عنّا اليومَ طَمْسا
فأصَبْنَ من طُـرَفِ الحديـ ـثِ لَذاذةً وخَرَجْنَ مُلسا[3]

---

1 ديوان بشار 141–142 عن الأغاني .

2 اللطيمة : المسك . الجادي : الزعفران .

3 مُلسا في ل : قلسا . والقلص : شرب الكثير من النبيذ . وملس : خاليات من العيب .

لـــولا تَعَرُّضُهُــــنَّ لي يـا قَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا

غنَّى في هذه الأبيات يحيى المكيّ ، ولحنه رمل بالبنصر عن عمرٍو .

[نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء]

أخبرنا يحيى قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد قال حدّثني جعفر بن محمد النوفليّ ، وكان يروي شعر بشّار بن بُرد ، قال : جئتُ بشّاراً ذات يومٍ فحدّثني ، قال : ما شعرتُ منذ أيّام إلاّ بقارع يقرَع بابي مع الصّبح ، فقلت : يا جارية انظُري مَن هذا ، فرجعتْ إليّ وقالت : هذا مالكُ بن دينار ؛ فقلت : ما هو من أشكالي ولا أضرابي ، ثمّ قلت : ائذَني له ، فدخل فقال : يا أبا معاذ ، أتشتم أعراض الناس وتُشبِّب بنسائهم ؟ فلم يكن عندي إلاّ أن دفعتُ عن نفسي وقلت : لا أعود ، فخرج عنّي ، وقلتُ في أثره[1] : [من المتقارب]

غَـدا مالــكٌ بمَلاماته عليّ ومـا بـاتَ من باليَهْ

تَناولَ خَوْداً هَضِيم الحشَى من الحُورِ مَحظوظةً عاليَهْ[2]

فقلتُ دَع اللّوم في حبّهـا فقبـلكَ أعيَيـتُ عُذّالِيَهْ

وإنّـي لأكتُمهـم سِرّهـا غداةَ تقـول لهـا الجالِيَهْ[3]

عُبَيـدةُ ما لـك مَسلوبـةً وكنـتِ مُعطَّــرة حاليَهْ

فقالــت على رقبةٍ : إنّني رهَنتُ المرَعّـث خَلخاليَهْ

بمجلس يـوم سأُوفِـي به ولو أُجْلَب الناسُ أحواليهْ[4]

[شعره في محبوبته فاطمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني السَّمَيدع بن محمد الأزديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الجَهْم عن هشام بن الكلبيّ قال : كان أوّل بَدْء بشّار أنّه عشق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كُفّ وذهب بصرُه ، فسمعها تغنّي فهَوِيَها وأنشأ يقول[5] : [من الرمل]

دُرّةٌ بَحريَّـــةٌ مكنونـــــةٌ مازها التّاجرُ مـن بين الدُّررْ

عجبتْ فَطْمةُ مـن نَعْتِي لهـا هل يُجيد النَّعتَ مَكفوفُ البصرْ

1 ديوان بشّار : 247–248 .

2 محظوظة في ل : محطوطة أي ممدودة المتنين حسنة .

3 الجالية : الماشطة التي تجلوها .

4 أحواليه : من حولي .

5 ديوان بشّار : 135–136 .

أَمَتا بَـــدّد هـــذا لُعَبــي ووِشاحي حَلّـــه حتّى انتثَرْ
فدَعينـــي معَـــه يـا أمتـــا عَلَّنا في خَلْـوةٍ نَقْضي الوَطَرْ
أقبلـتْ مُغضَبَـــةً تضرِبهـا واعتراهـا كجنـــون مستعِــرْ
بأبـــي واللهِ مـــا أَحسنَـــه دمعُ عين يَغسِل الكحْلَ قَطَرْ
أيُّها النُّوّام هُبُّـــوا وَيْحَكم واسألوني اليومَ ما طعمُ السَّهرْ

[عبث به رجل من آل سوّار فلم يجبه]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدّثني أبي عن الحكم بن مَخْلَد بن حازم قال : مررتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سَوَّار بن عبد الله بقصر أوس[1] ، فإذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحده ، فقال لي العُكْليّ : لا بدّ لي من أن أعبَث ببشّار ؛ فقلت : ويحك ، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضِك له ؛ فقال : إنّي لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت ؛ قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال : يا بشّار ؛ فقال : من هذا الذي لا يَكْنِيني ويدعوني باسمي ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأَخبِرْني أنت عن أمّك : أَوَلدتْك أعمى أم عميتَ بعدما ولدتْـك ؟ قال : وما تريد إلى ذلك ؟ قال : وَدِدتُ أنّه فُسِح لك في بصرك ساعة لتنظُر إلى وجهك في المرآة ، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرَك ؛ فقال : ويحكم ؛ مَن هذا ؟ أمَا أحدٌ يُخبرني مَن هذا ؟ فقال له : على رِسلك ، أنا رجل من عُكْل وخالي يبيع الفَحم بالعَبْلاء[2] فما تقدِر أن تقول لي ؟ قال : لا شيء ، اذْهَبْ ، بأبي أنت ، في حِفْظ الله .

[مدح خالد البرمكيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال : كان الزُوَّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن برمك السُّؤَّال ؛ فقال خالد : هذا والله اسم أستثقله لطُلاَّب الخير ، وأرفعُ قدرَ الكريم عن أن يُسمِّيَ به أمثال هؤلاء المؤمِّلين ، لأنّ فيهم الأشراف والأحرار وأبناءَ النَّعيم ومن لعلَّه خيرٌ ممّن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنّا نسمِّيهم الزُوّار ؛ فقال بشّار يمدحه بذلك[3] : [من الطويل]

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمكٍ فمَجدٌ لـه مُستطرَف وأَصيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدعَوْن قبلَه بلَفظٍ على الإعدام فيــه دَليلُ

---

1 قصر أوس بالبصرة يُنسب إلى أوس بن ثعلبة الذي ولي خراسان في عهد الدولة الأموية .

2 بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت صنم (ياقوت) .

3 ديوان بشّار: 107 .

يُسمَّون بالسُّؤَّال في كلّ مَوْطِنٍ وإن كان فيهم نابـةٌ وجَلِيلُ
فسمّاهـمُ الزوّارَ سَتْراً عليهـمُ فأستارُه في المُجْتَدِيـن سُدُولُ

قال : وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزوّار ، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم .

[بشّار وصديقه تسنيم بن الحواري]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرُويَهْ قال حدّثني أبو شِبْل عاصم بن وهب قال : نهق حِمارٌ ذات يوم بقرب بشّار ، فخطر بباله بيتٌ فقال[1] : [من البسيط]

ما قام أيرُ حمـارٍ فامتلا شَبَقاً إلاّ تحرَك عرقٌ في استِ تَسْنِيمِ

قال : ولم يُرِد تَسْنِيماً بالهجاء ؛ ولكنّه لمّا بلغ إلى قوله : «إلاّ تحرّك عِرْقٌ» قال : في اسْتِ مَنْ ؟ ومرّ به تسنيم بن الحواري وكان صديقه ، فسلّم عليه وضحك ، فقال : في استِ تسنيم عَلِمَ الله ؛ فقال له : أيش ويحك !؟ فأنشده البيت ؛ فقال له : عليك لعنة الله ؛ فما عندك فرقٌ بين صديقك وعدوّك ، أيّ شيء حملك على هذا ! ألا قلت : «في است حمّاد» الذي هجاك وفضَحك وأعياك ، وليست قافيتك على الميم فأَعذِرَك ! قال : صدقتَ والله في هذا كلّه ، ولكن ما زلتُ أقول : في است من ؟ في است من ؟ ولا يخطُر ببالي أحد حتى مررتَ وسلّمت فرُزِقته ؛ فقال له تسنيم : إذا كان هذا جواب السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلّمتُ عليك ؛ وجعل بشّار يضحك ويُصفّق بيديه وتسنيمٌ يشتُمه .

[ليس من حسنه يهاب الأسد]

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدّثنا عليّ بن محمّد النوفليّ عن عمّه قال : قالت امرأة لبشّار : ما أدري لِمَ يهابُكَ الناس مع قُبح وجهك ؛ فقال لها بشّار : ليس من حُسْنِه يُهاب الأسد .

[الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤبة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الحجّاج قال : دخل بشّار على عقبة[2] بن سَلْم ، فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤبة يُنشده رجزاً يمدحه به ، فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ ؛ ثم أقبل على بشّار فقال : هذا طرازٌ لا تُحسنه أنت يا أبا معاذ ؛ فقال له بشّار : أَلي يُقال هذا ؟ أنا والله أَرجَز منك ومن أبيك وجدّك ؛ فقال له عقبة : أنا والله وأبي فتحنا للناس باب الغريب وباب الرّجز ، ووالله إنّي لخليق أن أُسُدّه عليهم ؛ فقال بشّار : ارحَمْهم رحمك الله ؛ فقال عقبة : أتستخفُّ بي يا أبا

1 ديوان بشّار : 210 .
2 ولي البصرة لأبي جعفر المنصور .

معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال له بشّار : فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهّرهم تطهيراً ؛ ثمّ خرج من عنده عقبةُ مُغضَباً . فلمّا كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها[1] : [من الرجز]

يـا طَلَلَ الحيِّ بـذات الصَّمْدِ — بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدِي[2]
أَوْحَشْتَ من دعدٍ وتِرْب دعدِ — سَقْيـاً لأسمـاءَ ابنـةِ الأَشَدِّ
قامَتْ تَراءَى إذ رأَتْني وَحْدِي — كالشّمْسِ تحتَ الزِّبْرِجِ المُنْقَدِّ[3]
صدَّت بخدّ وجَلَتْ عن خـدِّ — ثـم انثنـتْ كالنَّفْس المُـرتَدِّ
عَهْدِي بها سَقْياً لـه من عَهْدِ — تُخلِـفُ وعـداً وتَفِـي بوعدِ
فنحنُ من جَهْدِ الهوى في جَهْدِ — وزاهـرٍ مـن سَبِـطٍ وجَعْدِ
أَهْدى لـه الدّهرُ ولم يَستهدِ — أفـوافَ نَـوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ[4]
يلقَى الضُّحى رَيحانُـه بسَجْدِ — بُدِّلتُ من ذاك بُكًى لا يُجدِي
وافقَ حظّاً مـن سَعـى بجَدِّ — ما ضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجدِّ
الحُـرّ يُلْحَـى والعصا للعبدِ — وليس للمُلْحِـف مثـلُ الردِّ
والنَّصْفُ يَكْفيك من التعدّي — وصاحـبٍ كالدُّمَّـلِ المُمِدِّ[5]
حملتُه في رُقعـةٍ مـن جِلْدِي — أرقُبُ منـه مثلَ يومِ الوِرْدِ[6]
حتى مضى غيرَ فقيـد الفَقْدِ — وما دَرى ما رَغْبتِي من زُهدِي
اسلَمْ وحُيِّيتَ أبـا المِلَدِّ — مفتاحَ بـاب الحدَث المنسدِّ
مُشترَكَ النَّيْـل وريَّ الزَّنـدِ — أغـرَّ لبَّـاسَ ثيـابِ الحمدِ
مـا كان منّي لك غيرُ الوُدِّ — ثـم ثنـاءٌ مثـلُ ريح الوَرْدِ
نسَجْتُه في مُحْكَمات النَّـدِّ — فالبَسْ طِـرازِي غيرَ مُستَرَدِّ
لله أيّامُـــكَ في مَعَـــدِّ — وفي بنـي قَحْطـانَ غيرَ عَدِّ

---

1 ديوان بشّار : 84–87 .
2 ذات الصمد : موضع أو ماء .
3 الزبرج : السحاب . والمنقد : المتقطّع .
4 أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن .
5 النصف : الإنصاف .
6 الورد : من أسماء الحمى .

يوما بذِي طِخْفَةَ عنــد الحــدِّ ... ومثلَه أودَعْــتَ أرضَ الهندِ[1]
بالمرْهَفاتِ والحَديــدِ السَّردِ ... والمُقرباتِ المُبْعداتِ الجُرْدِ
إذا الحيا أكْدى بها لا تُكْدِي ... تُلْجِمُ أمراً وأموراً تُسْدي
وابنُ حكيــم إن أتاك يَرْدِي ... أصمَّ لا يسمعُ صوتَ الرعدِ[2]
حيَّيْتَــه بتُحْفَــة المُعِــدِّ ... فانهَـدَّ مثـلَ الجبـل المُنْهَدِّ
كُلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما يُؤدِّي ... ورُبَّ ذي تــاجٍ كريمِ الجَدِّ
كآلِ كِسرَى وكـآلِ بُــردِ ... أنكَبَ جافٍ عن سبيل القصدِ[3]
فَصَلْتَه عــن ملِـهِ والوُلْدِ

فطرب عُقبة بن سَلْم وأجْزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بِخزْيٍ ، وهرب من تحت ليلته فلم يَعُد إليه .

وذكر لي أبو دُلَفَ هاشم بن محمد الخزاعيّ هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر إلى سوءِ أدب عقبة بن رؤبة وقد أجملَ بشّارٌ مَحضرَه وعِشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلمَ خلقِ الله به ، لأنّه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يا بُنيَّ ذَهْبان الشعر إذا مُتَّ مات شعرُك معك ، فلم يوجد مَن يرويه بعدك ؛ فكان كما قال له ، ما يُعرفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غير هذا الخبر القبيح الإخبارِ عنه الدالِّ على سُخفه وسقوطه وسُوءِ أدبه .

[كان يهوى امرأة من البصرة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ قال حدّثنا أبو عبيدة قال : كان بشّار يهوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عبيدة[4] ، فخرجت عن البصرة إلى عُمانَ مع زوجها ، فقال بشّارٌ فيها[5] : [من الطويل]

صوت

هوَى صاحِبِي ريحُ الشَّمالِ إذا جَرَتْ ... وأشفَى لقلبِـي أن تهُـبَّ جَنُوبُ
وما ذاكَ إلاّ أنّها حـين تنتهِي ... تَناهَـى وفيهـا من عُبيدَةَ طِيبُ

---

1 طخفة : موضع كان فيه يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .
2 يردي : يعدو .
3 أنكب : مائل .
4 ل : عبدة .
5 ديوان بشار : 19 .

عَذِيرِي مِـنَ العُذَّالِ إذ يَعْذِلُونَنِي سَفاهاً ومـا في العاذِلِـينَ لَبِيبُ

صوت

[من الطويل]

يقولونَ لو عَزَّيْتَ قلبَكَ لارْعَوى فقلتُ وهــل للعاشقــينَ قُلوبُ
إذا نطــقَ القــومُ الجُلوسُ فإنّني مُكِبٌّ كأنّي في الجميع غَرِيبُ[1]

[بشّار وأبو الشمقمق]

أخبرني هاشم قال حدّثني دَماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال : جاء أبو الشمقمق إلى بشّار يشكو إليه الضّيِّقة ويحلف له أنّه ما[2] عنده شيء ؛ فقال له بشّار : والله ما عندي شيء يُغنيك ولكن قُم معي إلى عقبة بن سلم ، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشّار[3] : [من مجزوء الكامل]

يا واحدَ العربِ الذي أمسَى وليسَ لــه نَظِيرُ
لــو كان مِثْلَــكَ آخَــرٌ ما كان في الدنيا فَقِيرُ

فأمر لبشّار بألفيْ درهم ؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتَنا ونفعناك يا أبا معاذٍ ؛ فجعل بشّار يضحك .

[بشّار وأبو جعفر المنصور]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثنا زكريّا بن يحيى أبو السُّكَين[4] الطائي قال حدّثني زَحرُ بن حِصنٍ قال : حجّ المنصور فاستقبلناه بالرَّضم الذي بين زُبالة والشُّقوق[5] ، فلمّا رحل من الشُّقوق رحَلَ في وقت الهاجرة فلم يركب القبّة[6] وركب نجيباً فسار بيننا ، فجعلت الشمس تضحك[7] بين عينيه ، فقال : إنّي قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهَبْتُ له جبّتي هذه ؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال : [من الوافر]

---

1 مكب : مطرق .
2 ل : ليس .
3 ديوان بشار : 104 وسيردان لابن المولى في ترجمته وهما أيضاً له في معجم الشعراء : 326 وابن خلكان 6 : 362 .
4 ل : المستكين .
5 زبالة : قرية على طريق الحاج من الكوفة . الشقوق : منزل على الطريق بعد الكوفة .
6 القبة : الهودج .
7 تضحك : تتلألأ .

وهاجـرةٍ نَصبْتُ لهـا جَبِيني ... يُقَطِّعُ ظهرُهـا ظَهْـرَ العظايَهْ

فبدر بشار الأعمى فقال[1] : [من الوافر]

وَقَفْتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دمعي ... على خدِّي وأَقْصَرَ واعِظـايَهْ

فنزع الجبّة وهو راكب فدفعها إليه . فقلت لبشّار بعد ذلك : ما فعلت بالجبّة ؟ فقال بشّار : بعتُها والله بأربعمائة دينار .

[كانت له شعر غث يعير به]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدّثني عبد الرحمن بن العبّاس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال : كان بشّار منقطعاً إليّ وإلى إخوتي فكان يَغشانا كثيراً ، ثم خرج إبراهيم بن عبد الله فخرج معه عِدَّةٌ منّا ، فلمّا قُتِل إبراهيم توارينا ، وحبس المنصور منّا عدّةً من إخوتي ، فلمّا وَلِيَ المهديُّ أَمّنَ الناس جميعاً وأطلق المحبوسين ، فقدِمتُ بغداد أنا وإخوتي نلتمس أماناً من المهديّ ، وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرُّصافة يُنشدون ويتحدّثون ، فلم أُطلِع بشّاراً على نفسي إلاّ بعد أن أظهر لنا المهديّ الأمان ، وكتب أخي إلى خليفته بالليل ، فصِحتُ به : يا أبا معاذ مَن الذي يقول : [من الهزج]

أُحِبُّ الخاتَمَ الأحمـ ... ـر مِنْ حُـبٍّ مَوالِيهِ

فأعرض عنّي وأخذ في بعض إنشاده شعره ، ثم صِحتُ : يا أبا مُعاذٍ مَن الذي يقول : [من الرمل]

إنّ سَلْمى خُلِقَتْ من قَصَبِ ... قصبِ السكّر لا عظـمِ الجَمَلْ
وإذا أدنيـتَ منهـا بصـلاً ... غلَب المسكُ على ريحِ البصلْ

فغضب وصاح : من الذي يُقَرِّعُنا بأشياءَ كنّا نعبث بها في الحداثة فهو يُعَيِّرنا بها ! فتركته ساعةً ثم صِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول[2] : [من الطويل]

أخشّابُ حقّاً أنّ دارَكِ تُزْعَجُ ... وأنّ الذي بيني وبينَكِ يَنْهَجُ[3]

فقال : ويحك ؛ عن مثلِ هذا فسَلْ ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها ، وهي من جيّد شعره ، وفيه غناءٌ : [من الطويل]

---

1 ديوان بشّار : 248 .
2 ديوان بشّار : 58 .
3 ينهج : يبلى .

صوت

فواكَبِدا قد أنضَجَ الشوقُ نصفها ونصفٌ على نارِ الصَّبابةِ يَنضَجُ
وواحَزَنا منهنَّ يَحْفُفْن هودجاً وفي الهودجِ المحفوفِ بدرٌ مُتَوَّجُ
فإن جئتَها بين النساء فقل لها عليكِ سلامٌ ماتَ مَنْ يتزوّجُ
بكيت وما في الدمعِ منكِ خليفةٌ ولكنّ أحزاني عليكِ تَوَهَّجُ

الغناء لسُلَيم بن سَلاَّم رملٌ بالوسطى . ووجدتُ هذا الخبر بخطّ ابن مهرويَهْ فذكر أنّه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه وكان إليها مائلاً يقال لها خَشَّابة ، فارسيّة ، فزُوِّجَتْ وأُخرجت عن البصرة .

[أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم : قال أبو النضير الشاعر : أنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي ، فقال لي : أيجيئُكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَيْنةِ بعد الفينةِ إذا تَعَمَّلتَ له ؟ فقلت : بل هذا شعرٌ يجيئني كلّما أردتُه ؛ فقال لي : قل فإنّك شاعر ؛ فقلت له : لعلّك حابيتَنِي أبا مُعاذ وتحمَّلتَ[1] لي ؛ فقال : أنتَ أبقاك الله أهونُ عليّ من ذلك .

[حاول تقبيل جارية لصديق له ثم اعتذر عن ذلك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن عبّاس بن عبّاس الزِّنادِيّ عن رجلٍ من باهلة ، قال : كنتُ عند بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلّم عليه ، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال : كيف ابنتي ؟ قال : في عافيةٍ ، تدعوكَ اليوم ؛ فقال بشّار : يا باهليّ انهَضْ بنا ، فجئنا إلى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَرِيّ ، فأكلنا ، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية ، فلمّا أراد الانصراف قامت فأخذتْ بيد بشّار ، فلمّا صار في الصحن أومأ إليها ليقبّلها ، فأرسلت يدَها من يده ، فجعل يجول في العَرْصة ؛ وخرج المولى فقال : ما لك يا أبا معاذٍ ؟ فقال : أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً ، فقال[2] : [من المتقارب]

أتوبُ إليك من السيئاتِ وأَستغفرُ اللهَ من فَعْلتِي
تناولتُ ما لم أُرِدْ نَيْلَه على جهلِ أَمري وفي سَكرتِي
ووالله واللهِ ما جئتُه لعمدٍ ولا كان من هِمَّتِي

1 لعلّها تجمّلت ، أي تكلّفت الجميل .
2 ديوان بشار : 54 عن الأغاني .

وإلاّ فَمِــتُّ إذاً ضائعــاً وعَذَّبَنِـــي اللهُ في مِيتَتِـي
فمَن نــالَ خيراً على قُبْلَـةٍ فـلا بــارَكَ اللهُ في قُبلَتِي

[كتب شعراً على باب عقبة يستنجزه وعده]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: لمّا أنشد بشّارٌ أرجوزته: [من الرجز]

يا طللَ الحيّ بذاتِ الصَّمْدِ

أبا المِلَدِّ عُقبة بن سَلْم أمر له بخمسين ألفَ درهم، فأخّرها عنه وكيلُه ثلاثة أيّام، فأمر غلامه بشّار أن يكتب على باب عُقبة عن يمين الباب[1]: [من الرجز]

ما زالَ ما مَنَّيتَنِي من هَمِّي والوعدُ غمٌّ فأَرِحْ من غَمِّي
إن لم تُرِدْ حَمْدِي فَراقِبْ ذَمِّي

فلمّا خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال: هذه مِن فَعَلات بشّارٍ، ثم دعا بالقَهْرَمانِ، فقال: هل حملتَ إلى بشّارٍ ما أمرتُ له به؟ فقال: أيّها الأمير نحن مُضِيقون وغداً أحملُها إليه؛ فقال: زِدْ فيها عشرة آلاف درهم واحمِلها إليه الساعة؛ فحملها من وقته.

[نهاه المهدي عن التشبيب بالنساء]

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ قال: سألتُ أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال: كان أوّلُ ذلك استهتار نساء البصرة وشُبَّانِها بشعره، حتى قال سَوّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بن دينار: ما شيءٌ أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يَعِظانه؛ وكان واصلُ بن عطاءٍ يقول: إن مِن أخدَعِ حبائلِ الشيطان وأغواها لَكَلِمات هذا الأعمى الملحِد. فلمّا كثُر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ، وأنشد المهديَّ ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب، وكان المهديّ من أشدّ الناس غَيْرةً؛ قال: فقلت له: ما أحسَبُ شِعرَ هذا أبلغ في هذه المعاني من شعر كُثَيِّر وجميلٍ وعُروة بن حِزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَن يسمع تلك الأشعار يعرِف المراد منها؛ وبشّار يُقارب النساء حتى لا يخفى عليهنّ ما يقول وما يريد، وأيّ حُرَّةٍ حَصانٍ تسمع قول بشّار فلا يؤثِّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغَزِلَة والفتاة التي لا همَّ لها إلاّ الرجالُ! ثم أنشد قوله[2]: [من البسيط]

1 ديوان بشار: 211.
2 ديوان بشار: 99-100.

قـد لامَني في خليلتـي عُمَرُ والَّلومُ في غير كُنهِـه ضَجَرُ
قـال أَفق قلتُ لا فقـال بلى قد شاعَ في الناسِ منكما الخَبَرُ
قلتُ وإذ شاعَ ما اعتذارُكَ ممّـ ـا ليس لي فيه عندهـم عُذُرُ
ماذا عليهم ومـا لهم خَرِسُوا لـو أنّهم في عيوبِهم نَظَرُوا
أعشَقُ وحدي ويؤخَذُون بـه كالتُّركِ تَغْزُو فتُؤخـذُ الخَزَرُ
يا عجباً للخلاف يـا عجبـاً بِفِي الذي لامَ في الهوى الحجَرُ
حَسْبِي وحَسْبُ الذي كَلِفْتُ به منّي ومنـه الحديـثُ والنّظرُ
أو قُبلَةٌ في خـلالِ ذاك ومـا بأسٌ إذا لم تُحَـلَّ لِـي الأُزُرُ
أو عَضَّـةٌ في ذراعِهـا ولهـا فـوق ذراعي مـن عَضِّها أثَرُ
أو لَمسةٌ دون مِرْطِها بيدي والبابُ قـد حال دونه السُّتُرُ
والساقُ برَّاقَـةٌ مُخَلخَلُهـا أو مَصٌّ رِيقٍ وقد علا البُهُرُ[1]
واسترختِ الكفُّ للعِراك وقا لتْ إيهِ عنّي والدَّمعُ مُنحَدِرُ
انهَضْ فما أنتَ كالذي زعموا أنـتَ وربّـي مُغـازِلٌ أَشِرُ
قد غابَتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي واللهُ لي منـكَ فيـكَ يَنتَصِرُ
يا ربِّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَعِي من فاسقٍ جاء مـا بـه سَكَرُ
أهوى إلى مِعْضَدِي فرضَّضَهُ ذو قـوّةٍ مـا يُطاقُ مُقتدِرُ[2]
ألصقَ بي لِحْيَةً لـه خَشُنَتْ ذاتَ سوادٍ كأنّهـا الإبَـرُ
حتّـى عَلاني وأُسرتـي غَيَبٌ وَيْلي عليهم لو أنّهم حَضَرُوا[3]
أُقسِم باللهِ لا نجوتَ بهـا فاذهبْ فأنـت المُساوِرُ الظّفِرُ
كيف بأُمّـي إذا رأتْ شَفَتي أم كيف إن شاعَ منك ذا الخبرُ
قد كنتُ أخشى الذي ابتُلِيتُ به منكَ فمـاذا أقولُ يـا عبرُ[4]
قلتُ لهـا عند ذاك يا سَكَني لا بأسَ إنّـي مُجَـرَّبٌ خَبِرُ

---

1 البهر : (بسكون الهاء) تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء وقد حرّك للضرورة .
2 المعضد : الدملج يلبس في العضد .
3 غيب : غائبون .
4 عبر : شديد قوي .

قُولِي لها بَقّةٌ لها ظُفُرٌ إن كان في البقِّ ما له ظُفُرُ

ثم قال له : بمثل هذا الشعر تَميل القلوب ويَلِين الصَّعْبُ .

قال دَماذ قال لي أبو عبيدة : قال رجلٌ يوماً لبشّار في المسجد الجامع يُعابِثه : يا أبا معاذ ، أيُعجبك الغلام الجادل[1] ؟ فقال غير مُحتشِمٍ ولا مُكترث : لا ، ولكن تُعجبني أُمّه .

[ورد على خالد البرمكيّ بفارس وامتدحه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجّاج قال : ورد بشّار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه ؛ فوعده ومَطَله ؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد ، فأخذ بلجام بغلته وأنشده[2] : [من الطويل]

أَظَلّتْ علينا منكَ يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رِشاشُها

فلا غيمُها يُجْلي فييأسَ طامعٌ ولا غيثُها يأتِي فيَرْوى عِطاشُها

فحَبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لن تنصرف السحابة حتى تَبُلَّك إن شاء الله .

[تظاهر بالحجّ وخرج مع سعد بن القعقاع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثني عليّ بن حرب الطائيّ قال حدّثني إسماعيل بن زياد الطائيّ قال : كان رجلٌ منّا يقال له سعد بن القعقاع يتندّم[3] بشّاراً في المَجانة ، فقال لبشّار وهو يُنادمه : ويحك يا أبا معاذ ! قد نسبَنا الناس إلى الزَّندقة ، فهل لك أن تَحُجّ بنا حجّةً تنفي ذلك عنّا ؟ قال : نِعْمَ ما رأيتَ ؛ فاشترَيا بعيراً ومَحمِلاً وركِبا ، فلمّا مَرّا بزُرارة قال له : ويحك يا أبا معاذ ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ؟ مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعّم فيها ، فإذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة وجَزَزْنا رؤوسنا فلم يَشُكَّ الناس أنّا جئنا من الحجّ ؛ فقال له بشّار : نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، وإنّي أخاف أن تَفضَحنا . قال : لا تخفْ . فمالا إلى زُرارة فما زالا يشربان الخمر ويَفسُقان ، فلمّا نَزَل الحاجُّ بالقادسيّة راجعين ، أخذا بعيراً ومَحمِلاً وجَزَّا رؤوسهما وأقبلا وتلقّاهما الناس يهنّئُونهما ؛ فقال سعيد بن القعقاع : [من الوافر]

ألم تَرَنِي وبَشّاراً حَجَجْنا وكان الحجُّ من خيرِ التّجارَهْ

خرجْنا طالبَيْ سَفَرٍ بعيدٍ فمال بنا الطريقُ إلى زُرارَهْ

---

1 الجادل : اليافع الذي قوي واشتدّ .

2 ديوان بشار : 145 .

3 لعلّها يتقدّم .

فآبَ الناسُ قد حَجّوا وبَرُّوا وأُبْنا مُوقَرِينَ من الخسارَهْ

[أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم الدِّينَوَريّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن مطر الشاميّ قال حدّثني محمد بن الحسَّان الضَّبِّي قال حدّثني محمود الورّاق قال حدّثني داود بن رزين قال : أتينا بشّاراً فأذن لنا والمائدة موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا إلى طعامه ، فلمّا أكل دَعا بطَست فكشف عن سَوْءَته فبال ؛ ثم حضرتِ الظهرُ والعصر فلم يصلِّ ، فدنونا منه فقلنا : أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها ؛ قال : وما هي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعُنا إليه ؛ فقال : إنّما أَذِنتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أُرِد أن تأكلوا لَما أذِنتُ لكم ؛ قال : ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نراك ؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار ، ثم قال : ومه ؛ قلنا : حضرتِ الظهرُ والعصر والمغرب فلم تُصَلِّ ؛ فقال : إنّ الذي يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُمْلةً .

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن بعض أصحاب بشّار قال : كنّا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بشّار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلّي ، فنعود والتراب بحاله .

[بشار والثقلاء]

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الحِرمازيّ قال : قعد إلى بشّار رجلٌ فاستثقله فضَرِط عليه ضرطةً ، فظنّ الرجل أنّها أَفلَتَتْ منه ، ثم ضَرِط أُخرى : فقال : أفلتت ، ثم ضَرِط ثالثة ، فقال : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ قال : مَهْ ، أرأيتَ أم سمِعتَ ؟ قال : بل سمعت صوتاً قبيحاً ، فقال : فلا تُصَدِّق حتى ترى .

قال : وأنشد أبو أيّوب لبشّارٍ في رجل استثقله[1] : [من الخفيف]

ربّما يثقُلُ الجليسُ وإن كا نَ خفيفـاً في كِفّـةِ المِيزانِ
كيفَ لا تحمِـل الأمانةَ أرضٌ حَمَلتْ فوقهـا أبـا سُفْيانِ

وقال فيه أيضاً[2] : [من السريع]

هل لك في مالي وعِرضي معاً وكلِّ مـا يملـكُ جيرانِيَهْ
واذهبْ إلى أبعدِ مـا يُنتَوى لا رَدّكَ اللهُ ولا مالِيَـهْ

---

1 ديوان بشّار : 231 .

2 ديوان بشّار : 248 .

[أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجِيلِيّ قال حدّثني محمد بن عِمران الضَّبِّيّ قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشّار الأعمى[1] : [من الخفيف]

أيُّها الساقيانِ صُبَّا شَرابِي واسقِياني من رِيقِ بيضاءَ رُودِ[2]
إن دائي الظّما وإن دوائي شَرْبةٌ من رُضابِ ثغرٍ بَرُودِ[3]
ولها مَضْحَكٌ كغُرِّ الأَقاحِي وحديثٌ كالوَشْي وشي البُرودِ
نزلتْ في السَّوادِ من حبّةِ القلـ ـبِ ونالتْ زيادةَ المُسْتَزيدِ
ثم قالت نلقاكَ بعد لَيالٍ والليالي يُبْلِينَ كلَّ جديدِ
عندَها الصبرُ عن لقائي وعندي زَفَراتٌ يأكلنَ قلبَ الحديدِ

قال : فطرب الوليد وقال : مَن لي بمزاجِ كاسي هذه من ريق سلمى فيَروى ظَمَئي وتَطفأ غُلَّتي ! ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتَنا ذاك فهذا .

[هجا جاره أبا زيد فهجاه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الطُّفاويّ قال حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، وكان جليساً لبشّار ، قال : كان لنا جارٌ يُكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشّار ، فبعث إليه يوماً يطلب منه ثياباً بنسيئةٍ فلم يصادفها عنده ، فقال يهجوه[4] : [من الهزج]

ألا إنّ أبا زيدٍ زَنى في ليلةِ القَدْرِ
ولم يَـرْعَ ، تعالى اللـ ـهُ ربِّي ، حُرْمَةَ الشَّهْرِ

وكتبها في رُقعة وبعث بها إليه ، ولم يكن أبو زيد ممّن يقول الشعر ، فقلبها وكتب في ظهرها : [من الهزج]

ألا إنّ أبا زيدٍ لـه في ذلكم عُذْرُ
أتته أُمُّ بشّارٍ وقد ضاقَ بها الأمرُ
فواثَبها فجامعَها وما ساعدَه الصّبرُ

---

1 ديوان بشّار : 79–80 .
2 رود : الشابة الحسنة .
3 الشطر الثاني في الديوان : «إن دائي الصدى وإن شفائي» .
4 ديوان بشّار : 121 .

قال : فلمّا قُرِئَتْ على بشّار غضِب وندِم على تعرّضه لرجل لا نباهة له ، فجعل ينطَحُ الحائط برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تَعَرَّضتُ لهجاءِ سَفِلةٍ مثلِ هذا أبداً .

[شعره في قينة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني بعضُ ولد أبي عبيد الله وزير المهديّ ، قال : دخل بشار على المهديّ وقد عُرِضَتْ عليه جارية مغنّية فسمع غِناءها فأطربه وقال لبشّار : قُلْ في صفتها شعراً ؛ فقال[1] : [من الطويل]

ورائحةٍ للعين فيها مَخيلَةٌ ... إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدِ[2]

من المستَهلاّتِ السّرور على الفتى ... خفا بَرقُها في عبقرٍ وعُقُودِ[3]

كأنّ لساناً ساحراً في كلامها ... أُعِينَ بصوتٍ للقلوب صَيُودِ

تُميتُ به ألبابَنا وقُلوبَنا ... مراراً وتُحييهنَّ بعد هُمُودِ

[شعره في عقبة بن سلم]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال أبو عدنان حدّثني يحيى بن الجَوْن قال : دخل بشّار يوماً على عُقبة بن سَلْمٍ فأنشده قوله فيه[4] : [من الخفيف]

صوت

إنّما لَذَّةُ الجَوادِ ابنِ سَلْمٍ ... في عَطاءٍ ومَرْكَبٍ لِلّقاءِ

ليس يُعطيكَ للرجاء ولا الخو ... فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ

يَسقُطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَـ ... ـبُّ وتُغْشى مَنازِلُ الكُرَماءِ

لا أُبالي صَفْحَ اللئيم ولا تَجْـ ... ـري دُموعي على الخَرونِ الصَّفاءِ

فعلى عُقبةَ السلامُ مقيماً ... وإذا سار تحت ظلِّ اللواءِ

فوصَلَه بعشرة آلاف درهم . وفي هذه الأبيات خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر لرَذاذٍ ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها وممّا تشبّه فيه بالقدماء ومذاهبهم .

[كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان شعره]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيُّ قال حدّثنا أحمد بن خَلاَّدٍ عن الأصمعيّ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال

---

1 ديوان بشّار : 81–82 .

2 رائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحاً ويقابلها الغادية .

3 خفا برقها : لمع . عبقر : قرية باليمن توشى فيها الثياب والبسط . والمقصود هنا ثياب المغنية الموشاة .

4 ديوان بشّار : 14–15 .

حدّثني أحمد بن خلاَّد عن الأصمعيّ قال : كنتُ أشهد خَلَفَ بن أبي عمرو بن العلاء وخَلَفاً الأحمر يأتيان بشّاراً ويُسلِّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدَثْتَ ؟ فيُخبرهما ويُنشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له : ما هذه القصيدة التي أحدَثتها في سلم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما ؛ قالا : بلغنا أنّك أكثرتَ فيها من الغريب ؛ فقال : نعم ، بلغني أنّ سَلْماً يتباصر[1] بالغريب فأحببتُ أن أُوردَ عليه ما لا يعرفه ؛ قالا : فأنشدناها ، فأنشدهما : [من الخفيف]

بَكِّرا صاحِبَيَّ قبل الهَجيرِ إنّ ذاكَ النجاحَ في التَّبكِيرِ

حتى فرغ منها ؛ فقال له خَلَف : لو قلت يا أبا مُعاذ مكان «إن ذاك النجاح» :

بَكِّرا فالنجاحُ في التَّبكيرِ

كان أحسن ؛ فقال بشّار : بَنَيتُها أعرابيّة وحشِيَّةً ، فقلت : «إنّ ذاك النجاح» كما يقول الأعراب البدويُّون ، ولو قلت : «بَكِّرا فالنجاح» كان هذا من كلام المولَّدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ؛ فقام خَلَفٌ فقبَّلَ بين عينيه ؛ وقال له خلف بن أبي عمرٍو يمازحه : لو كان عُلاثَةُ[2] ولدك يا أبا معاذ لفعلتُ كما فعل أخي ، ولكنّك مولًى ، فمدّ بشارٌ يده فضرب بها فخذ خَلَفٍ وقال[3] : [من البسيط]

ارْفُقْ بعَمرٍو إذا حَرَّكْتَ نِسبتَه فإنّـه عربـيٌّ مـن قَواريرِ

فقال له : أفعلتَها يا أبا معاذ ؟ قال : وكان أبو عمرو يُغمَزُ في نسبه .

وأخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن أبي عبيدة ، فذكر نحوه وقال فيه : إنّ سَلْماً يُعجِبه الغريب .

[قيل له إنّ فلاناً سبّك عند الأمير فهجاه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال حدّثنا محمد بن سلاَّم قال قال لي خَلَفٌ : كنت أسمع ببشّار قبل أن أُراه ، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدتهم شيئاً من شعره ، فأنشدوني شيئاً من شعره لم يكن بالمحمود عندي ، فقلت : والله لآتينّه ولأُطَأْطِئَنَّ منه ، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه ، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثّة ، فقلت : لعن الله مَن يُبالي بهذا ، فوقفتُ

---

1 يتباصر بالغريب : يظهر أنّه بصير به .
2 يعني أنّه لو كان عربيّاً قحّاً .
3 ديوان بشّار : 123 .

أتأمَّله طويلاً ، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال : إنّ فلاناً سبّك[1] عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ؛ فقال : أوَ قد فعل ؟ قال : نعم ؛ فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلستُ ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يردُد عليهم ، فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّت أوداجُه ، فلم يلبث إلاّ ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه[2] : [من الكامل]

نُبِّئتُ نائِـلَ أُمِّــهِ يغتابُني ... عنـد الأميرِ وهـل عـليَّ أميرُ

نارِي مُحَرِّقَـةٌ وبَيتِي واسِعٌ ... للمعتَفـينَ ومَجلِسي مَعْمُورُ

ولِيَ المهابـةُ في الأحبَّةِ والعِدا ... وكأنّنـي أسَدٌ لـه تامُـورُ[3]

غَرِثَتْ حَليلتُـه وأخطأ صيدَه ... فلـه على لَقَـمِ الطريـق زَئِيرُ

قال : فارتَعَدَتْ والله فَرائِصي واقْشَعَرَّ جلدي وعَظُمَ في عيني جدّاً ، حتى قلت في نفسي : الحمد لله الذي أبعدني من شَرِّكَ .

[شعر له في مدح خالد بن برمك]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا العباس بن خالد قال[4] : مدح بشّار خالد بن برمكٍ فقال فيه : [من الطويل]

لعَمْرِي لَقَد أجْدى عليَّ ابنُ برمَكٍ ... وما كلُّ مَنْ كان الغِنَى عنده يُجْدِي

حَلَبتُ بشعْرِي راحَتَيْـه فَدَرَّتـا ... سَماحاً كما دَرَّ السَّحابُ مع الرّعدِ

إذا جئتَـه للحمــد أشرقَ وجهُه ... إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ

لــه نِعَمٌ في القـومِ لا يستثيبُها ... جـزاءً وكَيْلَ التاجـر المُـدَّ بالمُدِّ

مُفِيـدٌ ومِتلافٌ ، سَبيلُ تُراثِـه ... إذا ما غدا أو راحَ كالجزْرِ والمَدِّ[5]

أخالـدُ إنّ الحمـدَ يبقَى لأهلِـه ... جمالاً ولا تبقَى الكُنوزُ على الكَدِّ

فَـأَطْعِمْ وكُلْ مـن عارَةٍ مُستَرَدَّةٍ ... ولا تُبقِهـا ، إن العَـوارِيَ للرَّدِّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطِيهِ في كلِّ وِفادَةٍ خمسة آلاف درهم ، وأمر خالدٌ أن يُكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه . وقال ابنه يحيى بن خالد : آخرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين .

---

1 ل : سبعك .

2 ديوان بشّار : 111 .

3 التامور : عرين الأسد .

4 ديوان بشار : 88–89 .

5 تراثه لعلّها «ثرائه» ليستقيم المعنى .

[عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عثمان[1] قال : كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عُمّال الخراج ، وكان عفيفاً بخيلاً ، فسأل عُمَرَ بن العلاء ، وكان جواداً شجاعاً ، في رجل فوهب له مائة ألف درهم ؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عُمَر بن العلاء خائنٌ ؛ قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كُلِّمَ في رجل كان أقصى أَمَلِه ألفَ درهم فوهب له مائة ألف درهم ؛ فضحك المهديّ ثم قال : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعمَل على شاكِلَتِه﴾ ، أما سمعت قول بشّار في عمر[2] : [من المتقارب]

إذا دَهَمَتْكَ عِظامُ الأمورِ ... فَنَبِّهْ لها عُمَراً ثم نَمْ
فتىً لا ينامُ على دِمْنَةٍ ... ولا يَشْرَبُ الماءَ إلاّ بدَمْ[3]

أوَ ما سمعتَ قول أبي العتاهية فيه : [من الكامل]

صوت

إنّ المطايا تَشتَكِيكَ لأنّها ... قَطَعَتْ إليك سَباسِباً ورِمالا
فإذا ورَدْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً ... وإذا رجَعْنَ بنا رجَعْنَ ثِقالا

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرِو بن بانة ، أوَ ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية : [من البسيط]

يا ابنَ العَلاء ويا ابنَ القَرْمِ مِرْداسِ ... إنّي لأُطْرِيكَ في صَحْبِي وجُلاّسي
حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ ... أُلفِيتُ من عُظْمِ ما أُسديتَ كالناسي

ثم قال : مَن اجتمعتْ أَلْسُنُ الناس على مدحه كان حقيقاً أن يُصدِّقَها بفعله .

[شعره في جارية له سوداء]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو بكر الرَّبعِيّ قال : كانت لبشّار جارية سوداء وكان يَقَعُ عليها ، وفيها يقول[4] : [من السريع]

وغادَةٍ سَوداءَ بَرّاقَةٍ ... كالماء في طِيبٍ وفي لِينِ
كأنّها صِيغَتْ لمن نالَها ... من عَنبرٍ بالمِسكِ مَعجُونِ

---

1 ل : طهمان .

2 ديوان بشار : 218 وفيه «إذا أيقظتك حروب العدا» .

3 دمنة : حقد .

4 ديوان بشّار : 239 عن الأغاني .

[ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني أبو الشِّبل البُرْجُميّ قال : قال رجلٌ لبشّار : إنّ مدائحك عُقبة بن سَلْمٍ فوق مدائحكَ كلِّ أحدٍ ؛ فقال بشّار : إنّ عطاياه إيّايَ كانت فوق عطاءِ كلِّ أحدٍ ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدته : [من الخفيف]

حرَّم اللهُ أن تَرى كابنِ سَلْمٍ عُقبَـةِ الخيرِ مُطْعِـمِ الفقراءِ
ليس يُعطيكَ لِلرَّجاءِ ولا الخو فِ ولكن يَلَذُّ طَعْـمَ العَطاءِ
يَسقطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَـ ـبُّ وتُغشى مَنـازِلُ الكُرَماءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، وها أنا قد مدحت المهديّ وأبا عبيد الله وزيره ، أو قال يعقوب بن داود ، وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً ، أفَـأُلامُ على مدحي هذا !

[أبو الشمقمق ينتزع الجزية من بشّار]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ أيضاً : حدّثني عليّ قال حدّثني عبيد الله بن أبي الشِّيص عن دِعبِل بن عليّ قال : كان بشّار يُعطي أبا الشمقمق في كلّ سنة مائتي درهمٍ ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له : هَلُمَّ الجزية يا أبا مُعاذ ؛ فقال : ويحَك ! أجزيةٌ هي ؟ قال : هو ما تسمع ؛ فقال له بشّار يمازحه : أنتَ أفصحُ منّي ؟ قال : لا ؛ قال : فأعلمُ منّي بمثالب الناس ؟ قال : لا ؛ قال : فأشعَرُ منّي ؟ قـال : لا ؛ قـال : فلِمَ أُعطيك ؟ قال : لئلاّ أهجُوَكَ ؛ فقال له : إنْ هجوتَني هجوتُك ؛ فقال له أبو الشمقمق : هكذا هو ؟ قال : نعم ، فقل ما بدا لك ؛ فقال أبو الشمقمق : [من الرجز]

إنّي إذا ما شاعِرٌ هَجانِيَهْ ولَجَّ في القـولِ له لِسانِيَهْ
أدخلتُه في استِ آمِهِ عَلانِيَهْ بشّارُ يا بشّارُ . . . .

وأراد أن يقول : «يا ابن الزانِيَهْ» ؛ فوثب بشّارٌ فأمسك فاه ، وقال : أراد والله أن يشتمني ، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له : لا يسمَعَنَّ هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيُّ قال حدّثني محمد بن بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال : أمر عقبة بن سَلْم الهُنائيّ لبشّار بعشرة آلاف درهم ، فأُخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له : يا أبا مُعاذٍ ، إنّي مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشدون : [من مجزوء الرمل]

هَلِّلِيَنَـهْ هَلِّلِيَنَـهْ طَعْـنَ قِثّـاةٍ لِتينَـهْ
إنّ بشّارَ بـنَ بـردٍ تَيسٌ اعمَى في سَفِينَـهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق .

[شعره في هجاء العبّاس بن محمد بن علي]

أخبرني أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصَّعْتَرِيّ قال حدّثنا محمد بن عثمان البصريّ قال : استمنحَ بشّار بن برد العبّاس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس فلم يَمنحْه ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

ظِلُّ اليسارِ على العباسِ مَمدُودُ وقَلْبُهُ أبداً في البخلِ مَعقُودُ
إنّ الكريمَ لَيُخْفِي عنكَ عُسرَتَهُ حتى تَراه غَنِيّاً وهو مجهودُ
وللبخيلِ على أموالِهِ عِلَلٌ زُرقُ العيونِ عليها أُوجُهٌ سُودُ
إذا تكرَّهتَ أن تُعْطِي القليلَ ولم تَقدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهَرِ الجُودُ
أَوْرِقْ بخَيرٍ تُرَجَّى لِلنّوالِ فما تُرْجى الثمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النَّوالَ ولا تَمنَعْكَ قِلَّتُهُ فكلُّ ما سَدَّ فَقراً فهو محمودُ

[اجتمع بعباد بن عباد وسلّم عليه]

أخبرني أحمد قال حدّثنا العَنزيُّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلَّبيّ قال حدّثني أبي عن عبّاد بن عبّاد قال : مررتُ ببشّار فقلت : السلامُ عليك يا أبا معاذ ؛ فقال : وعليك السلام ، أعبّاد ؟ فقلت : نعم ؛ قال : إنّي لحسن الرأي فيك ؛ فقلت : ما أحوَجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ !

[جارى امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمر الجُرجانيّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ الشاعر أنّ بشّاراً قال : لم أزل منذ سمعتُ قول امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول : [من الطويل]

كأنّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابساً لدى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي

أُعمِلُ نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلتُ : [من الطويل]

كأنّ مُثارَ النّقعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ

قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمريّ فقال وأحسن : [من البسيط]

ليلٌ من النّقْعِ لا شمسٌ ولا قَمَرٌ إلاّ جَبِينُكَ والمذْرُوبَةُ الشُّرُعُ[2]

1 ديوان بشار : 74–75 .
2 المذروبة الشُرع : السيوف المحدّدة المشروعة .

[كان إسحاق الموصليّ يطعن في شعره ولمّا أنشد منه سكت]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : كان إسحاق الموصليّ يطعن على شعرِ بشّار ويضع منه ويذكر أنّ كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً ؛ فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول[1] : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمـورِ مُعاتباً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخـاكَ فإنّهُ مُقـارِفُ ذنـبٍ مَـرّةً ومُجانِبُهْ

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ

لأبي العنبس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ بالبنصر ، قال عليّ بن يحيى : وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حَشوَ فيه ؛ فقال لي إسحاق : أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنّى أنّ شُبَيلَ بن عزرة الضُّبَعيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس ، وكان عالماً بشعره لأنّهما جميعاً من بني ضبيعة ؛ فقلت له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنّه قال لبشّار : إنّ شُبيلاً أخبره أنّها للمتلمّس ؛ فقال : كذبَ والله شُبيلٌ ، هذا شعري ، ولقد مدحت به ابن هُبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً . وقد صدق بشّار ، قد مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة ، وقال فيها : [من الطويل]

روَيـدَ تَصاهَـلْ بالعـراق جيادُنا كأنّكَ بالضّحاكِ قـد قامَ نادِبُهْ

وسامٍ لمروانٍ ومِنْ دونـه الشَّجا وهَوْلٌ كَلُجِّ البحرِ جاشَتْ غوارِبُهْ

أحَلَّتْ بـه أُمُّ المنايـا بناتِها بأسيافنا ، إنّا رَدى مَـنْ نُحارِبُهْ

وكنّا إذا دَبَّ العـدوُّ لسِخْطِنا وراقَبَنـا في ظاهـرٍ لا نُراقِبُهْ

ركِبنا لـه جَهْـراً بكلِّ مُثَقَّفٍ وأبيضَ تَستسْقي الدِّمـاءَ مَضارِبُهْ

ثم قلت لإسحاق : أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدة : [من الطويل]

فلمّا تَوَلَّـى الحَـرُّ واعتَصَرَ الثّرى لَظى الصَّيفِ مِنْ نَجمٍ تَوَقَّدَ لاهِبُهْ

وطارَتْ عَصافيرُ الشَّقائقِ واكتسَى من الآلِ أمثـالَ المَجَـرَّةِ ناضِبُهْ[2]

غَدَتْ عانَةٌ تشكو بأبصارِها الصَّدى إلى الجأبِ إلاّ أنّها لا تُخاطِبُهْ

العانة : القَطِيع من الحمير ، والجأب : ذكرها . ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنّ

1 ديوان بشار : 42–48 .

2 الشقائق : جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .

العطش قد تبيّن في أحداقها فغارت ، قال : وهذا من أحسن ما وُصِف به الحمار والأُتُن ، أفهذا للمتلمّس أيضاً ؟ قال : لا ؛ فقلت : أفما هو في غاية الجَودة وشبيهٌ بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشّار لسرقة تلك الأبيات خاصّة ! وكيف خصّه بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويلٍ ؟ وقد روى الرُّواةُ شعره وعلم بشّار أنّ ذلك لا يخفى ، ولم يُعثَر على بشّار أنّه سرق شعراً قطّ جاهليّاً ولا إسلاميّاً . وأُخرى فإنّ شعر المتلمّس يُعرفُ[1] في بعض شعر بشّار ؛ فلم يردُدْ ذلك بشيء .

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة أنّ بشّاراً أنشده : [من الطويل]

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتبُهْ

وذكر الأبيات . قال : وأنشدتُها شُبيلَ بن عَزْرَةَ الضُّبَعِيّ ، فقال : هذا للمتلمّس ؛ فأخبرتُ بذلك بشّاراً ، قال : كذب والله شُبَيل ، لقد مدحتُ ابن هبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً .

[سأل طاهر عن ولد بشّار ليبرّهم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم[2] المَروَزِيّ ، وكان أبوه من قوّاد طاهر ، قال حدّثني أبي قال : لمّا خلعَ محمّدٌ المأمونَ وندَب له عليَّ بنَ عيسى ، ندب المأمون للقاء عليّ بن عيسى طاهرَ بن الحسين ذا اليمينين وجلس له لعَرضِه وعَرْض أصحابه ، فمرّ به ذو اليمينين مُعترضاً وهو يُنشد : [من الطويل]

رُوَيدَ تَصاهَلْ بالعراق جيادُنا كأنّكَ بالضحّاكِ قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه ؛ فقال ذو الرِّياسَتَين : يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ العِراق ؛ قال : أجل . فلمّا صار ذو اليمينين إلى العراق سأل : هل بقي من ولد بشّار أحد ؟ فقالوا : لا ؛ فتوهّمت أنّه قد كان همَّ لهم بخيرٍ .

[غضب على سلم الخاسر لأنّه سرق من معانيه]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح ، وكان أحدَ الأدباء ، قال : غَضِبَ بشّارٌ على سَلْمٍ الخاسرِ وكان من تلامذته ورُواته ، فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاؤوه في أمره ؛ فقال لهم : كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّةٌ إلاّ سَلْماً ؛ قالوا : ما جئناك إلاّ في سَلْمٍ ولا بدّ من أن تَرضى عنه لنا ؛ فقال : أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو هذا ؛ فقام إليه سَلْمٌ فقبّل رأسه ومثل بين

1 ل : يفرق .

2 ل : علي .

يديه وقال : يا أبا معاذ ، خِرِّيجُكَ وأَديبُكَ ؛ فقال : يا سَلْمُ ، مَن الذي يقول : [من البسيط]

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجته وفازَ بالطّيباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا مُعاذٍ ، جعلني الله فداءَكَ ! قال : فمَن الذي يقول : [من مخلّع البسيط]

مَنْ راقبَ الناسَ مات غَمّاً وفاز باللَّذّةِ الجَسُورُ

قال : خِرِّيجُكَ يقول ذلك (يعني نفسه) ؛ قال : أفتأخذُ معانيَّ التي قد عُنِيتُ بها وتَعِبتُ في استنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ مِنْ ألفاظي حتى يُروى ما تقول ويذهب شعري ! لا أرضى عنك أبداً ، قال : فما زال يتضرَّعُ إليه ، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضيَ عنه . وفي هذه القصيدة يقول بشّار[1] : [من البسيط]

لو كنتِ تَلْقِينَ ما نَلْقى قَسَمتِ لنا يوماً نَعِيشُ بـه منكم ونَبْتَهِجُ

صوت

[من البسيط]

لا خيرَ في العيش إن كنّا كذا أبدا لا نَلتقِي وسبيلُ الملتقى نَهَجُ[2]

قالوا حرامٌ تلاقِينا فقلت لهم ما في التّلاقِي ولا في قُبْلَةٍ حَرَجُ

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتهِ وفاز بالطّيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

أشكو إلى الله هَمّاً ما يُفارِقُنِي وشُرَّعاً في فُؤادِي الدّهرَ تعتَلِجُ

[أنشد الأصمعيّ شعره في هجو باهلة]

أخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلاّدٍ قال : أُنشدتُ الأصمعيّ قول بشّارٍ يهجو باهلة[3] : [من الرمل]

ودعـاني مَعشَرٌ كُلُّهُـمُ حُمُقٌ دام لهـمْ ذاكَ الحُمُقْ

ليس مـن جُرمٍ ولكن غاظَهُم شَرَفِي العارِضُ قـد سَدَّ الأُفُقْ

فاغتاظ الأصمعيّ فقال : وَيْلِي على هذا العبد القِنّ ابنِ القِنّ[4] !

[حديثه مع امرأة في الشيب]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني

---

1 ديوان بشّار : 59–60 .

2 نهج : بيّن واضح .

3 ديوانه : 168– 169 .

4 القن : العبد مُلك هو وأبوه .

عبّاس بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ : أنّ امرأةً قالتْ لبشّار : أيّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحية والرأس ! قال بشّار : أما علِمتِ أنّ بِيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان ؛ فقالت له : أمّا قولك فحَسَنٌ في السّمع ، ومن لك بأن يَحسُن شَيبُك في العين كما حسُنَ قولك في السّمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة .

[أحبّ الأشياء إليه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازنيّ : سئل بشّار : أيُّ متاع الدنيا آثرُ عندكَ ؟ فقال : طعامٌ مُزّ ، وشرابٌ مُرّ ، وبنتُ عشرين بِكْر .

[دخل إليه نسوة وطلب من إحداهنّ أن تواصله]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن صالح بن عطيّة قال : كان النساء المتظرِّفات يدخُلْنَ إلى بشّار في كلّ جمعة يومين ، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره ، فسمِع كلام امرأة منهنّ فعلِقَها قلبُه وراسلها يسألها أن تواصله ؛ فقالت لرسوله : قل له وأيُّ معنى فيك لي أوْ لك فيّ ! وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره ، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك ؛ فليت شِعري لأيّ شيء تطلُب وِصال مثلي ؟ وجعلَتْ تهزأ به في المخاطبة ؛ فأدّى الرسول الرسالة ، فقال له : عُد إليها فقل لها : [من الكامل]

أيرِي لـــه فضلٌ على آيارهم وإذا أشظّ سَجدْنَ غير أُوابي[1]
تلقاه بعـد ثـلاثَ عشْرةَ قائماً فعلَ المؤذِّن شكَّ يومَ سَحابِ
وكأنّ هامَـــةَ رأسه بِطّيخـةٌ حُمِلتْ إلى مَلِكٍ بدجلةَ جابي[2]

[اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال : قال مروان لبشّار لمّا أنشده هذا البيت : [من الرمل]

وإذا قلتُ لهـا جُـــودِي لنا خرجَتْ بالصَّمْت مِن لا ونَعَمْ

جعلني الله فِداءك يا أبا معاذ ! هلاّ قلتَ : «خَرِستْ بالصَّمْت» ؛ قال : إذاً أنا في عقلك فضّ الله فاك ! أأتطيّر على مَن أُحِبّ بالخَرس ؟ .

1 أشظ : أنعظ . أوابي : ممتنعات آبيات .

2 جابي : جامع الخراج .

[مدح خالد البرمكيّ فأجازه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : وفَد بشّار إلى خالد بن برمك وهو على فارِس فأنشده[1] : [من الطويل]

أخالــدُ لم أَخْبِطْ إليك بذمّةٍ سوى أنّني عافٍ وأنتَ جَوادُ

أخالدُ بينَ الأجر والحمدِ حاجتي فأيّهما تأتــي فأنــتَ عِمادُ

فإن تُعطني أُفرِغْ عليك مدائحي وإن تأبَ لم يُضْرَبْ عليّ سدادُ

رِكابي على حَرْفٍ وقلبي مُشَيَّع وما لي بأرض الباخلـينَ بِلادُ[2]

إذا أنكرتنِي بَلدةٌ أو نَكِرْتُها خرجتُ مع البازِي عليّ سَوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضَع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِماله وآخرَ بين يديه وآخر خلفَه ، وقال : يا أبا معاذ ، هل استقلّ العماد ؟ فلَمس الأكياس ثم قال : استقلّ والله أيّها الأمير .

[مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال محمد بن الحجّاج حدثني بشّار قال : دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدته : [من الرجز]

إنّ السّلامَ أيّهــا الأميرُ عليـكَ والرّحمةُ والسّرورُ

فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخذ من دراهمنا شيئاً ؛ فطمعتُ فيه فما برحتُ حتّى انصرفتُ بجائزته .

[طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة وهجاه فانقطع عنه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : وقَف رجلٌ من بني زيد شريفٌ ، لا أُحِبّ أن أُسمّيَه ، على بشّار ، فقال له : يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينا ، تَدعوهم إلى الانتفاء منّا وتُرغّبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الوَلاء ، وأنت غيرُ زاكي الفَرع ولا معروف الأصل ؛ فقال له بشّار : والله لأَصْلِي أكرمُ من الذهب ، ولَفَرْعي أزكى من عمل الأبرار ، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه ، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاماً[3] لفعلتُ ، ولكنّ موعدك غدا بالمِربَد ؛ فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّاراً يحضُر معه المِربد ليفاخره ، فخرج من الغد يريد المِربد فإذا رجل يُنشِد : [من الطويل]

---

1 ديوان بشار : 70–71 .

2 الحرف : الناقة القوية . ومشيع : شجاع .

3 كلاماً في ل : شعراً .

شهِدتُ على الزَّيديّ أنّ نِساءَه ضِباعٌ إلى أيـر العُقيليّ تَزفِرُ[1]

فسأل عمّن قال هذا البيت ؛ فقيل له : هذا لبشّار فيك ؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربد حتّى مات .

قال ابن سَلاّم : وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي[2] : [من الطويل]

بَلَوتُ بنـي زيدٍ فمـا في كِبارهم حُلـومٌ ولا في الأصغَريـنَ مُطهَّرُ
فأبلغْ بنـي زيـدٍ وقـلْ لَسراتهم وإن لم يكـن فيهم سَراةٌ تُوقَّرُ
لأمِّكم الوَيـلاتُ إنّ قصائدي صَواعـقُ منهـا مُنجـدٌ ومغوِّرُ
أجَدَّهـــمُ لا يتّقـــونَ دَنيّـةً ولا يُؤثِـرون الخيرَ والخيرُ يؤثرُ
يَلُفُّون أولاد الزّنـا في عِدادِهم فعِدّتُهم من عِـدّةِ الناسِ أكثرُ[3]
إذا مـا رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبهم أطافوا بـه ، والغَيُّ للغيِّ أصوَرُ[4]
ولـو فارقـوا من فيهمُ من دَعارةٍ لمـا عرفتْهم أمُّهـم حـين تَنظُرُ
لقـد فخَـروا بالمُلْحَقِينَ عشيَّةً فقلتُ افخروا إن كان في اللؤمِ مفخَرُ
يريـدون مَسْعاتِـي ودون لقائِها قناديلُ أبـوابِ السَّمواتِ تَزْهَرُ[5]
فقل في بني زيـدٍ كما قال مُعْرِبٌ قَواريـرُ حَجَّـامٍ غـداً تَتَكَسَّرُ

فقال يونس للذي أنشده : حَسْبُك حسبك ؛ مَنْ هَيَّجَ هذا الشيطانَ عليهم ؟ قيل : فلانٌ ؛ فقال : رُبَّ سَفِيهِ قومٍ قد كسَبَ لقومه شرّاً عظيماً .

[ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلم واستحقّ جائزته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني عبد الله بن بُشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ[6] قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجّاج قال : قال بشّار : دعاني عقبة بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرَد وأعشى باهلة ، فلمّا اجتمعنا عنده قال لنا : إنّه خطر ببالي البارحة مَثَلٌ يتمثّله الناس : «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنَيْنِ فجاءَ بِلا أذنيْنِ» فأَخرِجوه من الشعر ، ومن أخرجَه فله خمسة آلاف درهم ، وإن لم تفعلوا جَلَدْتُكم كُلَّكم خمسمائة ؛ فقال حمّاد :

---

1 ضباع : جمع ضبعة وهي الناقة تشتهي الفحل .
2 ديوان بشار : 115- 116 .
3 يلفون : يجمعون .
4 أصور : أميل .
5 مسعاتي : مكرمتي . تزهر : تتلألأ .
6 ل : المضري .

أجِّلْنا أعزّ الله الأمير شهراً ؛ وقال الأعشى : أجِّلْنا أسبوعين ؛ قال : وبشّار ساكتٌ لا يتكلّم ؛ فقال له عقبة : مالكَ يا أعمى لا تتكلّم ! أعمى الله قلبك ؛ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، قد حضرني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه ؛ فقال قل ؛ فقال[1] : [من السريع]

شَطَّ بِسَلْمى عاجلُ البينِ ... وجاورتْ أُسْدَ بَنِي القَيْنِ

ورَنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً ... كادتْ لها تنشَقُّ نصفَيْنِ

يا ابنةَ مَن لا أشتَهِي ذكرَه ... أخشى عليهِ عُلَقَ الشَّيْنِ

واللهِ لو ألقاكِ لا أتّقي ... عيناً لقبَّلتُكِ ألفيْنِ

طالبتُها دَيني فراغَتْ به ... وعَلَّقتْ قلبي مع الدَّيْنِ

فصِرتُ كالعَيْرِ غدا طالباً ... قَرْناً فلم يَرجِعْ بأُذْنَيْنِ

قال : فانصرف بشّارٌ بالجائزة .

[قصّته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثني عثمان بن عمرٍو الثقفيّ قال قال أبانُ بن عبد الحميد اللاحقيّ : نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيس عَيلان وكان فيهم بيانٌ وفصاحة ، فكان بشّار يأتيهم ويُنشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيُجلُّونه لذلك ويُعظِّمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدّثن إليه وينشدهنّ أشعاره في الغزل وكنّ يُعجَبن به ، وكنتُ كثيراً ما آتي ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم ، فأتيتُهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا ، فجئتُ إلى بشّار فقلت له : يا أبا معاذ ، أعَلِمتَ أنّ القوم قد ارتحلوا ؟ قال : لا ؛ فقلت : فاعلم ؛ قال : قد علمتُ لا علمتَ ؛ ومضيتُ ، فلمّا كان بعد ذلك بأيّام سمعتُ الناس يُنشدون[2] : [من الوافر]

دعا بفِراق مَنْ تَهْوى أبانُ ... ففاضَ الدّمعُ واحترقَ الجَنانُ

كأنّ شَرارةً وقعَتْ بقلبي ... لها في مُقْلتِي ودَمِي استِنانُ[3]

إذا أنشدتُ أو نَسَمَتْ عليها ... رياحُ الصّيفِ هاجَ لها دُخانُ

فعلِمتُ أنّها لبشّار ، فأتيتُه فقلت : يا أبا معاذ ، ما ذنبي إليك ؟ قال : ذنبُ غرابِ البين ؛ فقلت : هل ذكرتَني بغير هذا ؟ قال : لا ؛ فقلت : أَنشُدُكَ الله ألاّ تزيد ؛ فقال : امضِ لشأنك فقد تركتُكَ .

---

1 ديوان بشّار : 238–239 .

2 ديوان بشّار : 222 عن الأغاني .

3 استنان : سرعة السير .

[بشّار وجعفر بن سليمان]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني يحيى بن سعيد الأيوزَرذِي المعتزليّ قال حدّثني أحمد بن المعذّل عن أبيه قال : أنشد بشّار جعفر بن سليمان[1] : [من الطويل]

أقِلّـــي فإنّا لاحِقــونَ وإنّمــا ... يُؤَخِّرنا أنَّا يُعَـــدُّ لنـــا عَـدّا

وما كنتُ إلاّ كالأغــرّ ابن جعفرٍ ... رأى المالَ لا يبقى فأبقى بـه حمدا

فقال له جعفر بن سليمان : مَنِ ابنُ جعفرٍ ؟ قال : الطيّارُ في الجنّة ؛ فقال : لقد سامَيْتَ غير مُسامًى ؛ فقال : والله ما يُقعِدُني عن شأوه بعدُ النسب ، لكن قِلّةُ النشب ، وإنّي لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ ، وما على مَن جاد بما يملك ألاّ يهبَ البدورَ ؛ فقال له جعفر : لقد هَزَزْتَ أبا مُعاذ ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه .

[جوابه عندما سئل عن ميله للهجاء دون المديح]

ونسخت من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العَلَويّ قال : قيل لبشّار : إنّك لكثيرُ الهِجاء ؛ فقال : إنّي وجدتُ الهِجاءَ المؤلم آخذَ بِضَبُع[2] الشاعر من المديح الرائع ، ومَن أراد من الشعراء أن يُكرَمَ في دَهرِ اللئامِ على المديح فليستعدَّ للفقرِ وإلاّ فليُبالِغ في الهجاء ليُخافَ فيُعطى .

[بشّار في صباه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان بُردٌ أبو بشّار طَيّاناً حاذِقاً بالتّطيين ، ووُلِد له بشّار وهو أعمى ، فكان يقول : ما رأيتُ مولوداً أعظم بركةً منه ، ولقد وُلِد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعتُ مائتي درهم . ولم يمت بردٌ حتى قال بشّار الشعر . وكان لبشّار أخوانِ يقال لأحدهما : بشر ، وللآخر : بشير ، وكانا قصّابَين وكان بشّار بارّاً بهما ، على أنّه كان ضيّق الصدر متبرِّماً بالناس ، فكان يقول : اللهمّ إنّي قد تبرَّمت بنفسي وبالناس جميعاً ، اللهمّ فأرِحني منهم . وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسِّخونها ويُنتِنون ريحَها ، فاتّخذ قميصاً له جَيبان وحلف ألاّ يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير إذنه ؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول إذا وجد رائحةً كريهةً من ثوبه : «أينما أتوجَّه أَلْقَ سَعْدا» . فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على نَتْنِها ووسَخِها ، فيقال له : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صِلة الرّحم . قال : وكان يقول الشعر وهو صغير ، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكَوه فيضربه ضرباً

1 ديوان بشّار : 76–77 .

2 الضبع : العضد أو ما بين الإبط إلى منتصف العضد .

شديداً ، فكانت أمّه تقول : كم تضرب هذا الصبيّ الضرير ، أما ترحمه ؟ فيقول : بلى والله إنّي لأرحمه ولكنّه يتعرّض للناس فيشكونه إليّ ؛ فسمعه بشّار فطمع فيه فقال له : يا أبتِ إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليك هو قول الشعر ، وإنّي إن ألممتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلي ، فإن شَكَوني إليك فقل لهم : أليس الله يقول : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمى حَرَجٌ﴾ . فلمّا عاودوه شكواه قال لهم بُردٌ ما قاله بشّار ؛ فانصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ بُردٍ أغيظُ لنا من شعرِ بشّار .

[أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني محمد بن عثمان الكُرَيْزِيّ قال حدّثني بعض الشعراء قال : أتيتُ بشّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار ، فقال لي : خذ منها ما شئت ، أوَ تدري ما سببها ؟ قلت : لا ؛ قال : جاءني فتًى فقال لي : أنت بشّار ؟ فقلت : نعم ؛ فقال : إنّي آليتُ أن أدفع إليك مائتيْ دينارٍ وذلك أنّي عَشِقتُ امرأة فجئتُ إليها فكلّمتها فلم تلتفِت إليّ ، فهمَمتُ أن أتركها فذكرت قولك[1] : [من الكامل]

لا يُؤْيِسَنّكَ من مُخَبَّأةٍ ... قولٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحا

عُسْرُ النِّساءِ إلى مُياسَرَةٍ ... والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

قعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتي .

[عاب الأخفش شعره ثم صار يستشهد به]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأخفش طعن على بشّار في قوله[2] : [من الكامل]

فالآنَ أَقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطلي ... وأشارَ بالوَجَلى عليّ مُشِيرُ

وفي قوله[3] : [من الطويل]

على الغَزَلى منّي السَّلامُ فربَّما ... لَهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرْؤُومَةٍ زُهْرِ[4]

وفي قوله في صفة سفينةٍ[5] : [من الوافر]

تُلاعِبُ نِينانَ البُحورِ وربَّما ... رأيتَ نفوسَ القوم من جَرْيها تَجْري

وقال : لم يُسمَع من الوجَل والغزل فَعَلى ، ولم أَسمع بنونٍ ونينان ؛ فبلغ ذلك بشّاراً

---

1 ديوان بشّار : 63 .

2 ديوان بشّار : 111 .

3 ديوان بشّار : 133 .

4 مرؤومة : محبوبة .

5 ديوان بشّار : 134 وفيه «تلاعب تيار البحور . . .» .

فقال : ويلي على القَصَّارين ؟ متى كانت الفصاحة في بيوت القصّارين ؟ دعوني وإيّاه ؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجَزِع ؛ فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : وما لي لا أبكي وقد وقعت في لسان بشّار الأعمى ! فذهب أصحابه إلى بشّار فكذّبوا عنه واستوهَبوا منه عِرضه وسألوه ألاَّ يهجوه ؛ فقال : قد وهبتُه لِلؤم عِرضِه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كتبه لِيَبلُغَه ؛ فكَفَّ عن ذكره بعد هذا .

قال : وقال غير أبي حاتم : إنّما بلغه أنّ سيبويه عابَ هذه الأحرف عليه لا الأخفش ، فقال يهجوه[1] : [من الطويل]

أَسِيْوَيْهِ يـا ابنَ الفارسيَّةِ ما الذي تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنبِذُ
أَظَلْتَ تُغَنّي سادِراً في مَساءَتِـي وأُمُّكَ بالمِصْرَين تُعْطِـي وتَـأْخُذُ

قال : فتوقّاه سيبويه بعد ذلك ، وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجَدَ له شاهداً من شعرِ بشّار احتجّ به استِكفافاً لشرِّه .

[ذمّ بني سدوس باستعانة بني عقيل]

أخبرني محمّد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سويد بن مَنجوفٍ قال : كان بشّار مُجاوِراً لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحيَّين ، فكانوا لا يزالـون يتفاخرون ، فاستعانـت عُقيل ببشّار وقالوا لـه : يا أبا معاذٍ ، نحن أهلُك وأنت ابنُنا ورَبِيتَ في حُجُورنا فأَعِنّا ؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون ، فجلس ثم أنشد[2] : [من الوافر]

كأنَّ بنـي سَدُوسٍ رَهطَ ثَوْرٍ خَنافِسُ تحـتَ مُنكَسِرِ الجِدارِ
تُحـرِّكُ للفَخـارِ زُبانَيَيْهـا وفخـرُ الخُنْفَساء مـن الصَّغارِ

فوثب بنو سدوسٍ إليه فقالوا : ما لنا ولكَ يا هذا ؟ نعوذ بالله من شَرِّكَ ! فقال : هذا دأبكُم إن عاودتم مُفاخرة بني عُقيلٍ ؛ فلم يُعاوِدُوها .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرُوَيْهْ قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : قال يونس النحويّ : العجب من الأَزد يَدَعون هذا العبد يَنسِبُ بنسائهم ويَهجو رجالَهم ، يَعني بشّاراً ، ويقول[3] : [من الهزج]

أَلا يـا صَنَمَ الأَزْدِ الـ ـذي يَدْعُونَـه رَبّـا

1 ديوان بشّار : 98 .
2 ديوان بشّار : 122 .
3 ديوان بشّار : 24 .

ألا يبعثون إليه من يفتُقُ[1] بطنَه ؟ .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مهرويَه عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : مرّ ابن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامه : من هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أنّ أصحابه سَفِلَةٌ ؛ قال : وكيف علِمْتَ ؟ قال : ليس عليهم نِعالٌ .

[سمع شعره من مغنّية فطرب]

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثني الفضل بن يعقوب قال : كنّا عند جارية لبعض التجّار بالكَرْخِ تُغنّينا ، وبشّار عندنا ، فغنّت في قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

إنّ الخليفـةَ قـد أبـى وإذا أبـى شيئاً أبَيتُهْ
ومُخَضّبٍ رَخْصِ البَنـا نِ بكى عَليَّ ومـا بكَيتُهْ
يـا مَنْظـراً حَسَناً رأيـ ـتُ بوجهِ جاريةٍ فَدَيتُهْ[3]
بعثَـتْ إليّ تَسُومُنِـي ثَوبَ الشَّبابِ وقد طَوَيتُهْ

فطرِب بشّار وقال : هذا والله يا أبا عبد الله أحسن من سُورَةِ الحَشر ؛ وقد روى هذه الكلمة عن بشّار غير مَن ذكرته فقال عنه : إنّه قال : هي والله أحسن من سورة الحشر . الغناء في هذه الأبيات . وتمام الشعر : [من مجزوء الكامل]

وأنـا المطِلُّ على العِـدا وإذا غَلا الحمدُ اشتريتُهْ[4]
وأمِيـلُ في أُنسِ النّديـ ـم من الحياءِ وما اشتَهيتُهْ
ويَشُوقُني بيتُ الحبيـ ـبِ إذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ[5]
حـالَ الخليفـةُ دونـه فصبَرتُ عنه وما قَليتُهْ[6]

وأنشدني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أنّ الجاحظ أخبره أنّ المهديّ نهى بشّاراً عن الغزَل وأن يقول شيئاً من النسيب ، فقال هذه الأبيات . قال : وكان الخليل بن أحمد يُنشدها ويستحسنها ويُعجَب بها .

1 ل : يشقّ .
2 ديوان بشّار : 55–56 مع اختلاف في الترتيب .
3 رأيتُ في الديوان : رأيته . بوجه في ل والديوان : من وجه .
4 الحمد في الديوان : علق .
5 غدوت في الديوان : ادّكرت .
6 حال في الديوان : قام .

[سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ أبو غسّان عن محمد بن الحجّاج قال : قالت بنت بشّار لبشّار : يا أبتِ ، ما لكَ يعرِفك الناس ولا تعرفهم ؟ قال : كذلك الأمير يا بنيّة .

[سبّ عبد الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشّار]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : قال عبد الله بن مِسْوَر الباهليّ يوماً لأبي النَّضير ، وقد تحاورا في شيء ، : يا ابن اللّخناء ، أتُكلِّمني ولو اشتريت عبداً بمائتي درهم وأعتقته لكان خيراً منك ؟ فقال له أبو النضير : والله لو كنتُ ولد زنًا لكنت خيراً من باهلة كلِّها ؛ فغضِب الباهليّ ، فقال له بشّار : أنت منذ ساعة تُزَنّي أمَّه ولا يغضب ، فلمّا كلّمَك كلمةً واحدة لحقك هذا كلّه ؛ فقال له : وأُمُّه مثل أُمِّي يا أبا مُعاذٍ ! فضحك ، ثم قال : والله لو كانت أُمُّك أُمَّ الكتاب ما كان بينكما من المُصارَمة هذا كلّه ! .

[طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوّفه فهجاه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بن عُبيدٍ الخُزاعيّ قال : ورد بشّار بغداد فقصد يزيد بن مَزيد ، وسأله أن يذكره للمهديّ ، فسوّفه أشهراً ؛ ثم وردَ رَوْحُ بن حاتم فبلغه خبر بشّار ، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه ، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشده شعراً مدحه به ، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنَةً وكساه كُساً كثيرة ؛ وكان يحضر قيساً مرّة ، فقال بشّار يهجو يزيد بن مزيد[1] : [من الطويل]

ولمّـا التقينا بالجُنَينَةِ غَـرَّني بمعروفه حتى خرجتُ أُفُوقُ[2]

غرَّني : أوجَرني[3] كما يُغَرّ الصبيُّ أي يُوجَر اللبن .

حَباني بعبـدٍ قَعْسَرِيٍّ وقَيْنَةٍ ووَشْيٍ وآلافٍ لهـنَّ بَـرِيقُ[4]
فَقُل ليزيدٍ يلعَصُ الشهدَ خالياً لنا دونه عنـدَ الخليفةِ سُوقُ[5]
رَقَدتَ فنَمْ يا ابنَ الخبيثةِ إنّها مكـارِمُ لا يَسْطِيعُهُنّ لَصِيقُ
أَبى لكَ عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرى جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حَلِيقُ

1 ديوان بشّار : 165–166 .
2 أفوق : أشهق من الامتلاء .
3 أوجره اللبن : جعله في فيه .
4 قعسري : صلب شديد .
5 يلعص : يلعق .

[مدح إبراهيم بن عبد الله بقصيدة فلمّا قتل جعلها للمنصور]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال : كان بشّار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضه ويُشير عليه ، فلم تَصل إليه حتى قُتِل ، وخاف بشّارٌ أن تشتهِر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مُسلم والمدح والمشورة لأبي جعفرٍ المنصور ، فقال : [من الطويل]

أبا مُسلمٍ ما طِيبُ عَيشٍ بدائِمِ ... ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالِمِ

وإنّما كان قال : «أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ» فغيّره وقال فيها[1] : [من الطويل]

إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستَعِنْ ... بعَزْمِ نَصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ
ولا تَجعَلِ الشُّورى عليك غضاضةً ... مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ
وخَلِّ الهُوَينَى للضعيفِ ولا تكن ... نَؤُوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلاّ ظُلامةً ... شَبا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالِمِ
وأَدْنِ على القُرْبَى المقرِّبَ نَفسَه ... ولا تُشْهِد الشّورى امرأً غيرَ كاتمِ
فإنّكَ لا تَسْتَطْرِدُ الهمَّ بالمُنَى ... ولا تَبْلُغُ العلْيا بغير المكارمِ
إذا كنتَ فرداً هَرَّكَ القومُ مُقبلاً ... وإن كنت أدنى لم تَفُزْ بالعَزائمِ[2]
وما قَرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشَيَّعٍ ... أريبٍ ولا جَلَّى العَمى مثلُ عالمِ[3]

قال الأصمعيّ : فقلت لبشّار : إنّي رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المشورة ؛ فقال : أما علمتَ أنّ المشاوِر بين إحدى الحُسْنَيَيْنِ : بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأً يُشارك في مكروهه ؛ فقلت : أنت واللهِ أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر .

[اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال : مررتُ ببشّار وهو مُتَبَطِّح في دِهْليزه كأنّه جاموس ، فقلتُ له : يا أبا مُعاذ ، مَن القائل : [من السريع]

في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ ... لو هَبّتِ الريحُ بـه طاحا

---

1 ديوان بشّار : 205– 207 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

2 هرّ القوم : كرهوا .

3 المشيع : الشجاع .

قال : أنا ؛ قلتُ : فما حَمَلك على هذا الكذب ؟ والله إنّي لأرى أن لو بعث اللهُ الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخاليةَ ما حرّكتْك من موضعك ؛ فقال بشّار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ؛ فقال : يا أهل الكوفة لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتكم على كلّ حال ! .

[عاتب صديقاً له لأنّه لم يهدِ له شيئاً]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عافية بن شبيب قال : قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمعيّ من مكّة ، فلم يُهْدِ لبشّار شيئاً وكان صديقه ؛ فكتب إليه[1] : [من الكامل]

ما أنتَ يا كرديّ بالهَشّ ... ولا أُبَرّيك من الغِشّ

لم تُهْدِنا نَعلاً ولا خاتَماً ... من أين أقبلتَ ؟ من الحشّ ![2]

فأهدى إليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال : عَجِلتَ يا أبا معاذ علينا ، فأَنشُدُك اللهَ ألاّ تزيدَ شيئاً على ما مضى .

[أخبر أنّه غنّى بشعر له فطرب]

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضاً قال حدّثني صديقٌ لي قال : قلتُ لبشّار : كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي : [من الطويل]

هَوى صاحبي ريحُ الشّمالِ إذا جرتْ ... وأَشْفى لنفسي أن تَهُبَّ جَنُوبُ

وما ذاك إلاّ أنّها حين تنتهي ... تَناهى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ

فطَرب وقال : هذا والله أحسن من فُلْج[3] يوم القيامة .

[مدح المهدي فلم يجزه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال : مدح بشّار المهديَّ فلم يُعطه شيئاً ؛ فقيل له : لم يَستجِدْ شعرَك ؛ فقال : والله لقد قلت فيه شعراً لو قيل في الدهر لم يُخْشَ صرفُه على أحد ، ولكنّا نكذب في القول فنُكذَبُ في الأمل .

[هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنّه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْليّ قال : هجا بَشّار رَوْحَ بن حاتم ؛ فبلغه ذلك فقذفه وتهدّده ؛ فلمّا بلغ ذلك بشّاراً قال فيه[4] : [من الهزج]

---

1 ديوان بشّار : 145 .

2 الحش : موضع قضاء الحاجة ، وهو أصلاً البستان .

3 الفلج : الفوز والظفر .

4 ديوان بشّار : 201–202 عن الأغاني .

تَهَــدّدني أبو خلفٍ وعــن أوتــاره ناما
بسيفٍ لأبـي صُفْرَ ةَ لا يَقْطَــع إبهاما
كأنّ الوَرْسَ يَعْلُــوهُ إذا مــا صدرُه قاما

قال ابن أبي سعد : ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي ، قال : فبلغ ذلك رَوحاً فقال : كلّ مالي صدقةٌ إنْ وقعتْ عيني عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنّه بين يَدَي الخليفة ؛ فبلغ ذلك بشّاراً فقام من فوره حتى دخل على المهديّ ؛ فقال له : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ فأخبره بقصّة رَوح وعاذ به منه ، فقال : يا نُصَيْر ، وَجِّهْ إلى رَوْح من يُحضره الساعة ؛ فأرسل إليه في الهاجرة ، وكان ينزل المُخَرِّم[1] ، فظنّ هو وأهله أنّه دُعي لولاية . قال : يا روح ، إنّي بعثتُ إليك في حاجة ؛ فقال له : أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإنّي حلفت في أمره بيمين غَمُوس ؛ قال : قد علمتُ وإيّاه أردتُ ؛ قال له : فاحتلْ ليميني يا أمير المؤمنين ؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف ، وكان بشّار وراء الخيش ، فأُخرِج وأُقعِد واستلّ رَوح سيفَه فضربه ضربةً بعُرضه ؛ فقال : أَوَّهْ باسم الله ؛ فضحك المهديّ وقال له : ويلك ؛ هذا وإنّما ضَرَبَك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه !

[مدح سليمان بن هشام]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال : مَدَح بشّار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّان وخرج إليه فأنشده قوله فيه[2] : [من الطويل]

نأتْكَ على طُــول التجاوُرِ زينبُ وما شَعَرتْ أنّ النَّوى سوف تَشعَبُ
يرى الناسُ ما تَلْقى بزينبَ إذ نأتْ عجيباً ومـا تُخفي بزينبَ أعجبُ
وقائلــةٍ لي حــين جَــدّ رحيلُنا وأجفــانُ عينيهـا تجودُ وتسكُبُ
أغــادٍ إلى حَــرّانَ في غيرِ شيعةٍ وذلك شأوٌ عــن هَواهــا مُغرّبُ[3]
فقلتُ لهــا كَلّفتِني طَلَبَ الغِنى وليس وراءَ ابــنِ الخليفــةِ مذهبُ
سيكفي فَتىً مــن سعيه حَدُّ سيفِه وكُــورٌ عِـلافيٌّ ووجناء ذِعْلِبُ[4]

1 محلّة كانت ببغداد .
2 ديوان بشّار : 17–18 .
3 مغرّب : بعيد .
4 الكور : الرحل . العلافي : نسبة إلى رجل اسمه علاف بن طوار كان أوّل من صنعها . الوجناء : الناقة الصلبة القويّة . ذعلب : سريعة .

إذا استوغرتْ دارٌ عليه رمى بها ... بناتِ الصُّوى منها رَكوبٌ ومُصْعَبُ[1]
فعُدّي إلى يلمم ارتحلتُ وسائلي ... بزَوْرك والرَّحّال من جاء يضربُ
لعلكِ أن تسْتَيقِنِي أن زَوْرتي ... سليمانَ من سير الهواجر تُعقِبُ
أغَرُّ هِشاميُّ القَناةِ إذا انتمى ... نَمَتْه بدورٌ ليس فيهنّ كوكبُ
وما قصدتْ يوماً مخيلين خَيلُه ... فتُصْرَفُ إلاّ عن دِماءٍ تَصَبّبُ[2]

[استقلّ عطاء سليمان فقال شعراً]

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل ، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً فقال[3] : [من الكامل]

إن أُمْسِ مُنْقبِضَ اليدين عن النَّدى ... وعن العدوّ مُخَيَّسَ الشيطانِ[4]
فلقد أروحُ عن اللئام مُسَلَّطاً ... ثَلِجَ المَقِيلِ مُنَعَّمَ النَّدْمانِ
في ظِلِّ عيشٍ عشيرةٍ محمودةٍ ... تَنْدى يدي ويُخافُ فَرْطُ لساني
أزْمانَ جِنّيُّ الشباب مُطاوِعٌ ... وإذ الأميرُ عليّ من حَرّانِ
رِيمٌ بأَحْوِيةِ العراق إذا بَدا ... بَرَقتْ عليه أكِلَّةُ المَرْجانِ[5]
فاكحَلْ بعَبْدَة مُقْلَتَيْكَ من القَذى ... وبِوَشْكِ رُؤْيتها من الهَمَلانِ
فلَقُرْبُ مَنْ تهوى وأنتَ متيّمٌ ... أشْفى لدائكَ من بني مَرْوانِ

فلمّا رجع إلى العراق بَرّه ابن هُبَيرة ووصَلَه ، وكان يُعَظّم بشّاراً ويُقدّمه ، لمدحه قيساً وافتخاره بهم ، فلمّا جاءت دولةُ أهلِ خراسان عَظُم شأنُه .

[مدح المهديّ بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : قَدِمَ بشّار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ ، فنهاه عن التشبيب لغَيْرةٍ شديدةٍ كانت فيه ، فأنشده مديحاً فيه ، يقول فيه[6] : [من المنسرح]

---

1 استوغرت : حميت ، وهنا ضاقت . الصوى : علامات يهتدى بها .
2 يوماً في ل : قوماً .
3 ديوان بشّار : 233 .
4 مخيّس : مذلّل .
5 أحوية : جمع حواء وهو جماعة البيوت المتدانية . أكلة : جمع إكليل .
6 ديوان بشّار : 25–26 .

كأنّمـــا جئتُـــه أُبشِّرُهُ ولم أجِىء راغباً ومُحتَلِبا
يُزَيِّـــنُ المِنبرَ الأشمَّ بعِطْـ ـفَيـــهِ وأقوالـه إذا خَطَبا
تُشَمُّ نَعْلاه في النَّدِيّ كما يُشَمُّ مـاءُ الرّيحانِ مُنتهَبا

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادةً في كلّ سنةٍ ونهاه عن التشبيب ألبتَّة ، فقدِمَ عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده[1] : [من الطويل]

تَجالَلْتُ عن فِهْرٍ وعن جارَتَيْ فِهرِ ووَدَّعتُ نُعْمى بالسّلامِ وبالبِشْرِ[2]
وقالتْ سُليمى فيكَ عنّــا جَلادَةٌ مَحلُّكَ دانٍ والزيــارةُ عن عُفْرِ[3]
أخي في الهوى ما لي أراكَ جَفَوْتَنا وقد كنتَ تقفُونا على العُسْرِ واليُسرِ
تثاقلـتُ إلاّ عـــن يـدٍ أستفيدُها وزَوْرَةِ أمْـلاكٍ أَشُدُّ بهــا أَزْري
وأخرَجَني من وِزْرِ خمسينَ حِجَّةً فتىً هاشميٌّ يَقْشَعِرُ مـن الوِزْرِ
دفَنْتُ الهـوى حَيّـاً فلسْتُ بزائرٍ سُلَيمى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِي
ومُصْفَــرَّةٍ بالزعفــرانِ جلودُهــا إذا اجتُلِيَتْ مثلَ المُفرطَحَةِ الصُّفْرِ[4]
فرُبَّ ثَقالِ الرِّدفِ هَبَّتْ تلومُني ولو شَهِدَتْ قبري لصَلَّتْ على قبرِي
تَرَكتُ لِمَهْدِيّ الأنــام وِصالَها وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالخَتْرِ[5]
ولــولا أميرُ المؤمنـــين محمـدٌ لقبَّلتُ فاها أو لَكانَ بها فِطْرِي
لَعَمْرِي لقد أوقَرتُ نفسِي خطيئةً فما أنا بالمُزْدادِ وِقْــراً على وِقْرِ

في قصيدة طويلة امتدحه بها ، فأعطاه ما كان يُعطِيه قبل ذلك ولم يَزِدْه شيئاً .

[توفي ابن له فجزع عليه وتمثّل بقول جرير]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكيّ عن محمد بن سَلاَّم عن بعض أصحابه قال : حضَرْنا جنازة ابنٍ لبشّار توفّي ، فجزِع عليه جَزَعاً شديداً ، وجعلنا نُعزِّيه ونُسَلِّيه فما يُغْني ذلك شيئاً ، ثم التفتَ إلينا وقال : لله درُّ جريرٍ حيث يقول وقد عُزِّيَ بسَوادة ابنِه[6] : [من البسيط]

---

1 ديوان بشّار : 131– 134 .
2 تجاللت : ترفّعت .
3 تعني أنّ زيارتك متباعدة رغم قرب محلّك .
4 المفرطحة الصفر : يعني الدنانير .
5 الختر : الغدر والخديعة .
6 ديوان جرير (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1964) : 345 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

قالوا نَصيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أَشبالِي
ودَّعْتَني حين كفَّ الدَّهرُ من بصَري وحين صِرتُ كعَظمِ الرِّمَّةِ البالِي
أودَى سَوادَةُ يَجْلُو مُقلَتي لَحمٍ بازٍ يُصَرصِرُ فوقَ المِربَأ العالِي[1]
إلاّ تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيـن نائحـةٌ فـرُبَّ نائحـةٍ بالرّمـلِ مِعْوالِ

[استنشده صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني خَلاَّدٌ الأرقط قال : لمّا أُنشِدَ المهديُّ قول بشّار : [من الكامل]

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخبَّـــأةٍ قـولٌ تُغَلِّظُــهُ وإن جَرَحـا
عُسْرُ النساءِ إلى مُيـــاسَرَةٍ والصَّعبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

فنهاه المهديّ عن قوله مثلَ هذا ، ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقـال لـه عمرو بن سَمّان ، فقال له : أنشِدنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ ، فأنشأ يقول[2] : [من البسيط]

وقائلٍ هـاتِ شَوِّقْنا فقلتُ لـه أنائمٌ أنتَ يـا عمرو بـنَ سَمّانِ
أما سَمِعتَ بما قد شاعَ في مُضَرٍ وفي الحَلِيفَيْنِ مـن نَجْرٍ وقَحطانِ[3]
قـال الخليفةُ لا تَنْسُبْ بجاريـةٍ إيّـاكَ إيّـاكَ أن تَشْقـى بعِصيانِ

[صدق ظنّه في تقدير جوائز الشعر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قـال حدّثنـا سليمان بن أيّوب المدائنيّ قـال : قال مروان بن أبي حفصة : قدِمتُ البصرة فأنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي واستنصحتُه فيها ؛ فقال لي : ما أجوَدَها ! تَقْدم بغداد فتُعطى عليهـا عشرة آلاف درهـم ؛ فجزعتُ من ذلك وقلتُ : قَتَلتَني ! فقال : هو ما أقول لك ؛ وقَدِمتُ بغداد فأُعطيتُ عليها عشرة آلاف درهم ؛ ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أُخرى فأنشدته قصيدتي :

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها

فقال : تُعطى عليها مائة ألف درهم ؛ فقدمتُ فَأُعطِيتُ مائةَ ألف درهم ، فعُدتُ إلى البصرة فأخبرتُه بحالي في المرّتين ، وقلت له : ما رأيت أعجبَ من حَدْسك[4] ! فقال : يا بُنيّ ، أما علمتَ أنّه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمّك ؟ .

1 لحم : صفة مقدمة لباز . المربأ : مكان وقوف البازي .
2 ديوان بشّار : 236 عن الأغاني .
3 نجر : في الصحاح أرض مكّة والمدينة .
4 ل : حديثك .

أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ عن محمد بن عبد الله بن أبي عُيينة عن مروان أنّه قَدِمَ على بشّار فأنشده قوله :

طرقتكَ زائرةً فحيِّ خَيالَها

فقال له : يُعطونَكَ عليها عشرة آلاف درهم ، ثم قدِم عليه فأنشده قوله : [من الكامل]

أنَّى يكونُ وليس ذاكَ بكائـنٍ ... لِبَنـي البناتِ وِراثـةُ الأعمامِ

فقال : يُعطُونَكَ عليها مائة ألفِ درهم ، وذكر باقي الخبر مثلَ الذي قبله .

[امتحن في صلاته فوجد لا يصلي]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال بعض أصحاب بشّار : كنّا نكون عنده فإذا حضرَتِ الصلاة قمنا إليها ونجعلُ على ثيابه تراباً حتى ننظُرَ هل يقوم يُصلّي ، فنعود والتراب بحاله وما صَلَّى .

[جعل الحب قاضياً بين المحبّين بأمر المهديّ]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال أبو عمرو : بعث المهديّ إلى بشّار فقال له : قُلْ في الحبّ شِعراً ولا تُطِلْ واجعَلِ الحبَّ قاضياً بين المحبِّين ولا تُسمِّ أحداً ؛ فقال[1] : [من الخفيف]

اجعـلْ الحـبَّ بين حِبّي وبيني ... قاضِياً إنّني بـه اليـومَ راضي

فاجتمعنا فقلتُ يا حِبَّ نفسي ... إنّ عَينِـي قليلـةُ الإغماضِ

أنتَ عذَّبتَنِي وأنحلتَ جسمِي ... فارحمِ اليومَ دائـمَ الأمراضِ

قال لي لا يَحِلّ حُكمي عليها ... أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراضِ[2]

قلـتُ لَـمّـا أجابنـي بهواهـا ... شَمِلَ الجورُ في الهوى كلَّ قاضي

فبعث إليه المهديّ : حكمتَ علينا ووافَقنا ذلك ، فأمر له بألف دينار .

[اتهمه بعضهم بأخذ معنى من أشعب فردّ عليه]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان المدنيّ قال حدّثني الفضل بن إسحاق الهاشميّ قال : أنشد بشّار قوله[3] : [من الوافر]

يُرَوِّعُـهُ السِّرارُ بكـلِّ أرضٍ ... مخافةَ أن يكونَ بـه السّرارُ[4]

---

1 ديوان بشار : 148– 149 .

2 الإحراض : إدناف الحب .

3 هذا البيت من قصيدة طويلة في ديوانه من مصادر متعدّدة : 108– 110 .

4 السرار : المسارة .

فقال له رجل : أظنّك أخذتَ هذا من قول أشعَبَ : ما رأيتُ اثنين يتسارّانِ إلاّ ظننتُ أنّهما يأمران لي بشيء ؛ فقال : إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنّكَ أخذتَ ثِقلَ الرُّوح والمقتَ من الناس جميعاً فانفردتَ به دونهم ، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشّار فقال فيه[1] : [من الخفيف]

تركَتْني الوُشاةُ نُصْبَ المُسِرِّيـ ـنَ وأُحْدُوثـةً بكـلِّ مَكانِ
مـا أرى خاليَيْنِ في السرّ إلاّ قلتُ مـا يخلـوانِ إلاّ لِشاني

[استنشد هجوه في حماد عجرد وعمرو الظالميّ]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدّثني سعيد ، جليسٌ كان لأبي زيد ، قال : أتاني أعشى سُلَيم وأبو حَنَشٍ فقالا لي : انطلق معنا إلى بشّار فتسأله أن يُنشِدَك شيئاً من هِجائه في حمّاد عَجْرَد أو في عمرٍو الظالمـيّ فإنّه إن عرفَنا لم يُنشِدنا ، فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدته فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجـاء إلى وادٍ آخر ، وهما يستمعان وبشّار لا يعرِفهُمـا ، فلمّا خرجا قال أحدهُما للآخر : أما تعجبُ مما جاء به هذا الأعمى ؟ فقال أبو حنش : أمّا أنا فلا أُعَرِّض ، واللهِ ، والدَيَّ له أبداً ؛ وكانا قد جاءا يَزورانه ، وأحسَبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته .

[مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ عن الجاحظ قال : كان بشّار صديقاً لأبي حُذيفة واصل بن عطاءٍ قبل أن يدين بالرجعة ويُكَفِّر الأمّةَ ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلّها الراءَ وكانت على البديهة ، وهي أطول من خُطبتَيْ خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، فقال[2] : [من البسيط]

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قـد حَفَلُوا وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ
فقـام مُرتَجِـلاً تَغْـلي بَداهَتُـهُ كَمِرْجَلِ القَيْنِ لمّا حُـفَّ باللَّهَبِ
وجانَبَ الراءَ لم يَشْعُرْ بـه أحـدٌ قبل التصَفُّح والإغراقِ في الطلبِ

قال : فلمّا دانَ بالرجعة زعم أنّ الناس كلّهم كفروا بعد رسول الله ﷺ ؛ فقيل له : وعليّ بن أبي طالب ؟ فقال[3] : [من الوافر]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي ، بيروت) : 246 .
2 ديوان بشّار : 28 .
3 البيت من معلقة عمرو بن كلثوم .

وما شَرُّ الثلاثةِ أمّ عمرٍو بصاحبِك الذي لا تَصْبَحِينا

[قال : ما كان الكميت شاعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينةُ قال قال لي محمد بن الحجّاج : قال بشّار : ما كان الكُمَيتُ شاعراً ؛ فقيل له : وكيف وهو الذي يقول ! : [من الطويل]

أَنِصْفُ امْرِىءٍ من نصفِ حيٍّ يسُبُّني لَعَمْري لقد لاقيتُ خَطْباً من الخَطْبِ

هنيئاً لكَلْبٍ أنَّ كلباً يسُبُّني وأنِّيَ لم أُردُدْ جواباً على كَلْبِ

فقال بشّار : لا بَلَّ شانِئَكَ[1] ، أترى رجلاً لو ضَرَطَ ثلاثين سنة لم يُستَحْلَ من ضرطه ضرطَةٌ واحدةٌ !

[تمثّل سفيان بن عيينة بشعر له]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حجّاج المعلِّم قال سمعتُ سفيان بن عيينة يقول[2] : عَهدِي بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدباً ، وصبَرنا عليهم حتى أشبَهْناهم ، فصرنا كما قال الشاعر : [من الطويل]

وما أنا إلاّ كالزمانِ إذا صَحا صَحَوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ[3]

[وبخ من سأله عن منزل ولم يفهم]

أخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل يُفَهِّمُه ، ولا يَفْهَمُ ، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول[4] : [من البسيط]

أعمى يقودُ بصيراً لا أَبا لَكُمُ قد ضَلَّ مَنْ كانت العُمْيانُ تَهدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا هو منزلُه يا أعمى .

[أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : زعم أبو دعامة أنّ عطاء الملط أخبره أنّه أتى بشّاراً فقال له : يا أبا مُعاذ ، أُنْشِدُكَ شِعراً حسناً ؟ فقال : ما أسرّني بذلك ، فأنشده : [من الطويل]

---

1 لا بل شانئك : لا برىء كارهك . ويجوز بناء «بُلّ» للمجهول بمعنى «لا مُطر» .

2 ديوان بشّار : 165 .

3 الموق : حمق في غباوة .

4 ديوان بشّار : 98 .

أَعاذِلَتِيَّ اليومَ وَيلَكُما مَهْلا فما جَزَعاً مِ الآنَ أبكي ولا جَهْلا[1]

فلمّا فَرَغ منها قال له بشّار : أحسنتَ ، ثم أنشده على رَوِيّها ووزنها[2] : [من الطويل]

لقد كادَ ما أُخْفِي من الوَجْدِ والهوى يكون جَوًى بين الجوانِح أو خَبْلا

صوت

[من الطويل]

إذا قال مهلاً ذو القرابة زادَني وَلُوعاً بذكراها ووجْداً بها مَهْلا
فلا يَحسَبِ البِيضُ الأوانسُ أنّ في فؤادي سوى سُعْدى لِغانيةٍ فَضْلا
فَأُقسِمُ إن كان الهوى غيرَ بالغ بِيَ القتلَ من سُعدى لقد جاوزَ القتلا
فيا صاحِ خَبِّرْني الذي أنت صانعٌ بقاتِلَتِي ظُلْماً وما طَلَبَتْ ذَحْلا[3]
سِوى أنّني في الحبّ بيني وبينها شَدَدْتُ على أكظامِ سِرٍّ لها قُفْلا

وذكر أحمدُ بن المكيّ أنّ لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلاً أوّل بالوسطى فاستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ : يا أبا مُعاذٍ ، قد والله أجدتَ وبالغتَ ، فلو تفضّلتَ بأن تُعيدَها ؛ فأعادها على خلاف ما أنشدَنِيها في المرّة الأولى ، فتوهّمتُ أنّه قالها في تلك الساعة .

[حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال : كنتُ أكلّم بشّاراً وأردّ عليه سوءَ مذهبه بميلِه إلى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلاّ ما عاينتُه أو عاينت مثله ؛ وكان الكلام يطول بيننا ، فقال لي : ما أظنّ الأمر يا أبا خالد[4] إلاّ كما تقول ، وأن الذي نحن فيه خِذْلانٌ ، ولذلك أقول[5] : [من الطويل]

طُبِعْتُ على ما فِيَّ غيرَ مُخَيَّرٍ هَوايَ ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذَّبا
أُرِيدُ فلا أُعْطى وأُعطى ولم أُرِدْ وقَصَّر عِلْمِي أنْ أنالَ المغَيَّبا[6]
فَأُصرَفُ عن قَصْدِي وعلمي مُقَصِّرٌ وأمْسي وما أُعْقِبْتُ إلاّ التعجُّبا[7]

1 ويلكُما في ل : ويحكما .
2 ديوان بشّار : 182 عن الأغاني .
3 الذحل : الثأر .
4 ل : مخلد .
5 ديوان بشار : 24–25 .
6 وقصر في الديوان : ويَقصر .
7 مقصِّر في الديوان : ثاقب .

[عاتب منقريّاً بعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد بن المبارك قال حدّثني أبي قال : كان بالبصرة فتًى من بني مِنقَرٍ أُمُّه عِجْلِيَّةٌ ، وكان يبعث إلى بشّار في كلّ أُضْحِيَّةٍ بأُضحيّةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسَمِّنونها سنةً وأكثر للأضاحي ثم تُباعُ الأضحيّة بعشرة دنانير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال : فأمر وكيلَه في بعض السنين أن يُجرِيَه على رسمه ، فاشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينةٍ وسرقَ باقي الثمن ، وكانت نعجةً عَبدَلِيَّةٍ من نِعاج عبد الله بن دارم وهو نِتاجٌ مرذولٌ ، فلمّا أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريته رَبابة : ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يَبعثُ بها إليك ؛ فقال : أَدنيها منّي فأدنتْها ولمسَها بيده ثم قال : اكتب يا غُلام[1] : [من المتقارب]

وهبتَ لنا يا فتى مِنقَرٍ ... وعِجْلٍ وأكْرَمَهمْ أوّلا
وأبسَطَهم راحةً في النَّدى ... وأرفعَهم ذِرْوَةً في العُلا
عجوزاً قَدَ اوْرَدَها عمرُها ... وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى
سَلُوحاً توهّمتُ أن الرِّعاء ... سَقَوْها ليُسهِلَها الحنظَلا
وأُضرِطَ من أمّ مُبتاعِها ... إن اقتحَمَتْ بُكرةً حَرْمَلا[2]
فلو تأكُل الزُّبدَ بالنِّرسِيان ... وتَدَّمِجُ المِسكَ والمَنْدَلا[3]
لَما طَيّبَ اللهُ أرواحَها ... ولا بلّ من عَظْمها الأقْحَلا[4]
وضعتُ يميني على ظهرها ... فخِلْتُ حَراقِفَها جَنْدَلا
وأهوتْ شِمالي لعُرْقوبها ... فخلتُ عَراقِبَها مِغزَلا
وقَلّبتُ أَلْيَتَها بعد ذا ... فشَبَّهتُ عُصْعُصَها مِنجَلا
فقلتُ أبيعُ فلا مشرَباً ... أُرَجِّي لديها ولا مَأكَلا
أَمَ اشوِي وأطبُخُ من لحمها ... وأطْيَبُ من ذاك مَضْغُ السَّلى[5]
إذا ما أُمِرَّتْ على مجلسٍ ... من العُجْبِ سَبّحَ أو هَلّلا

---

1 ديوان بشّار : 183–184 .
2 الحرمل : حبٌ كالسمسم .
3 النرسيان : نوع من أجود التمر . تدّمج : مثل تندمج أي تدخل في المسك والمندل .
4 الأقحل : من أقحل الشيء وإذا يبس .
5 السلى : الجلدة يكون فيها الولد في بطن أمّه .

رأَوْا آيـةً خَلْفَهـا سائقٌ يَحُثّ وإن هَرْولتْ هَرْولا
وكنتَ أمرتَ بهـا ضَخْمةً بلحمٍ وشحمٍ قد استكْمِلا
ولكنّ رَوحاً عَـدا طورَه وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا
فعَضّ الذي خانَ في أمرها مِن اسْتِ امّه بَظْرَها الأغْرَلا
ولـولا مكانُـك قَلّدتـه عِلاطاً وأنشقته الخَرْدَلا[1]
ولـولا استِحائِيكَ خَضّبْتُها وعَلّقت في جِيدها جُلْجُلا
فجاءَتْكَ حتى ترى حالَها فتعلَـمَ أنّي بهـا مُبْتَلى
سألتُـك لحماً لصِبْياننـا فقـد زِدْتَنِي فيهمُ عَيّلا
فخُذْهـا وأنت بنا مُحسِنٌ وما زلتَ بِي مُحسِناً مُجْمِلا

قال : وبعث بالرقعة إلى الرجل ؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك ؛ تعلم أنّي أفتدي من بشّار بما أُعطيه وتُوقِعني في لسانه ! اذهَبْ فاشترِ أُضحِيّةً ، وإن قَدَرتَ أن تكونَ مثلَ الفيل فافعل ، وابلُغْ بها ما بلغتْ وابعَثْ بها إليه .

[شعره في رثاء بنية له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال أخبرنا أبو عمرو بن العَلاء قال : رأيت بشّاراً المرعَّث يرثي بُنَيَّة له وهو يقول[2] : [من الرجز]

يا بنتَ من لم يكُ يَهْوى بنتا مـا كنتِ إلاّ خمسةً أو ستّـا
حتّى حَلَلْتِ في الحَشى وحتّى فَتّتِّ قلبي مـن جـوًى فانفتّا
لأَنْتِ خيرٌ مـن غـلامٍ بتّـا يُصبِحُ سكرانَ ويُمْسي بَهْتا[3]

[مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه]

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال : كان نافع بن عُقبة بن سَلْم جَواداً مُمَدَّحاً ، وكان بشّار منقطعاً إلى أبيه ، فلمّا مات أبوه وَفَد إليه وقد وَلِيَ مكانَ أبيه ، فمدحه بقوله[4] : [من الكامل]

ولنافـعٍ فضـلٌ على أكفائـه إن الكريـمَ أحـقُّ بالتفضيلِ

---

1 علاط : حبل يجعل في عنق البعير .
2 ديوان بشّار : 51 عن الأغاني .
3 بت : منقطع عن العمل (بسبب السكر) . بهت : دهش متحيّر متعب .
4 ديوان بشّار : 187 .

يا نافعَ الشِّبْراتِ حين تناوحتْ هُوجُ الرياحِ وأُعْقِبتْ بوبُولِ[1]
أشبهتَ عُقْبَةَ غيرَ ما مُتَشبِّهٍ ونشأتَ في حلمٍ وحسنِ قَبُولِ
ووَلِيتَ فينا أشهراً فكفيتَنا عَنَتَ المُريبِ وسَلّةَ التّضليلِ
تُدْعَى هِلالاً في الزمانِ ونافعاً والسَّلْمُ نِعْمَ أُبُوَّةُ المأمولِ

فأعطاه مثل ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة إذا وفَد عليه .

[أجاز شعراً للمهدي في جارية]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال حدّثني إبراهيم بن عُقبة الرفاعيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم التمّارِ البَصْرِيّ قال : دخل المهديُّ إلى بعض حُجَر الحُرَم فنظر إلى جاريةٍ منهنّ تغتسل ، فلمّا رأته حَصِرت[2] ووضعت يدَها على فَرْجها ، فأنشأ يقول :

نظرتْ عيني لحَيْني

ثم أُرتِجَ عليه ، فقال : مَن بالباب من الشعراء ؟ قالوا : بشّار ، فأذن له فدخل ؛ فقال له : أجِزْ :

نظرتْ عيني لحيني

فقال بشّار[3] : [من مجزوء الرمل]

نظـرتْ عيني لِحَيْني نَظَـراً وافـقَ شَيْني
سَتَرَتْ لَمّـا رأتنـي دونَـه بالراحتَـينِ
فَضَلتْ منـه فُضُولٌ تحت طَـيِّ العُكْنَتَينِ

فقال له المهديّ : قَبّحكَ اللهُ ويحك ؛ أكنت ثالثنا ! ثم ماذا ؟ فقال : [من مجزوء الرمل]

فتمنّيـتُ وقلبـي للهـوى في زَفْرتَـينِ
أنّني كنـتُ عليـه ساعـةً أو ساعتَـينِ

فضحكَ المهديّ وأمر له بجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين أَقَنِعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ فقال : اخرج عنّي قبّحك الله ؛ فخرج بالجائزة .

[أنشد شعراً على لسان حمار له مات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهْب البُرْجُميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : جاءنا بَشّار يوماً فقلنا له :

1 الشبرات : من شبره : أعطاه والشَبر (بفتح الشين) ؛ اسم العطية .
2 حصرت : استحت .
3 ديوان بشّار : 242–243 مع اختلاف في اللفظ .

ما لك مغتمّاً ؟ فقال : مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له : لم مُتّ ؟ ألم أكن أُحسِن إليك ؟ فقال[1] : [من مجزوء الرمل]

سَيِّدِي خُذْ بي أتاناً عندَ بابِ الأصبهاني
تَيّمتنِي ببنانٍ وبدَلٍّ قد شَجانِي
تَيّمتني يومَ رُحنا بثناياها الحسانِ
وبغُنْجٍ ودَلالٍ سَلّ جسمي وبَرانِي
ولها خَدٌّ أسيلٌ مثلُ خدّ الشيفرانِ
فلذا متُّ ولو عِشْـ ـتُ إذاً طالَ هوانِي

فقلتُ له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدريني ؛ هذا من غريب الحمار ، فإذا لَقِيتَه فاسأله .

[رأيه فيما يكون عليه المجلس]

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني علي بن إيّاس قال حدّثني السَّرِيّ بن الصبّاح قال : شَهِد بشّار مجلساً فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعراً كلّه ولا حديثاً كلّه ولا غناءً كلّه ، فإن العيش فُرَصٌ ، ولكن غَنُّوا وتحدّثوا وتَناشدوا وتعالَوْا نتناهب العيشَ تناهُباً .

[وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكَرانيّ عن ابن عائشة قال : جاءَ بشّار يوماً إلى أبي وأنا على الباب ، فقال لي : مَن أنت يا غلام ؟ فقلت : مِن ساكني الدار ؛ قال : فكلّمني والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدْقٍ هَرِيتٍ[2] .

[أبطأ سهيل القرشي في إهدائه التمر فكتب إليه يتنجزه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان سُهيل بن عُمَر القرشيّ يبعث إلى بشّار في كلّ سنة بقواصر[3] تمر ، ثم أبطأ عليه سنةً ؛ فكتب إليه بشّار[4] : [من الخفيف]

تمركُم يا سُهَيْلُ دُرٌّ وهل يُطْـ ـمَعُ في الدرّ مِنْ يَدَيْ مُتَعَتّي[5]
فاحبُنِي يا سُهيلُ من ذلك التمـ ـرِ نواةً تكون قُرْطاً لبنتِي

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر .

---

1 ديوان بشّار : 242 .
2 الشدق الهريت : الواسع .
3 قواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) وعاء للتمر يشبه الزنبيل .
4 ديوان بشّار : 54 .
5 متعتّي : مستكبر .

[سأله بعض أهل الكوفة أن ينشدهم شعراً ثم عاتبوه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صَفوان قال : جلس إلى بشّارٍ أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن يُنشدَهم شيئاً ممّا أحدثه ، فأنشدهم قوله[1] : [من السريع]

أنّى دعاه الشّوقُ فارتاحا — من بعد ما أصبح جَحجاحا

حتى أتى على قوله :

في حُلّتي جسمُ فتىً ناحلٍ — لو هبّت الرّيح به طاحا

فقالوا : يا ابن الزانية ، أتقول هذا وأنت كأنّك فِيل عَرضُك أكثر من طولك ! فقال : قوموا عنّي يا بني الزِّناء ؛ فإنّي مشغول القلب ، لست أنشَط اليومَ لمشاتمتكم .

[عشق امرأة وألحّ عليها فشكته إلى زوجها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال : كان لبشّار مجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان ، فدخل إليه نِسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره ، فعشِق امرأة منهنّ ، وقال لغلامه : عَرِّفها محبّتي لها ، واتبعها إذا انصرفت إلى منزلها ؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه إلى ما أحبّ ، فتبِعها إلى منزلها حتى عرَفه ، فكان يتردّد إليها حتى بَرِمت به ، فشكته إلى زوجها ، فقال لها : أجيبيه وعِديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلتْ ، وجاء بشّار مع امرأةٍ وجّهتْ بها إليه ، فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يحدّثها ساعة ، وقال لها : ما اسمك بأبي أنت ؟ فقالت : أُمامة ؛ فقال[2] : [من الوافر]

أمامةُ قد وُصفتِ لنا بحسن — وإنّا لا نَراكِ فألمِسينا

قال : فأخذتْ يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ ، ففزِع ووثب قائماً وقال[3] : [من الوافر]

عليّ أَلِيّةٌ ما دمتُ حيّا — أَمَسُّكِ طائعاً إلاّ بعُودِ
ولا أُهدِي لقومٍ أنتِ فيهم — سلامَ الله إلاّ من بعيدِ
طلبتُ غنيمةً فوضَعت كفّي — على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخيرٌ منكِ من لا خيرَ فيه — وخيرٌ من زيارتكم قُعودِي

---

1 ديوان بشّار : 63 .
2 ديوان بشّار : 227 .
3 ديوان بشّار : 81 .

وقبض زوجها عليه وقال : هَمَمتُ بأن أفضحك ؛ فقال له : كفاني ، فديتُك ، ما فعلتَ بي ، ولستُ والله عائداً إليها أبدا ، فحسبُك ما مضى ، وتركه وانصرف . وقد رُوي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشّار هذه . وهذا الخبر بعينه يُحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضح عن أبي العبّاس الأعمى السائب بن فَرُّوخ ، وقد ذكرته في أخبار أبي العبّاس بإسناده .

[رثاؤه أصدقاءه]

نسخت من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حمدان الآبَنوسيّ قال حدّثنا أبو نُواس قال : كان لبشّار خمسة نُدماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البَراء ، فركب في زَورق يريد عُبور دجلة العوراء[1] فغرِق ، وكان المهديّ قد نهى بشّاراً عن ذكر النساء والعشق ، فكان بشّار يقول : ما خَيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء ؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله[2] : [من الخفيف]

يا ابنَ موسى ماذا يقول الإمامُ ... في فتاة بالقلبِ منها أوامُ
بِتُّ من حبِّها أُوَقَّرُ بالكأ ... سِ ويهفُو على فؤادي الهُيامُ
وَيْحَها كاعباً تُدِلّ بجَهْمٍ ... كَعثَبيّ كأنّه حَمّامُ
لم يكن بينها وبينيَ إلاّ ... كُتُبُ العاشقين والأحلامُ
يا ابنَ موسى اسقني ودَع عنك سلمى ... إنّ سلمى حِمىً وفيّ احتشامُ
رُبّ كأسٍ كالسَّلسبيل تعلّلـ ... ـتُ بها والعيون عنّي نيامُ
حُبستْ للشُّراة في بَيت رأس ... عُتّقتْ عانساً عليها الخِتامُ[3]
نَفحتْ نَفحةً فهزّت نديمي ... بنسيمٍ وانشقّ عنها الزّكامُ
وكأنّ المعلولَ منها إذا را ... حَ شَجٍ في لسانه بِرْسامُ[4]
صدَمتْه الشّمُولُ حتّى بعينيـ ... ـه انكسارٌ وفي المفاصل خامُ
وهو باقي الأطراف حَيِّت به الكأ ... س وماتت أوصالُه والكَلامُ
وفتىً يشرَبُ المدامةَ بالما ... لِ ويمشي يرومُ ما لا يُرامُ[5]

---

1 دجلة العوراء : دجلة بالبصرة .

2 ديوان بشّار : 195–196 .

3 بيت رأس : اسم قرية قرب حلب وأُخرى قرب بيت المقدس والقريتان تكثر فيهما الكروم .

4 برسام هنا : لجلجة وهذيان .

5 ويمشي في ل : يمسي .

أنفــدتْ كأسُه الدنانيرَ حتّــى ذهب العــينُ واستمرّ السَّوامُ[1]
تركتْــه الصَّهبـاء يرنـو بعــين نـام إنسانُهـا وليست تَنامُ
جُنّ مـن شَربة تُعَـلّ بأُخرى وبكـى حـين سار فيـه المُدامُ
كان لي صاحباً فأودَى بـه الدّهـ ـــر وفارقتُــه عليــه السَّلامُ
بَقِـيَ النّاس بعــدَ هُلْك نَدامـا يَ وقوعاً لم يشعروا مـا الكلامُ
كجَزورِ الأيسار لا كَبِــدٌ فيـ ـــها لبــاغٍ ولا عليهـا سَنامُ[2]
يا ابنَ موسى فَقْدُ الحبيب على العيـ ـنِ قَــذاةٌ وفي الفــؤادِ سَقامُ
كيف يصفُو ليَ النّعيم وَحيــداً والأخــلاّءُ في المقابــرِ هــامُ[3]
نَفِسَتْهــم عـــليّ أمّ المنايــا فأنامَتْهـــمُ بعُنــــفٍ فناموا
لا يَغيضُ انسجامُ عينــي عليهــم إنّما غايــةُ الحزيــنِ السِّجامُ

[وفد على عمر بن هبيرة فمدحه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ : أنّ بشّاراً وفَد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله[4] : [من الطويل]

يخافُ المنايا أن ترحّلتُ صاحبي كأنّ المنايــا في المُقــام تُناسِبُهْ
فقلــتُ لـه إنّ العــراقَ مُقامُــه وخيــمٌ إذا هبّـت عليك جنائبُهْ
لأَلقـى بنـي عَيـلان إنّ فَعالَهم تزيـدُ عـلى كلِّ الفَعـال مَراتبُهْ
أولاكَ الأُلى شقّوا العمى بسيوفهم عن العينِ حتّى أبصر الحقَّ طالبُهْ
وجيشٍ كجُنحِ الليل يزحَفُ بالحصى وبالشوكِ والخَطِّيِّ حُمراً ثَعالِبُهْ[5]
غدَونا له والشّمسُ في خِــدر أُمّهــا تُطالعنــا والطَّــلُّ لم يَجـرِ ذائبُهْ
بضَربٍ يذوقُ الموتَ مَنْ ذاقَ طعمَه وتُدْرِكُ مَنْ نجّــى الفرارُ مَثالبُهْ
كأنّ مُثَارَ النّقع فــوقَ رؤوسنا وأسيافَنا ليــلٌ تهــاوى كواكبُهْ

1 العين : الذهب . السوام : الإبل أو المواشي السائمة .
2 جزور الأيسار : الناقة تذبح للمقامرة عليها .
3 هام : أموات .
4 هذه الأبيات من قصيدة بشّار التي تقدمت (ديوانه : 42–48) مع اختلاف في الترتيب .
5 ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان .

بعثنا لهم موتَ الفُجاءة إنّنا بنو الموت خفّاق علينا سَبائبُهْ[1]

فراحوا فريقٌ في الإسار ومثله قتيلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُهْ

إذا الملكُ الجبّارُ صَعَّر خدّه مَشْينا إليه بالسُّيوف نعاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أُعطيها بشّار ورَفعتْ من ذكره ، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتبا صديقَك لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنّه مُقارِفُ ذنبٍ مرّةً ومجانِبُهْ

إذا أنت لم تَشرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئتَ وأيُّ النّاسِ تصفُو مَشاربُهْ

الغناء في هذه الأبيات لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها .

[شعره في العشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال : كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدانَ ، وكان النساء يحضُرنه فيه ، فبينما هو ذاتَ يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشِقها ، فدعا غلامه فقال : إذا تكلّمتِ المرأة عرّفتُك فاعرِفها ، فإذا انصرفتْ من المجلس فاتبعها وكلّمها وأعلمها أنّي لها مُحبّ ؛ وقال فيها[2] : [من البسيط]

يا قومُ أُذني لبعضِ الحيِّ عاشقةٌ والأذنُ تعشَقُ قبلَ العينِ أحيانا

قالوا : بمَن لا تَرى تَهذِي فقلتُ لهم الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا[3]

هل من دواءٍ لمشغوفٍ بجاريةٍ يلقَى بلُقيانها رَوحاً ورَيحانا[4]

وقال في مثل ذلك[5] : [من البسيط]

قالت عُقَيل بن كَعب إذ تَعلّقها قلبي فأضحى به من حبّها أثرُ

أنّى ولم ترها تَهذِي فقلتُ لهم إنّ الفؤادَ يَرى ما لا يَرى البصرُ

أصبحتُ كالحائمِ الحَيران مُجتنَباً لم يقضِ وِرداً ولا يُرجَى له صَدَرُ

1 السبائب : جمع سبيبة وهي هنا الراية .

2 ديوان بشّار : 226 مع اختلاف في الترتيب .

3 توفي : تبلغ .

4 الشطر الأول في رواية الديوان : «ما كنت أوّل مشغوف بجارية . . .» .

5 ديوان بشّار : 106-107 .

قال يحيى بن عليّ وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه[1] : [من الطويل]

يُزهّدني في حبِّ عَبدةَ مَعشرٌ ... قلوبُهمُ فيها مخالفةٌ قلبي

فقلت دَعوا قلبي وما اختارَ وارتضى ... فبالقلبِ لا بالعينِ يُبصِرُ ذو الحبِّ

فما تُبصرُ العينان في مَوضع الهوى ... ولا تَسمع الأذنان إلاّ من القلبِ

وما الحسنُ إلاّ كلُّ حسنٍ دعا الصّبا ... وألّف بين العشقِ والعاشقِ الصَّبِّ

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك[2] : [من المنسرح]

يا قلبُ ما لي أراكَ لا تَقِر ... إيّاك أُعني وعندكَ الخبرُ[3]

أذعتَ بعدَ الألى مضَوْا حُرَقاً ... أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا[4]

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك[5] : [من المنسرح]

إنّ سليمى واللهُ يكلؤها ... كالسُّكر تَزداده على السَّكَرِ

بُلِّغتُ عنها شَكلاً فأعجبني ... والسّمعُ يكفيك غَيبةَ البصرِ[6]

[أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً فقال شعراً مداره الحكمة]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال : زعم أبو العالية أنّ بشّاراً قدِم على المهديّ ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخُل على ذلك ، فأنشده قوله[7] : [من مجزوء الكامل]

يا مَنظَراً حَسَناً رأيتُهْ ... من وجه جاريةٍ فديتُهْ

بعثتْ إليّ تَسومني ... بُردَ الشّباب وقد طوَيتُهْ

واللهِ ربِّ مُحمّد ... ما إن غَدرتُ ولا نَويتُهْ

أمسكتُ عنك وربّما ... عَرض البلاءُ وما ابتغيتُهْ

---

1 ديوان بشّار : 34–35 .

2 ديوان بشّار : 100–101 وأوّل البيت الثاني فيه «أضعت بين . . .» .

3 لا تقر : لا تأخذ بالوقار والرزانة .

4 ضاع في ل : ذاع .

5 ديوان بشّار : 130–131 .

6 شكل : غنج ودلال .

7 تقدّمت بعض أبيات هذه القصيدة في ترجمة بشّار (ديوانه : 55–56) .

إنّ الخليفةَ قد أبَى ... وإذا أبَى شيئاً أبيتُهْ
ومُخضَّبٍ رَخص البَنا ... ن بكَى عليّ وما بكَيتُهْ
ويشوقني بيتُ الحبيـ ... ـب إذا ادّكرتُ وأينَ بيتُهْ
قامَ الخليفةُ دونَه ... فصبَرتُ عنه وما قلَيْتُه
ونَهاني المِلكُ الهما ... م عن النَّسيب وما عصَيتُهْ[1]
لا بل وفَيتُ فلم أُضِع ... عهداً ولا رأياً رأيتُهْ
وأنا المُطِلّ على العِدا ... وإذا غلا عِلْق شريتُهْ[2]
أُصفي الخليلَ إذا دنا ... وإذا نأى عنّي نأيتُهْ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب ، فحرمه ولم يُعطه شيئاً ؛ فقيل له : إنّه لم يستحسن شعرك ؛ فقال : والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخشَ صرفُه على أحد[3] ، ولكنّه كذّب أملي لأنّي كذَبتُ في قولي . ثم قال في ذلك[4] : [من الطويل]

خليليّ إنّ العسرَ سوف يُفيقُ ... وإنّ يساراً في غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلاّ كالزّمان إذا صَحا ... صَحوتُ وإن ماقَ الزّمانُ أموقُ
أأدْماءُ لا أسطيع في قلّة الثّرى ... خُزوزا ووَشيا والقليلُ مَحيقُ[5]
خُذي من يدي ما قلّ إنّ زماننا ... شَمُوسٌ ومعروف الرجال رقيقُ
لقد كنتُ لا أرضَى بأدنى مَعيشة ... ولا يَشتكي بُخلاً عليّ رفيقُ
خليليّ إنّ المالَ ليس بنافع ... إذا لم ينَل منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ إذا ضاقتْ عليّ مَحَلّةٌ ... تيمّمتُ أُخرى ما عليّ تَضيقُ
وما خابَ بينَ اللهِ والناسِ عاملٌ ... لـه في التّقى أو في المحامدِ سُوقُ
ولا ضاقَ فضلُ اللهِ عن مُتعفّفٍ ... ولكنّ أخلاقَ الرجالِ تَضيقُ

[أنشد المهديّ شعراً في النسيب فتهدّده إن عاد إلى مثله]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال : بلغ المهديَّ قولُ بشّار[6] : [من الكامل]

1 النسيب في ل : النساء .
2 الشطر الثاني تقدّمت رواية هذا الشطر : وإذا غلا حمد شريته .
3 ل : حر .
4 ديوان بشّار : 164–165 .
5 أدماء : الظبية التي أشرب لونها بياضاً أو السمراء ، وهي هنا علم . الخزوز : جمع خز . محيق : لا خير فيه .
6 تقدّم البيتان الثاني والثالث في هذه الترجمة .

قاسِ الهمومَ تنلْ بهـا نُجُحا | والليـلَ إنّ وراءه صُبُحـا
لا يُؤيسنّك مـن مُخبّـأةٍ | قـولٌ تُغلّظـه وإن جَرَحـا
عُسر النّساءِ إلى مُيـاسَرةٍ | والصّعبُ يُمكن بعد ما جَمَحا

فلمّا قدِم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إيّاه ، وكان المهديّ غيوراً ، فغضب وقال : تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمّه ! أتحضّ الناس على الفجور وتقذف المحصَنات المخبّآت ! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينّ على روحك ؛ فقال بشّار في ذلك[1] : [من المنسرح]

واللهِ لـولا رِضا الخليفة مـا | أُعطيتُ ضَيماً عليَّ في شَجنِ
وربّما خِيرَ لابـن آدمَ في الـ | ـكُره وشقَّ الهوى على البدنِ
فاشرَبْ على أُبنة الزّمـان فما | تلقَى زماناً صَفا مـن الأُبَنِ[2]
اللهُ يُعطيـك مـن فواضلـه | والمرء يُغضي عيناً على الكُمَنِ[3]
قد عشتُ بين الرَّيحان والراح والـ | ـمزْهر في ظلِّ مَجلسٍ حسنِ
وقد ملأتُ البلادَ مـا بين فُغْـ | ـفُور إلى القَيـروان فاليمنِ

قال عمر بن شبّة : فُغْفُور : ملك الصين .

شِعراً تُصلّي لـه العواتِقُ والـ | ـثّيبُ صـلاةَ الغُـواة للوَثَنِ
ثم نهاني المَهديّ فانصرفتْ | نفسي صنيعَ الموفَّـق اللّقِنِ[4]
فالحمـدُ للهِ لا شريكَ لـه | ليس بباقٍ شيءٌ على الزّمَنِ

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها :

تجاللتُ عن فِهرٍ وعن جارتَـيْ فهرِ

ووصف بها تركه التشبيب ، ومدحه فقال[5] : [من الطويل]

تَسلّى عـن الأحبـابِ صَرّامُ خُـلّة | ووصّالُ أُخـرى مـا يُقيم على أمرِ
وركّاض أفـراس الصّبابـة والهـوى | جرت حِجَجاً ثم استقرّت فما تَجرِي

1 ديوان بشّار : 237 .
2 الأبنة هنا : الكدر .
3 الكمن : جمع كمنة وهي ورم في الجفن .
4 اللقن : السريع الفهم .
5 ديوان بشّار : 133–134 .

فأصبحن مـا يُركَبن إلاّ إلى الوغَى وأصبحتُ لا يُزْرى عليّ ولا أُزري
فهذا وإنّي قـد شَرَعْتُ مـع التّقى وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري[1]

ثم قال يصف السفينة : [من الطويل]

وعذراء لا تجري بلحـمٍ ولا دمٍ قليلة شكوى الأيْن مُلجَمةُ الدُّبْرِ[2]
إذا ظَعَنَت فيهـا الفُلـول تَشخّصت بفُرسانها لا في وُعـوث ولا وعرِ[3]
وإن قصدت زلّـت على مُتنصِّـب ذليل القوى لا شيء يَفري كما تفري
تُلاعـب تَيّارَ البحـور وربّمـا رأيتَ نفوسَ القوم من جَريها تجري

قال : وكان قال : «نينان البحور» فعابه بذلك سيبويه فجعله «تيّار البحور» .

إلى ملـكٍ مـن هاشمٍ في نبـوّةٍ ومن حِمْير في الملك في العدد الدَّثْرِ[4]
مِنَ المشترين الحمد تندى من النّدى يـداه وينـدى عارِضاه مـن العِطرِ
فألزمتُ حبلِـي حبـلَ من لا تُغبّه عُفاة الندى من حيثُ يَدرِي ولا يَدرِي
بَنـى لـك عبد اللهِ بيتَ خلافـةٍ نزلـتَ بهـا بـين الفَراقـد والنَّسرِ
وعندك عهـدٌ مـن وَصاة محمّـد فَرَعتَ بـه الأملاكَ من ولد النّضرِ[5]

[هجا المهدي بعد أن مدحه فلمّا بلغه ذلك أمر بقتله]

فلم يَحْظَ منه أيضاً بشيء ، فهجاه فقال في قصيدته[6] : [من السريع]

خليفـةٌ يـزني بعمّاتـــه يلعب بالدَّبُّوق والصّوْلجانْ
أبدلنـــا اللهُ بـــه غيـرَه ودسّ مُوسى في حِرِ الخَيْزُرانْ[7]

وأنشدها في حَلقة يونس النّحويّ ، فسُعي به إلى يعقوب بن داود ، وكان بشّار قد هجاه فقال[8] : [من البسيط]

---

1 شرعت مع التقى : لزمت الحقّ وابتعدت عن الباطل .
2 الأين : التعب .
3 الوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .
4 الدثر : الكثير .
5 فرع : علا بالشرف .
6 ديوان بشار : 243 .
7 الخيزران : إحدى جواري المهدي وهي أمّ موسى (الهادي) وهارون (الرشيد) .
8 ديوان بشّار : 91 .

بنــي أميّة هُبّـوا طــال نومُكُم ... إنّ الخليفــةَ يعقــوبُ بنُ داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفــةَ الله بـينَ الــزِقِّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك ؛ فقال : بأيّ شيء ؟ فقال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهّمه فكرِي ؛ قال له : بحياتي إلاّ أنشدتني ! فقال : والله لو خيّرتَني بين إنشادي إيّاه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره ؛ فقال : أمّا لفظاً فلا ، ولكنّي أكتبُ ذلك ، فكتبه ودفعه إليه ؛ فكاد ينشقّ غيظاً ، وعمَد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها ، وما وكده[1] غير بشّار . فانحدر ، فلمّا بلغ إلى البَطِيحة سمِع أذاناً في وقت ضُحى النّهار ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ؛ فإذا بشّار يؤذّن سكران ؛ فقال له : يا زنديق يا عاضّ بَظْر أمّه ، عجبتُ أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ؛ ثم دعا بابن نَهيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحَرّاقة[2] سبعين سوطاً أتلفه فيها ، فكان إذا أوجعه السوط يقول : حَسٍّ ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع ، فقال له بعضهم : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حَسٍّ ، ولا يقول : باسم الله ؛ فقال : ويلك ؛ أطعامٌ هو فأُسمّيَ الله عليه ! فقال له الآخر : أفلا قلتَ : الحمد لله ؛ قال : أَوَنعمةٌ هي حتّى أحمد الله عليها ؟ فلمّا ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه ، فأُلقي في سفينة حتّى مات ثم رُميَ به في البَطيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : لمّا ولِيَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهديّ البصرة ، قال بشّار يهجوه[3] : [من الطويل]

هُمُ حَملوا فـوقَ المنابر صالحاً ... أخاك فضجّت من أخيك المنابرُ

فبلغ ذلك يعقوبَ فدخل على المهديّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أبَلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجوَ أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك ! وما قال ؟ قال : يُعفيني أمير المؤمنين من إنشاده ، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه . فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره : وخاف يعقوب بن داود أن يَقدَم على المهديّ فيمدحَه ويعفو عنه ، فوجّه إليه من استقبله فضربه بالسِّياط حتّى قتله ثم ألقاه في البَطيحة في الخَرّارة .

---

1 وكده : قصده .
2 الحراقة : سفينة يرمى بالنار منها .
3 ديوان بشّار : 113 .

[هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريين ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد ، وخبره أتمّ ، قالوا : خرج بشّار إلى المهديّ ، ويعقوبُ بن داود وزيره ، فمدحه ومدح يعقوب ، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله ، فصاح به بشّار :

طال الثَّـواء على رُسوم المنزِلِ

فقال يعقوب :

فإذا تشاءُ أبـا معاذٍ فارحَلِ

فغضِب بشّار وقال يهجوه : [من البسيط]

بنـي أميّة هُبّـوا طـال نومكـمُ إنّ الخليفـة يعقوبُ بـن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفـةَ اللهِ بـين الـزِّقّ والعُودِ

قال النوفليّ : فلمّا طالت أيّام بشّار على باب يعقوب دخل عليه ، وكان من عادة بشّار إذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشماله ويُصفّق بإحدى يديه على الأُخرى ، ففعل ذلك وأنشد[1] : [من الكامل]

يعقوبُ قـد ورد العُفـاةُ عشيّةً مُتعرّضـين لسَيبـك المُنتابِ
فسقَيتَهـم وحسِبتَنـي كَمّونـةً نَبتـت لزارعهـا بغيـر شرابِ
مَهـلاً لديـك فإنّنـي رَيحانـة فاشمُمْ بأنفك واسقِهـا بذِنابِ[2]
طـال الثـواءُ على تنظُّرِ حاجـةٍ شَمِطتْ لديك فمن لها بخِضابِ[3]
تُعطِي الغزيـرةُ دَرَّهـا فإذا أبتْ كانـت مَلامتُهـا على الحُلاّبِ[4]

يقول ليعقوب : أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قبَلها ، إنّما هو من منع الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس من قبَله لسَعَة معروفه ، إنّما هو من قِبَل السبب إليه . قال : فلم يعطِفْ ذلك يعقوبَ عليه وحرَمه ، فانصرف إلى البصرة مُغضَبا . فلمّا قدِم المهديُّ البصرة أعطى عطايا كثيرةً ووصَل الشعراء ، وذلك كلُّه على يديْ يعقوب ، فلم يُعط بشّاراً شيئاً من ذلك ، فجاء بَشّار إلى حَلقة يونسَ

1 ديوان بشّار : 38–39 .
2 ذناب : جمع ذنوب وهو الدلو الملأى .
3 فمن في ل : فمر .
4 الغزيرة : الكثيرة الدرّ .

النَّحْوي فقال : هل هاهنا أحد يُحْتَشم ؟ قالوا له : لا ؛ فأنشأ بيتاً يَهْجو فيه المهديّ ، فسعى به أهلُ الحلقة إلى يعقوب ؛ فقال يونس للمهديّ : إنّ بشّاراً زِنْديق وقامت عليه البيّنة عندي بذلك ، وقد هجا أمير المؤمنين ، فأمر ابنَ نَهيك بأخذه ، وأَزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه في زَورق .

[وفاة بشّار]

فلمّا كانوا بالبَطِيحة ذكرَه المهديّ فأرسل إلى ابن نَهيك يأمُره أن يضرب بشّاراً ضربَ التلف ويُلقيه بالبطيحة ، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلاّدين أن يضربوه ضرباً يُتلفون فيه نفسَه ففعلوا ذلك ، فجعل يَسترجع ؛ فقال بعض من حضر : أمَا تراه لا يحمد الله ؟ فقال بشّار : أنعمةٌ هي فأحمدَ الله عليها ؟ إنّما هي بليّة أسترجع عليها ، فضُرب سبعين سوطاً مات منها وأُلقيَ في البطيحة .

قال يحيى بن عليّ فحكى قَعنب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : لمّا ضُرب بشّار بالسياط وطُرح في السفينة قال : ليت عينَ أبي الشّمقمق رأتني حين يقول : [من مجزوء الرمل]

إنّ بشّارَ بنَ بردٍ تيسٌ أعمى في سفينَهْ[1]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وحبيب بن نصر المُهَلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَة قال : أمر المهديّ عبد الجبّار صاحب الزنادقة فضرب بشّاراً ، فما بقي بالبصرة شريفٌ إلاّ بعث إليه بالفَرْش والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته وقد ناهز ستّينَ سنة .

قال عمر بن شبّة حدّثني سالم بن عليّ ، قال : كنّا عند يونس فنعى بشّاراً إلينا ناعٍ ، فأنكر يونُس ذلك وقال : لم يمتْ ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبرَه ؛ فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وحلَف له حتى رضيَ ، فقال يونس : «لِليدين ولِلفم»[2] .

قال أبو زيد وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عَوْن بن بَشير ، وكان يُتّهَم بمذهب بشّار ، فقال : لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثّته بالبطيحة في موضع يُعرَف بالخَرّارة ، فحمله الماء فأخرجه إلى دِجلة البصرةِ فأُخِذ فأُتِي به أهلُه فدفنوه ، قال وكان كثيراً ما ينشدني[3] : [من مجزوء الرمل]

---

1 قال الجاحظ : تقول العرب : «ما هو إلاّ تيس في سفينة» إذا أرادوا الغباوة و«ما هو إلاّ تيس» إذا أرادوا به نتن الريح (الحيوان 2 : 150 تحقيق عبد السلام هارون) .

2 هذا مثل في الشماتة (الميداني رقم 3465 وفصل المقالي : 98) .

3 ديوان بشّار : 201 .

سَتَرى حولَ سَريري حُسَّرا يَلْطِمن لَطما
يا قَتِيلا قتلَتْه عبدةُ الحوراءُ ظلما

قال : وأُخرِجَتْ جنازته فما تبِعها أحدٌ إلاّ أَمَةٌ له سوداء سِنديّة عَجماء ما تُفصح ، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : واسيّداه ! واسيّداه !

[شماتة الناس بموته]

قال أبو زيد وحدّثني سالم بن عليّ قال : لمّا مات بشّار ونُعِيَ إلى أهل البَصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمِدوا الله وتصدّقوا ، لمّا كانوا مُنوا به من لسانه .

وقال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بشّار : [من المنسرح]

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يَبكِهِ أحدٌ أَجَلْ ولم يَفتقِدْه مُفتقِدُ
لا أمٌّ أولاده بكتْه ولم يَبْكِ عليه لفُرقةٍ وَلَدُ
ولا ابنُ أختٍ بكى ولا ابنُ أخٍ ولا حَميمٌ رقَت له كبِدُ
بل زعموا أنّ أهلَه فرَحاً لمّا أتاهم نَعِيُّه سَجَدوا

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من السريع]

قد تبِع الأعمى قَفا عَجْرَدٍ فأصبحا جارَين في دارِ
قالت بِقاعُ الأرضِ لا مَرحباً بِرُوحِ حمّادٍ وبشّارِ
تَجاورَا بعد تَنائيهما ما أبغَضَ الجارَ إلى الجارِ
صارا جميعاً في يَدي مالكٍ في النّار والكافرُ في النارِ

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمّد عن أحمد بن خَلاّد عن أبيه قال : مات بشّار سنة ثمان وستّين ومائة وقد بلغ نَيِّفاً وسبعين سنة .

[ندم المهديّ على قتله]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال : لمّا ضرب المهديّ بشّاراً بعث إلى منزله من يُفتّشه ، وكان يُتّهم بالزندقة فوُجد في منزله طومار[1] فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّي أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرتُ قرابتهم من رسول الله ﷺ فأمسكت عنهم إجلالاً له ﷺ ، على أنّي قد قلتُ فيهم[2] : [من البسيط]

---

1 طومار : صحيفة .

2 ديوان بشار : 53 .

دِينـــارُ آلِ سليمانٍ ودِرهَمُهم كالبابِليَّين حُفَّا بالعفـــارِيتِ
لا يُبصَران ولا يُرجَى لقاؤهما كما سمعتَ بهارُوتٍ ومارُوتِ

فلمّا قرأه المهديّ بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً ، فإنّه لمّا هجاه لفّق عندي شهوداً على أنّه زنديقٌ فقتلتُه ثمّ ندمت حين لا يُغني الندم .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون قال : لمّا نزل المهديُّ البصرة كان معه حَمْدُويَه صاحب الزنادقة فدفع إليه بشّاراً وقال : اضربْه ضربَ التلف ، فضربه ثلاثة عشر سوطاً ، فكان كلّما ضربه سوطاً قال له : أوجعتَني ويلك ؛ فقال : يا زنديق ، أتُضرَب ولا تقول : باسم الله ؟ قال : ويلك ! أثَريدٌ هو فأسمّي الله عليه !! قال : ومات من ذلك الضّرب .

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكرت في عدّة مواضع : منها أخباره مع عبدة فإنّها أُفردت في بعض شعره فيها الذي غنّى فيه المغنّون ، وأخبارُه مع حَمّاد عَجْرد في تَهاجيهما فإنّها أيضاً أُفرِدتْ ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليّ فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع ، إذ كان كلّ صِنفٍ منها مُستغنياً بنفسه حسبما شُرِط في تصدير الكتاب .

[33] ـ أخبار يزيد حوراء

[ولاؤه ، وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلي]

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة ، ويُكنى أبا خالد ، مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصّناعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصليّ ، وكان ممّن قدِم على المهديّ في خلافته فغنّاه ، وكان حسنَ الصوت حُلوَ الشمائل .

[كان إبراهيم الموصلي يحسده]

وذكر ابن خُرْداذْبِهْ أنّه بلغه أنّ إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله وإشارته في الغناء ، فاشترى عدّة جوارٍ وشاركه فيهنّ ؛ وقال له : عَلِّمهن فما رَزَق الله فيهنّ من رِبْحٍ فهو بيننا ، وأمرهنّ أن يجعلنَ وَكْدَهنّ[1] أخْذ إشارته ففعلن ذلك ، وكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ويأمرهنّ بتعليم كلٍّ من يعرفنَه ذلك حتى شهَرها في الناس ، فأبطل عليه ما كان منفرداً به من ذلك .

[كان صديقاً لأبي العتاهية وغنّى للمهدي من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعةٌ من موالي الرشيد : أنّ يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العتاهية ، فقال أبو العتاهية أبياتاً في أمر عُتْبة يتنجَّز فيها المهديّ ما وعده إيّاه من تزويجها ، فإذا وجد المهديَّ طيِّبَ النفس غنّاه بها ، وهي[2] : [من الكامل]

ولقد تَنَسّمتُ الرياحَ لحاجتي ... فإذا لها مـن راحتَيْكَ نسيمُ
أشْربتُ نفسي من رجائك ما له ... عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورَسِيمُ
ورَمَيتُ نحوَ سماءِ جَوْدِك ناظري ... أرْعَى مخايـلَ بَرْقِـهِ وأَشيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقولُ لا ، ... إنّ الذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

فصنَع فيها لحناً وتوخَّى لها وقتاً وجد المهديّ فيه طيِّبَ النفس فغنّاه بها . فدعا بأبي العتاهية وقال له : أَمّا عُتْبة فلا سبيل إليها لأنّ مولاتها مَنَعتْ من ذلك . ولكن هذه خمسون ألفَ درهم فاشتر ببعضها خيراً من عُتبة ، فحُمِلتْ إليه وانصرف .

---

1 وكد : قصد .

2 ديوان أبي العتاهية (تحقيق د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965) : 631–633 .

[كان نظيفاً ظريفاً حسن الوجه جميل الخصال]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن المرزبان قال حدّثنا شَيبة بن هشام عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شَكِلاً[1] ، لم يَقدَم علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها في أحد منهم إلاّ رأيتَها فيه ، وكان يتعصّب لإبراهيم الموصليّ على ابن جامع ، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكره بالجميل وينبّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبعث بابنه إسحاق إليه يأخذ عنه .

[رثاه صديقه أبو مالك حين مات]

وكان صديقاً لأبي مالكٍ الأعرج التَّميميّ لا يكاد أن يفارقه ، فمرِض مرضاً شديداً واحتُضر ، فاغتمّ عليه الرشيد وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه ، ثم مات ؛ فقال أبو مالك يرثيه : [من الخفيف]

صوت

لم يُمَتَّعْ مــن الشبابِ يزيدُ   صار في التُّرْبِ وهو غَضٌّ جديدُ
خانَــه دهــرُه وقابَلَــه منــ   ـــهُ بنَحْسٍ ودابَرَتْــهُ السُّعودُ
حين زُفَّتْ دُنْياه من كل وجهٍ   وتَدانـــى إليــه منــه البعيدُ
فكأنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْـ   ـــجُ نَدِيمــاً يَهُــزُّه التّغريدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبنصر ، من نسخة عمرو بن بانة .

[توسّط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهديّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن أبي يوسف قال حدّثني الحسين بن جُمهور بن زِياد بن طرخان مولى المنصور قال حدّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارية الدُّؤليّ قال حدّثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدّثني يزيد حوراء المغنّي قال : كلّمني أبو العتاهية في أن أُكلّم له المهديّ في عُتبة ، فقلت له : إنّ الكلام لا يمكنني ولكن قل شعراً أُغَنِّه به ، فقال[2] : [من البسيط]

صوت

نفسي بشيءٍ من الدنيا مُعَلَّقةٌ   اللهُ والقائـمُ المهـديُّ يَكْفِيها
إنّي لأيأسُ منهـا ثم يُطْمِعُني   فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

---

1 شكلا : ذا دلّ وغزل .

2 ديوان أبي العتاهية : 668 .

قال : فعمِلتُ فيه لحناً وغنّيته به ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ، فقال : ننظُر فيما سأل ، فأخبرتُ أبا العتاهية ، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال : هل حدث خبر ؟ فقلت : لا ، قال : فاذكرني للمهديّ ، قلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه وتُذكّره وعدَه حتى أُغنّيَه به ، فقال[1] : [من الخفيف]

صوت

ليتَ شعرِي ما عندكم ليتَ شعري ... فلقــد أُخِّــرَ الجــوابُ لأمــرِ

مــا جــوابٌ أوْلى بكــلّ جميلٍ ... من جــواب يُــرَدُّ من بعـد شهرِ

قال يزيد : فغنّيت به المهديّ فقال : عَلَيَّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ ، فقال : إنّ أبا العتاهية كلّمني فيكِ ، فما تقولين ، ولك وله عندي ما تُحِبّان ممّا لا تبلغُه أمانيكما ؟ فقالت له : قد عَلِم أمير المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حقّ مولاتي ، وأُريد أن أذكُرَ لها هذا ، قال : فافعلي ؛ قال : وأعلمتُ أبا العتاهية ، ومضتْ أيّامٌ فسألني معاودَةَ المهديّ ، فقلت : قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أغنّيَه به ، فقال[2] : [من الكامل]

صوت

أَشْربتُ قلبي من رجائك ما له ... عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورسيمُ

وأَمَلتُ نحوَ سماء جَودِك ناظري ... أرعَى مَخايِــلَ بَرْقِها وأُشيمُ

ولربّما استيأستُ ثم أقول لا ... إنّ الذي وعَدَ النجاحَ كريمُ

قال يزيد : فغنّيته المهديّ ، فقال : عَليَّ بعُتْبة فجاءت ، فقال : ما صنعتِ ؟

فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتي فكرِهتْه وأبَتْه ، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنتُ لأفعلَ شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال[3] : [من الكامل]

قَطّعْتُ منكِ حبائــلَ الآمــالِ ... وأَرحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ

ما كان أشأمَ إذ رجاؤكِ قاتلي ... وبناتُ وَعْـدِكِ يَعْتلِجن ببالي

ولئن طَمِعتُ لَرُبَّ بَرْقةِ خُلّبٍ ... مالتْ بذي طَمَع ولمعــةِ آلِ

[مغازلته لجارية]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال يزيد حوراء :

---

1 ديوان أبي العتاهية : 547 .

2 ديوان أبي العتاهية : 633 .

3 ديوان أبي العتاهية : 281 .

كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، فكانت تمرّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء ، تتعلّم منها الغِناء ، فقلت لها يوماً : افهَمِي قولي ورُدِّي جوابي وكوني عند ظنِّي ، فقالت : هاتِ ما عندك ، فقلت : باللّه ما اسمك ؟ فقالت : ممنّعة ؛ فأطرقتُ طِيَرَةً من اسمها مع طَمَعي فيها ، فقلت : بل باذلة أو مبذولة إن شاء اللّه ، فاسمعي منّي ، فقالت وهي تتبسّم : إن كان عندك شيءٌ فقُل ، فقلت : [من الطويل]

لِيَهْنِكِ منّي أنّني لستُ مُفْشِياً هواكِ إلى غيري ولو مِتُّ من كَرْبِ
ولا مانحاً خَلْقاً سواكِ مودّتي ولا قائلاً ما عشتُ من حبّكم حَسْبي

قال : فنظرتْ إليّ طويلاً ، ثم قالت : أَنشُدُك اللّه ، أعن فَرْطِ محبّة أم اهتياج غُلمة تكلّمت ؟ فقلت : لا واللّه ولكن عن فَرْط محبّة ، فقالت : [من الطويل]

فواللّهِ ربِّ الناس لا خُنتُكَ الهَوى ولا زلتَ مخصوصَ المحبَّة من قلبي
فثِقْ بي فإنّي قد وَثِقْتُ ولا تكنْ على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أخا الحُبِّ

قال : فواللّه لكأنّما أضرمتْ في قلبي ناراً ، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلُكُه فتحدّثني وأتفرّج بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تُكاتبني وتُلاطفني دهراً طويلاً .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

يا ليلةً جمعتْ لنا الأحبابا لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا
بِتنا نُسَقَّاها شَمولاً قَرْقَفاً تدَعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتارةً عند المِزاج تخالها زِريابا
من كفِّ جاريةٍ كأنّ بَنانَها من فِضّةٍ قد قُمِّعَتْ عُنّابا
وكأنّ يُمناها إذا نقَرتْ بها تُلقي على الكفِّ الشِّمال حِسابا

عروضه من الكامل ، الشعر لعُكّاشة العَمِّيّ ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف ، ولحنه المختار هَزَجٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوُسطى .

[34] ـ أخبار عُكَّاشة العمّيّ ونسبه[1]

[نسبه وأصل قومه]

هو عُكَّاشة بن عبد الصَّمَد العَمِّيّ من أهل البصرة من بني العمّ . وأصلُ بني العمّ كالمدفوع ، يقال : إنّهم نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم ، فقال الناس : أنتم ، وإن لم تكونوا من العرب ، إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصار والإخوانُ وبنو العمِّ ، فلُقِّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب .

[هجا كعب بن معدان بني ناجية وشبّههم ببني العمّ]

وقال بعض الشعراء ، وهو كعب بن مَعْدان ، يهجو بني ناجية ويشبِّههم ببني العمِّ : [من الوافر]

وجدنا آلَ سامةَ في قُريشٍ كمثل العمِّ بين بني تميمِ

ويروى : «في سَلَفَيْ تميم» .

[أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة قال : لمّا تواقف جرير والفرزدق بالمِربد للهجاء اقتتلت بنو يربوع وبنو مُجاشع ، فأمدّت بنو العمّ بني مُجاشع وجاؤوهم وفي أيديهم الخشب فطردوا بني يربوع ؛ فقال جرير : مَن هؤلاء ؟ قالوا : بنو العمّ ، فقال جرير يهجوهم : [من البسيط]

ما للفرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به إلاّ بني العمِّ في أيديهمُ الخشَبُ

سيروا بني العمِّ فالأهواز داركُمُ ونهرُ تِيرى ولم تعرفْكم العَربُ

وعُكّاشة شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسية ، ليس ممّن شُهِر وشاع شعره[2] في أيدي الناس ولا ممّن خدَم الخلفاء ومدحهم .

[ذكر لصديقه حميد الكاتب حبّه لنعيم وشعره فيها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني سعيد بن حُمَيد الكاتب البصريّ قال قال أبي : كان عُكّاشة بن

---

1 عكّاشة العمّي : بتشديد الكاف وتخفيفها ، له ترجمة في السمط : 526–527 وفوات الوفيات (تحقيق إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت) 2 : 455–457 وذكر أنّه توفّي بعد المائتين والزركشي : 209 وأعلام الزركلي .

2 ل : ذكره .

عبد الصَّمد العمِّيّ صديقاً لي وإلفاً ، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتُم أحدنا صاحبه شيئاً ، فرأيته في بعض أيّامه متغير الهيئة عمّا عهدته مقسَّمَ القلب والفكر غير آخذٍ ما كنَّا فيه من الفُكاهة والمُزاح ، فسألته عن حاله فكاتَمَنِيها مَلِيّاً ، ثم أخبرني أنّه يهوى جاريةً لبعض الهاشميين يقال لها نُعَيْم ، وأنّ مَرامَها عليه مستصعِبٌ لا يراها إلاّ من جَناحٍ لدارهم ، تُشرِفُ عليه في الفَيْئة[1] بعد الفَيْئة فتكلّمه كلاماً يسيراً ثم تذهب ، فعاتبتُه على ذلك فلم يَزْدجِرْ وتمادى في أمره ، ثم جاءني يوماً ، فقال : قد وعدَتْني الزيارة لأنّ شكواي إليها طالت ، فقلت له : فهل حقَّقَتْ لك الموعدَ على يومٍ بعينه ؟ قال : لا ، إنّما سألْتُها الزيارة فقالت : نعم أفعل ، فقلت له : هذا والله أعجبُ من سائرِ ما مضى ، وأيُّ شيءٍ لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلٍ وعدٍ ؟ فقال لي : يا أخي ، إنّ لي في قولها : «نعم» فرجاً كبيراً ، فقلتُ : أنت أقنعُ الناس ؛ ثم جاءني بعد يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ ، فقلت له : ما لك ؟ فقال : مضيتُ إلى نُعَيْم فتنجَّزتُ وعدَها ، فقالت لي : إنّ لي صاحبةً أستنصِحُها وأعلمُ أنّها تُشفقُ عليَّ شفقة الأختِ على أختها والأمِّ على ولدِها وقد نهَتني عن ذلك ، وقالت لي : إنّ في الرجال غَدراً ومكراً ، ولا آمنُ أن تفتضحي ثم لا تَحصُلي منه على شيء ؛ وقد انقطعتْ عنّي ثم أنشدني لنفسه : [من المنسرح]

عـلامَ حبـلُ الصفاء منصرمُ ... وفيمَ عنّـي الصدودُ والصَّمَمُ
يا مـن كَنَيْنا عن اسمه زمناً ... نتبـعُ مرضاتَـهُ ويجتـرمُ
قـد عِيلَ صبري وأنتِ لاهيـةٌ ... عنّي وقلبـي عليـكِ يَضْطَرِمُ
مَنْ جَـذَّ حبلَ الوفـاءِ سيِّدتي ... منكِ ومن سامني لـه العَدَمُ
فكـم أتـاني واشٍ يعيبكُـمُ ... فقلتُ اخسَأْ لأنفِـك الرَّغَمُ
أنتَ الفِدا والحِمَى لمن عِبتَ فار ... جعْ صاغِراً راغماً لك الندَمُ

صوت

[من المنسرح]

يا ربِّ خُذْ لي من الوُشاة إذا ... قامـوا وقُمنـا إليكَ نختصِمُ
دَبُّـوا إليهـا يُوَسوسون لهـا ... كي يستزلُّوا حبيبتـي زَعموا
هيهاتَ مِنْ ذاك ضَلَّ سعيُهُم ... مـا قلبهـا المستعـارُ يُقتَسَمُ

1 الفيئة : بمعنى الفينة .

يــا حاسدينا موتوا بغيظِكُمُ   حَبْــلي متــينٌ بقولهــا نَعَــمُ
بــاللهِ لا تُشْمتي العُــداةَ بنــا   كونِــي كقلبــي فلستُ أتّهمُ

الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رمل . وقيل : إنّه لغيرها .

[زارته نُعَيْم وغنّته ثم ذهبت]

قال : ثم طال تَرداده إليها واستصلاحه لها ، فلم ألبَثْ أن جاءتني رُقعتُه في يومِ خميسٍ يُعلِمني أنّها قد حصَلتْ عنده ويستدعيني فحضرتُ ، وتوارتْ عنّي ساعةً وهو يُخبِرُها أنّه لا فرق بيني وبينه ولا يحتشمني في حالٍ ألبتّة إلى أن خرجتْ ، فاجتمعنا وشربنا وغنّت غناءً حسناً إلى وقت العصر ثم انصرفت ، وأخذ دواةً ورُقعة فكتب فيها[1] : [من الكامل]

سَقْيــاً لمجلسنا الذي كنّــا بــه   يــومَ الخميسِ جماعــةً أتْرابا
في غُرفةٍ مَطَرَت سمــاوةُ سقفِها   بَحَيــا النعيم مــن الكرومِ شَرابا
إذ نحــنُ نُسقاهــا شَمولا قَرْقَفاً   تــدَعُ الصحيــحَ بعقلــه مُرتابا
حمراء مثــل دمِ الغزالِ وتــارةً   بعــد المِــزاج تخالُـها زِرْيابا
مــن كــفّ جاريــةٍ كأنَّ بنانَها   مــن فِضّةٍ قــد قُمِّعــتْ عُنّابا
تزدادُ حسناً كأسُها مــن كفّها   ويطيــبُ منهــا نشرُهــا أحقابا
وإذا المــزاجُ عَــلا فشَجّ جبينَها   نفَثَــتْ بــألْسِنةِ المِــزاجِ حَبابا[2]
وتخالُ ما جَمَعتْ فأحدق سِمْطُه   بالطّــوقِ رِيــقَ حَبائب ورُضابا
كَفَتِ المَناصِفَ أن تَذُبَّ أكُفُّها   عنهــا إذا جعلــتْ تَفُوح ذُبابا
والعُــودُ مُتّبــعٌ غِنــاءَ خَرِيدةٍ   غَرِداً يقــولُ كما تقــول صوابا
وكأنّ يُمناها إذا نَطَقَــتْ بــه   تُلقي على يدهــا الشِّمالِ حِسابا
فهناك خَفّ بنا النعيمُ وصار من   دون الثقيــلِ لنــا عليــه حِجابا
آلَيتُ لا ألْحَى على طلب الهوى   مُتَلَــذِّذًا حتــى أكــونَ تُرابا

[اشترى نعيم بغداديّ وسافر بها]

قال : ثم قدِمَ قادم من أهل بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورحل إلى بغداد ، فعَظُم أسَفُ عُكّاشة وحزنُه عليها واستُهيم بها طول عمره ، فاستحالت صورتُه وطبعُه وخُلُقُه إلى أن فرّق الدهر بيننا ، فكان أكثر وَكده وشُغْله أن يقول فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكي ؛ قال

---

1 الأبيات من الثالث إلى الحادي عشر في الفوات 2 : 457 .

2 نفثت في ل : نفشت .

حُميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك[1] : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل يعودنّ ما مضى ... وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحَبْلِ
وهل أجلسنْ في مثل مجلِسنا الذي ... نَعِمْنا بـه يـومَ السعادة بالوصلِ
عشيّةَ صبّتْ لـذّةُ الوصل طِيبَها ... علينا وأفنانُ الجِنانِ جَنى البَذْلِ[2]
وقـد دار ساقينـا بكأسٍ رَوِيّـةٍ ... تُرَحِّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقلِ
وشَجٌّ شَمُولاً بالمِـزاج فطيَّرت ... كألسنة الحَيّات خافتْ من القتلِ[3]
فبِتْنا وعـينُ الكأسِ سَحٌّ دموعُها ... لِكلِّ فتًى يهتزّ للمجـدِ كالنَّصْلِ
وقَيْنَتُنا كالظبـي تسمَحُ بالهوى ... وبَـثٌّ تَبارِيحِ الفـؤادِ على رِسْلِ
إذا ما حَكّتْ بالعُودِ رَجْعَ لسانِها ... رأيتَ لسانَ العودِ من كَفِّها يُمْلِي
فلـم أَرَ كاللذّات أمطرتِ الهَوى ... ولا مثلَ يومي ذاك صادفَه مِثْلِي

ومما قاله فيها[4] : [من الكامل]

أَنُعَيم حبُّـكِ سَلَّني وبَـلاني ... وإلى الأَمرِّ مـن الأمـورِ دعاني
أَنُعَيم لو تَجِدينَ وَجْدِي والذي ... أَلْقى بَكَيتِ مـن الذي أبكاني
أَنُعَيم سيّدتي عليـكِ تَقَطَّعتْ ... نفسي مـن الحَسَراتِ والأحزانِ
أَنُعَيم قـد رَحِم الهوى قلبي وقد ... بكتِ الثيابُ أَسًى على جُثْماني
أَنُعَيم وانحـدرتْ مدامعُ مقلتي ... حتّـى رَحِمـتُ لرحمتي إخواني
أَنُعَيم مَثَّلَـك الهُيـامُ لمقلتي ... فكأنّنـي أَلقـاكِ كلَّ مكانِ
أَنُعَيم نظرةُ سحرِ عينِك بالهوى ... معروفـةٌ بالقتـلِ في إنسانِ
أَنُعَيمٌ اشفي أو دَعـي مَنْ داؤه ... ودواؤه بيديـكِ مُقترنـانِ
هـذا وكم من مجلسٍ لي مُونِقٍ ... بـين النعيـمِ وبـين عيشٍ داني
نازعتُـه أردانَـه فلَبستُهـا ... مـع ظَبْيـةٍ في عيشنا الفَيْنانِ
تُنْسي الحليمَ مـن الرجال مَعادَه ... بـين الغِناء وعُودِهـا الحَنّانِ

---

1 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة من أوّلها .
2 الفوات : جنى النحل .
3 الفوات : وشجت شمول .
4 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة ابتداء من البيت التاسع .

حتى يعودَ كأنّ حَبَّةَ قلبه ... مشدودةٌ بمَثالِثٍ ومَثاني
ظَلّت تُغَنّيني وتَعْطِفُ كفُّها ... بالعُودِ بين الرّاحِ والرَّيحانِ
فسمِعتُ ما أبكى وأضْحكَ سامعاً ... وسكِرتُ من طَرَبٍ ومن أشجانِ
ومَشَيتُ في لُجَجِ الهوى مُتَبختراً ... ومشى إليّ اللهوُ في الألوانِ
فعلمتُ أنْ قد عاد قلبي عائدٌ ... من بينِ عُودٍ مُطربٍ وبَنانِ

وممّا قاله أيضاً فيها : [من الوافر]

نُعَيْمٌ هل بَكَيتِ كما بَكَيتُ ... وهل بعدي وَفَيتِ كما وَفَيتُ
ألا يا ليت شِعري كيف بَعدي اصـ ... ـطبارُكِ إذ نَأَيتِ وإذ نأيتُ
فكم من عَبْرةٍ ذَرَفتْ فلمّا ... خَشِيتُ عيونَ أهلي واستحَيتُ
نَهَضتُ بها مُكاتَمَةً فلمّا ... خلوتُ ذَرَفْتُها حتّى اشتفيتُ
وقلتُ لصُحْبتي لّما رَماني ... هواكِ بدائه حتى انطويتُ
أراني من همومِ النفسِ مَيْتاً ... ولم أرَ في نُعَيمٍ ما نَوَيتُ
فليتَ الموتَ عَجّل قبضَ رُوحي ... جِهاراً فاسترحتُ وأين ليتُ

وقال أيضاً في فراقه إيّاها : [من الكامل]

أنُعَيْمُ في قلبي عليك شَرارُ ... وعلى الفؤادِ من الصَّبابةِ نارُ
وعلى الجفونِ غِشاوةٌ وعلى الهَوى ... داعٍ دعَتْه لِحَيْنيَ الأقدارُ
بِمُضلّةٍ لُبَّ الحليم إذا رَمتْ ... بالمقلتين كأنّها سَحّارُ
طالبتُها حَوْلَيْنِ لا لَيْلي بها ... ليلٌ ولا هذا النهارُ نهارُ
حتى إذا ظَفِرَتْ يدايَ بكاعِبٍ ... كالشمسِ تَقْصُر دونها الأبصارُ
وثَلِجتُ صدراً بالفتاةِ وصارتا ... كالنفسِ نفسانا وقَرّ قَرارُ
بلغَ الشقاءُ أشدَّ ما يَسطِيعُهُ ... فينا وفَرّقَ بيننا المِقْدارُ

وممّا يُغَنّى فيه من شعر عُكّاشة الذي قاله في هذه الجارية :

صوت

[من مجزوء الكامل]

لَهْفِي على الزمنِ الذي ... وَلّى ببهجته القصيرِ
قد كان يُؤْنقني الهوى ... ويُقِرّ عيني بالسرورِ

إذ نحــنُ خُلاّنُ الهوى رَيْحانُنــا عَبِــقُ العبيرِ
وغناؤنا وصفُ الهــوى نلتــذّ بالحـــبِّ اليسيرِ

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته . وفيه لأبي العَنْبس بن حمدون خفيف رمل . وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

وجـهُ التواصُـل بيننـا في الحسنِ كالقمرِ المنيرِ
إيماؤنا يَحكـي الكلا مَ وسِرُّنا فَطَـنُ المشيرِ
وحديثُنــا بحواجـــبٍ نطقتْ بألسنةِ الضَّميرِ
بل رُسْلنا الكُتُبُ التي تَجري بخافيةِ الصُّدورِ

[أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حدّه]

حدّثني الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثنا أبو مُسلمٍ عن المدائنيّ قال : أنشد عُكّاشة بن عبد الصمد المهديّ قوله في الخمر : [من الكامل]

حمراء مِثلَ دمِ الغـزالِ وتارةً عنــدَ المِــزاجِ تَخالُها زِرْيابا

فقال له المهديّ : لقد أحسنت في وصفها إحسان مَنْ قد شربها ، ولقد استحققتَ بذلك الحدَّ ، فقال : أيؤمِّنني أمير المؤمنين حتى أتكلّم بحجّتي ؟ قال : قد أمّنتُك ، قال : وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال له المهديّ : اعزُبْ قبّحك الله .

[وقع له مثل ذلك مع الهادي]

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله : [من الطويل]

كأنّ فُضولَ الكأسِ من زَبَداتها خَلاخِلُ شُدّتْ بالجُمانِ إلى حَجْلِ[1]

فقال له موسى : والله لأجلِدنَّك حدّ الخمر ، قال : ولِمَ يا أمير المؤمنين ؟ إنّما نقول ولا نفعل ، فقال : كذبتَ ، قد وصفْتَها صفة عالمٍ بها ، قال : فاجعل لي الأمان حتى أتكلّم بحُجّتي ، قال : تكلّم وأنت آمِنٌ ، قال : أجَدتُ وصفَها أم لم أُجِدْ ؟ قال : بلى قد أجدتَ ، قال : وما يُدريك أنّي أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها ؟ إن كنتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شرِكتَني في ذلك بطبعك ، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلاّ بالتجربة فقد شركتَني أيضاً فيها ؛ فضحك موسى وقال له : قد نجوتَ بحيلتك منّي ، قاتلك الله فما أدهاك !

---

1 زبدات : جمع زبدة وهي الطائفة من الزبد الذي يطفو على الماء والشراب .

[ما غنّي فيه من شعره]

وممّا وجَدْتُ فيه غناءً من شعر عُكّاشة قوله : [من الطويل]

صوت

وجــاؤوا إليــه بالتّعاويذِ والرُّقَى وصَبّوا عليه الماءَ من شدّةِ النُّكْسِ[1]

وقالوا بــه من أعين الجنّ نَظرةٌ ولو صدَقوا قالوا بــه أعينُ الإنسِ

الغناء لعَريبَ . ومنها : [من الكامل]

صوت

طَرفي يذوبُ وماءُ طَرفِكِ جامدُ وعــليَّ مــن سِيما هواكِ شواهدُ

هذا هــواكِ قسَمتِه بين الورى ومنحتني أرَقــاً وطَرفُكِ راقدُ

فعليّ منــه اليــومَ تسعةُ أسهُمٍ وعلى جميــعَ النّاسِ سهمٌ واحدُ

الغناء لجَحظة ؛ ومنها : [من مجزوء الكامل]

غــادِ الهــوى بالكأس بــردا وأطِــعْ إمــارةَ مــن تَبدّى

ومنها : [من البسيط]

كما اشتهتْ خُلقتْ حتى إذا اعتدلتْ تمّت قَواماً فــلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها : [من البسيط]

وزَعفرانيّة في اللّــونِ تحسَبُها إذا تأمّلتَهــا في جِسم كافُورِ

تخال أنّ سَقيطَ الطَّلّ بينَهما دمــعٌ تحيّر في أجفانِ مَهْجُورِ

1 النكس : معاودة المرض . وهذان البيتان في الفوات 2 : 456 .

[35] ـ أخبار عبد الرحيم الدفّاف ونسبه

[نسبه]

عبد الرحيم بن الفَضل الكوفيّ ، ويُكنى أبا القاسم ، وقيل : هو عبد الرحيم بن سعد ، وقيل : عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد ، مولًى لآل الأشعث بن قيس ، وقيل : بل هو مولى خُزاعة .

[سمعه حمّاد الراوية يغنّي]

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ حمّاداً الراوية حدّثه قال : رأيتُ عبد الرَّحيم الدفَّاف أيّام هارون الرشيد بالرَّقّة وقد ظَهَرْتُ ، فحضَرني وسمعته يغنّي يومئذٍ صوتاً سئل عنه فذكر أنّه من صنعته ، وهو : [من الطويل]

فَديتُكِ لو تَدْرِينَ كيف أحِبّكم وكيف إذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

[كان منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ]

وكان عبد الرحيم منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ المعروف بأمّه رَيْطة بنت أبي العبّاس .

[غنّى في شعر عرّض فيه بالرشيد فجلده]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : غنّت جاريةٌ يوماً بحضرة الرشيد : [من المنسرح]

قُل لعليّ أيا فتى العربِ وخيرَ نامٍ وخيرَ مُكتسِبِ
أعلاكَ جَدّاكَ يا عليُّ إذا قصّر جَدٌّ عن ذروةِ الحسبِ

فأمر بضرب عنقها ، فقالت : يا سيّدي ما ذنبي ! هذا صوت عُلّمْتُه ، والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل ؛ فعلم أنّها صدقت ، فقال لها : عمّن أخذته ؟ فقالت : عن عبد الرَّحيم الدّفّاف ، فأمر بإحضاره فأُحضِر ، فقال له : يا عاضَّ بَظْرِ أمّه ، أتغنّي في شعرٍ تُفاخِر فيه بيني وبين أخي ؟ جرِّدوه ، فجرَّدوه ، ودعا له بالسياط ، فضُرب بين يديه خمسمائة سوطٍ .

[غنّى لعليّ بن المهديّ فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن القَطِرانيّ عن محمد بن جبر قال : قال لي عبد الرَّحيم بن القاسم الدفّاف : دخلتُ على عليّ بن رَيطة يوماً وسِتارتُه منصوبة ، فغنّت جاريته[1] : [من الطويل]

1 ديوان العباس بن الأحنف (تحقيق عاتكة الخزرجيّ) : 230 .

أُنــاسٌ أمِنّاهــم فنَمّوا حديثَنا فلمّا كتَمنا السرَّ عنهم تَقَوَّلوا

فقلت : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفي تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ ، أيَّ شيء لي عليك ؟ قال : خِلعتي التي عليّ ، فغنّيته : [من الطويل]

فلم يحفَظوا الوُدّ الذي كان بيننا ولا حينَ هَمّوا بالقَطيعة أجملوا

قال : فنزع خِلْعتَه فخلَعها عليّ ، وأقمتُ عنده بقيّة يومي على عربدةٍ كانت فيه .

الشعر لعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعبد الرَّحيم الدّفّاف هزج بالبنصر . وهذا أخذه العبّاس من قول أبي دَهْبَل[1] : [من الطويل]

صوت

أمِنّــا أُناساً كنــتِ تأتمِنينهم فزادوا علينا في الحديثِ وأَوْهَمُوا

وقالوا لهــا ما لم نقل ثمّ أكثروا عليّ وباحــوا بالذي كنتُ أكتمُ

وفي هذين البيتين أغانٍ قديمة : منها لحنٌ لابن سُريج رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن زرزور الطائفيّ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيف رمل بالبنصر والوسطى لمتيَّمَ وعَرِيبَ .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

بَكَرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فتمتّعي وغدتْ غُدُوَّ مُفارقٍ لم يَرْبَعِ

وتَعَرّضتْ لكَ فاستبتكَ بواضح صَلْتٍ كمُنْتَصٍ الغزالِ الأتلعِ

عَروضه من الكامل ، والشعر للحادِرة الثَّعْلَبيّ ، والغناء في اللحن المختار لسعيد بن مِسْجَحٍ ، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن مُحْرِز . وفيهما للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو . وفيهما خفيف رملٍ بالوسطى لابن سريج عن حبش .

ومّما يُغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الكامل]

أسُمَيّ ما يُدريكِ كم من فِتْية بادرتُ لَذّتَهم بأدكَنَ مُتْرَعِ[2]

---

1 ديوان أبي دهبل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن) : 112 .

2 بادرتُ في ل : باكرت .

بَكَروا عليّ بسُحْرة فصَبَحتُهم　　　من عاتقٍ كدَمِ الذبيحِ مُشَعْشَعِ

غنّاه مالك ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ آخر أيضاً . وفيهما لعَلُّويَهْ ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيِّد صنعته . قوله : فتمتّعي يخاطب نفسه ، أي تمتّعي منها قبل فِراقها . ولم يربَع : لم يُقِم . والواضح الصَّلْت : يعني عُنُقَها ، وأصل الصلت : الماضي ، ومنه الناقة المِصْلاتُ : الماضية ، وشَدّ عليه بالسيف صَلْتاً أي خارجاً من غِمْده . والصلت في هذا الشعر : الطويل الذي لا قِصَرَ فيه . والمنتصّ : المنتصب ، يقال : انتصّ فلان أي انتصب ، ومِنَصّة العروس مأخوذةٌ من هذا ، ومنه نَصَّ الحديث : رَفَعه إلى صاحبه . واستبتْك : غلبتْك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مُترَع يعني الزِّقَّ . والمشعشَع : المُرَقْرَق بالماء .

[36] ـ أخبار الحادرة ونسبه[1]

[نسبه]

الحادرة لَقب غلَب عليه ، والحُوَيدِرة أيضاً ؛ واسمه قُطبة بن أَوس بن مِحصَن بن جَرْوَل بن حبيب بن عبد العُزّى بن خُزيمة بن رِزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار ، شاعرٌ جاهليّ مُقِلٌّ . أخبرني بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه . قال : وإنّما سُمِّي الحادرة بقول زَبّان بن سَيّار الفَزاريّ له : [من المتقارب]

كأنّك حادرةُ المَنْكِبيْـ ـنِ رَصْعاءُ تُنقِضُ في حائرِ[2]
عجوزٌ ضَفادِعَ محجوبةٌ يَطِيفُ بها وِلْدةُ الحاضرِ

قال : والحادرة : الضخم .

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ أن الحادرة خرج هو وزبّان الفزاريّ يصطادان فاصطادا جميعاً ، فخرج زَبّان يشتوي ويأكل في الليل وحده ؛ فقال الحادرة : [من الوافر]

تركتَ رفيقَ رَحْلِكَ قد تراه وأنت لِفِيكَ في الظّلْماء هادِي

فحقَدها عليه زبّان ، ثم أتيا غديراً فتجرّد الحادرة ، وكان ضخمَ المنكبين أرسح ، فقال زَبّان : [من المتقارب]

كأنّك حادرةُ المنكِبَيْـ ـنِ رصعاء تُنْقِض في حائرِ

فقال له الحادرة[3] : [من المتقارب]

لَحَا اللهُ زَبّانَ من شاعرٍ أخي خَنْعةٍ فاجرٍ غادرِ[4]

---

1 انظر مقدّمة ديوانه (تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، 1973) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام (تحقيق العلاّمة محمود محمد شاكر) 1 : 186 ، وانظر المفضلية السابقة في شرح التبريزي وفي المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) .

2 تنقض في حائر : تنق في مجتمع الماء . والرصعاء : الرسحاء الخفيفة العجز والفخذين .

3 ديوان الحادرة : 97 .

4 خنعة : ريبة .

كأنّــك فُقّاحــةٌ نَــوّرتْ مع الصبحِ في طَرَف الحائرِ[1]

فغَلَب هذا اللقب على الحادرة .

[كان حسّان بن ثابت معجباً بقصيدته «بكرت سمية»]

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال سمعت شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول : كان حسّان بن ثابت إذا قِيل له : تُنوشدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول : فهل أُنشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدِرة : [من الكامل]

بَكَرتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً فَتَمتّعي

قال أبو عبيدة : وهي من مختار الشعر ، أصْمَعِيَّةٌ مُفَضَّلِيَّةٌ .

[سبب الهجاء بينه وبين زبان]

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضَّل قال : كان الحادرة جاراً لرجل من بني سُلَيم ، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها إلى رجلٍ من أهل وادي القُرى يهوديٍّ ، وكان له عليه دَينٌ فأعطاه إيّاها بدينه ، وكان أهل وادي القرى حُلفاء لبني ثعلبة ؛ فلمّا سمع اليهوديّ بذلك قال : سيجعل الحادرة هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه ، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نَغْدِر ، فردّ الإبل على الحادرة فردّها على جاره ، ورجع إلى زبّان فقال له : أعطِني مالي الذي عليك ، فأعطاه إيّاه زبّان ، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة ؛ فقال الحادرة فيه[2] : [من الطويل]

لعَمْرَةَ بـين الأخرمَيْنِ طلـولُ تَقادَمَ منهـا مُشْهِرٌ ومُحِيلُ[3]

وَقَفتُ بها حتى تعالى لِيَ الضُّحَى لأُخبَرَ عنهـا إنّنـي لَسَؤُولُ

يقول فيها : [من الطويل]

فإنْ تَحْسَبوها بالحِجابِ ذليلةً فما أنا يوماً إن رَكِبتُ ذليلُ[4]

سأَمنَعُهـا في عُصْبةٍ ثَعْلَبيَّـةٍ لهـم عَدَدٌ وافٍ وعِـزٌّ أَصيلُ

فإنْ شِئتمُ عُدْنا صديقاً وعُدْتُم وإمّـا أبيتم فالمُقـامُ زَحُولُ[5]

قال : ولَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه .

---

1 فقاحة : واحدة الفقاح وهو الزهر عندما يتفتح .

2 ديوان الحادرة : 100 .

3 الأخرمان : مثنّى الأخرم وهو اسم لعدّة مواضع .

4 تحسبوها في ل : تحبسوها .

5 زحول : بعيد .

[غزوة بني عامر]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ يذكر عن أبيه : أنّ جيشاً لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء : ذُؤاب بن غالب من عُقيل ثم من بني كَعب بن ربيعة ، وعبد الله بن عمرو من بني الصَّمُوت ، وعُقَيل بن مالك من بني نُمَيرٍ ، وهم يريدون غَزْو بني ثعلبة بن سعد رهطِ الحادرة ومن معهم من مُحارب ، وكانوا يومئذ معهم ، فَنَذِرَتْ بهم بنو ثعلبة ، فركب قيس بن مالك المحاربيُّ الخَصَفيّ وجُؤَيَّة بن نصر الجَرْميّ أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم ، فلمّا دَنَوَا منهم عرف عُقَيل بن مالك النميريّ جُؤَيَّة بن نَصر الجَرميّ ، فناداه : إليَّ يا جُؤَيّة بن نصر فإنّ لي خبَراً أُسِرّه إليك ؛ فقال : إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظننتَ ، فقال له : ما فعلتْ قَلوص ؟ ، يعني امرأته ؛ فقال : هي في الظُّعن أَسَرَّ ما كانت قطُّ وأجمله ؛ ثم حَمَل كلّ واحدٍ منهما على صاحبه واختلفا طَعنتين فطَعَنه جُؤَيّة طعنةً دقّت صُلبه ، وانطلق قيس بن مالك المحاربيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهُزِمت بنو نُمَير وسائرُ بني عامر ومات عُقَيل النُّميريّ وقُتِل ذؤاب بن غالب وعبد الله بن عمرو أحد بني الصَّمُوت ؛ فقال الحادرة في ذلك[1] : [من الطويل]

كأَنَّ عُقَيلاً في الضُّحى حَلَّقتْ به وطارتْ بِهِ في الجوّ عنقاءُ مُغرِبُ

ويروى : «وطارت به في اللَّوْح» ، وهو الهواء .

وذي كـرمٍ يدعوكُـمُ آلَ عامرٍ لدى مَعْـرَكٍ سِرْبالُـه يتصبَّبُ
رأت عامرٌ وقْعَ السيوف فأسلموا أخاهم ولم يعطِفْ من الخيلِ مُرهِبُ
وسلَّم لمّـا أن رأى المـوتَ عامرٌ لـه مركبٌ فـوق الأسنّةِ أَحْدَبُ
إذا مـا أظلّتْه عَـوالي رماحِنـا تدلَّـى بـه نَهْدُ الجُزارة مِنْهَبُ[2]
على صَلَوَيْـه مُرْهَفـاتٌ كأنّها قوادمُ نَسرٍ بُـزَّ عنهنّ مَنكِبُ[3]

قال : وفي هذه الوقعة يقول خِداش بن زهير : [من الطويل]

أيـا أخَوَيْنـا مـن أبينا وأُمِّنا إليكم إليكم لا سبيلَ إلى جَسْرِ

جَسْر : قبيلة من مُحارب . قال : وهذا اليوم يُعرَف بيوم شُواحطٍ ، قبيلة من محارب .

---

1 ديوان الحادرة : 92 .
2 نهد الجزارة : عظيم الأطراف . والمنهب : الفرس الفائق في العدو .
3 الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كلّ ذي أربع وما انحدر من الوركين .

[يوم الكفافة]

وقال أبو عمرو : خرج خارجة بن حِصن في جمع من بني فزارة ومن بني ثعلبة بن سعد وهو يريد غزو بني عبس بن بَغيض ، فلقُوا جيشاً لبني تميم على ماءٍ يقال له «الكُفافة» وتميم في جمع سعد والرِّباب وبني عمرو ، فقاتلوهم قتالاً شديداً وهُزِمتْ تميم وأُجْفلت ، وهذا اليوم يقال له : «يوم كُفافة» ، فقال الحادرة في ذلك[1] : [من الطويل]

ونحن مَنعْنا من تميم وقد طغتْ … مَراعي المَـلا حتى تضمَّنها نجدُ

كَمعْطَفِنا يـومَ الكُفافـة خَيْلَنـا … لِتَتْبَع أُخْرى الجيشِ إذ بلغ الجِدُّ

على حين شالتْ واستَخَفَّتْ رجالَهم … جلائبُ أحياءٍ يسيلُ بهـا الشدُّ

إذا هي شَكَّ السَّمْهَرِيُّ نحورَها … وخامت عن الأبطالِ أتعبها القِدُّ[2]

تَكُرُّ سِراعاً في المَضِيـقِ عليهِمُ … وتُثْنَى بِطاءً ما تخُبُّ ولا تَعدو

فأثْـنُوا علينـا لا أَبـا لأبيكُمُ … بإحساننا إن الثناءَ هـو الخُلْدُ

---

1 ديوان الحادرة : 94 .

2 خامت : نكصت وجبنت . القد : سير يقد من جلد ويقيد به .

[37] ـ أخبار ابن مِسْجَح ونسبه

[ولاؤه ، وهو مغنّ أسود متقن نقل غناء الفرس]

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بني جُمَح ، وقيل : إنّه مولى بني نَوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب . مكيٌّ أسود ، مُغنٍّ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم ، وأوّلُ من صنع الغناء منهم ، ونقل غِناءَ الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم والبَرْبَطِيّة والأسطوخوسيّة ، وانقلبَ إلى فارس فأخذ بها غناءً كثيراً وتعلّم الضربَ ، ثم قدِم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النَّغَم ، وألقى منها ما استقبحه من النَّبرات والنغم التي هي موجودةٌ في نَغَم غِناء الفُرس والروم خارجةً عن غناء العرب ، وغنَّى على هذا المذهب ، فكان أوّل من أثبت ذلك ولحّنه وتبِعه الناس بعد .

[علّم ابن سريج والغريض الغناء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان ، والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن هشام بن المُرِّيّة : أنّ أوّل من غنّى هذا الغناء العربيّ بمكّة ابن مِسْجَح مولى بني مَخْزوم ، وذلك أنّه مرَّ بالفُرس وهم يَبْنون المسجدَ الحرام ، فسمِع غِناءهم بالفارسيّة فقلبه في شعر عربيٍّ ؛ وهو الذي علَّم ابن سريج والغريض ، وكان ابن مِسْجَح مولَّداً أسود يُكنى بأبي عيسى .

[احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبناؤها]

أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد[1] بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال : كان سبب بناء ابن الزُّبير الكعبة لمّا احترقت ، أنّ أهل الشام لمّا حاصروه سمِع أصواتاً بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه ، وكانت ليلةً ظلماءَ ذات ريح شديدة صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدِروا ، وأصبحت الكعبة تتهافت وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناس كلُّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزل العذاب عليهم ، وأصبح ابن الزُّبير ساجداً يدعو ويقول : اللهمّ إنّي لم أتعمّد ما جرى فلا تُهلِك عبادَك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك ؛ فلمّا تعالى النهار أمِنَ وتراجعَ الناس ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن ينهدمَ في بيت أحدكم حجرٌ فيزول

1 ل : محمد .

عن موضعه فيبنيه ويُصلحه وأتركَ الكعبة خراباً ؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا ببنّائِين من الفُرس والروم فبناها .

[نقل غناء الفرس من بنّائي الكعبة]

قال إسحاق : وأخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مِسكين قال : كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ مولّداً يُكنى أبا عيسى مولًى لبني جُمَح ، فرأى الفُرس وهم يعملون الكعبة لابن الزُّبير ويتغنَّون بالفارسية فاشتقّ غِناءه على ذلك .

قال إسحاق : وحدّثني محمد بن سلاّم عن شُعَيب بن صخر وجرير قالا : كان سعيد بن مِسْجح أسود وهو مولى بني جُمح يُكنى أبا عيسى .

[كان ولاؤه هو وابن سريج لرجل واحد]

قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ عن صخر بن جعفر عن أبي قَبِيل بمثل ذلك ، وذكر أنّه كان يُكنى أبا عثمان . قال : وهو مولًى لبني نوفل بن الحارث كان هو وابن سريج لرجل واحد ، ولذلك قَبِل عنه ابن سُرَيج .

[ابن مسجح في حداثته]

قال إسحاق : وحدّثني الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه ، وقال : كان ابن مسجح فَطِناً كيِّساً ذكيّاً ، وكان أصفر حسن اللون ، وكان مولاه مُعجباً به ، وكان يقول في صِغره : ليكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ ، وما منعني من عتقه إلاّ حسنُ فِراستي فيه ، ولئن عشتُ لأتعرَّفَنَّ ذلك ، وإن مِتُّ فهو حرٌّ ؛ فسمِعه مولاه يوماً وهو يتغنّى بشعر ابن الرِّقاع العامليّ ، وهو من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى : [من الكامل]

صوت

ألِمْ على طَلَلٍ عَفا متقادم   بين اللَّكيكِ وبين غَيْب الناعمِ[1]
لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثا   فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسِمِ[2]

فدعا به مولاه فقال له : يا بُنَيَّ أعِدْ ما سمعتُه منك عليّ ، فأعاده فإذا هو أحسن ممّا ابتدأ به ، فقال : إن هذا لمن بعض ما كنتُ أقول ، ثم قال : أنّى لك هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجم تتغنّى بالفارسيّة فثَقفتُها وقلبتُها في هذا الشعر ، قال له : فأنت حرٌّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثُر أدبُه واتّسع في غنائه ومهَر بمكّة وأُعجِبوا به لظَرْفِه وحُسن ما سمعوه منه ، فدفع

1 اللكيك أو اللكاك : موضع وكذلك غيب الناعم .
2 عثا في ل : عسا .

إليه مولاه عُبيد بن سُريج ؛ وقال له : يا بنيّ علِّمه واجتهد فيه ؛ وكان ابنُ سريج أحسن الناس صوتاً ، فتعلَّم منه ثم برَّزَ عليه حتى لم يُعرف له نظير .

[غناء نافع الخير عند رجل من قريش]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا أخي هارون عن ابن الماجِشون عن شيخ من أهل المدينة ، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبيّ عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال : دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكن الطَّرْف نبيلٌ تأخذه العين ، لا أعرفه ؛ فقال له القرشيّ : أقسمتُ عليك إلاّ ما غنّيت صوتاً ، فحوّل خاتمَه من خِنصره اليُسرى إلى بِنصره اليُمنى ، ثم تناول قَدَحاً ، فغنّاه لحن ابن سريج في شعر كعب بن جُعَيلٍ : [من الطويل]

إذا امتشطتْ عالَـوْا لها بوِسادةٍ ومدَّتْ عَسِيبَ المتـن أن يتعفَّرا

ثَوَتْ نصفَ شهر تحسَبُ الشهرَ ليلةً تُناغِي غزالاً ساجِيَ الطرف أحوَرا[1]

تَزَيَّنُ حتـى تَسلُبَ المـرءَ عقلَه وحتى يَحارَ الطرْفُ فيها ويَسْكُرا

ثم غنّى في شعر توبة بن الحُمَيِّر : [من الطويل]

وغَيَّرني إن كنـتِ لَمّا تَغَيّري هواجـرُ تكْتَنِينَها وأسِيرُها

وأدْماء من سِرِّ المَهـارى كأنّها مَهاةُ صُوارٍ غيرَ ما مَسّ كُورُها[2]

قطعتُ بهـا أجـوازَ كلِّ تَنُوفَـةٍ مَخُوفٍ رَداها كلّما استنَّ مُورُها[3]

تَرى ضعفاءَ القوم فيهـا كأنّهم دَعامِيص ماءٍ نَشَّ عنها غَدِيرُها[4]

قال : فقلت له إنّي لأرْوي هذا الشعرَ وما أعرف هذه الأبيات فيه ، فقال : هكذا رويتُها عن عبد الله بن جعفر ، قال : وإذا هو نافع الخير مولى عبد الله بن جعفر .

الغناء في هذين اللحنين لابن مِسجح ولم أجد لهما طريقةً في شيء من الكتب التي مرّت . وذكر حبشٌ أنّ في أبيات كعب بن جُعَيلٍ لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى .

[دور معاوية بمكّة]

حدّثني جعفر بن قُدامة بن زياد الكاتب وعمّي وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن

1 ساجي الطرف : فاتره .

2 الصوار : قطيع البقر .

3 أجواز : جمع جوز وهو الوسط . والتنوفة : الفلاة لا ماء فيها . استن مورها : ثار غبارها .

4 دعاميص : دود أسود يكون في الغدران كلّما نشت ، أي نضب أو جفّ ماؤها .

موسى بن حمزة بن عمارة بن صفوان الجُمَحيّ عن أبيه قال : أوّلُ مَن نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم . قال : وقد يُختلف في ولائه إلاّ أنّ الأغلب عليه ولاءُ بني مخزوم ، وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لمّا بنى دُورَه التي يقال لها : «الرُّقْطُ» ، وهي ما بين الدارَين إلى الرَّدْم : أوّلها الدار البيضاء وآخرها دار الحمَّام ، وهي على يسار المُصْعِدِ من المسجد إلى «رَدْمِ عُمَرَ» ، حمل لها بَنَّائِينَ فُرْساً من العراق فكانوا يبنونها بالجِصّ والآجُرّ ، وكان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنيانِهم ، فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربيّ ، ثم صاغ على نحو ذلك ؛ وهو الذي علَّمَ الغريض ، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني[1] : [من الكامل]

صوت

أَسَلامُ إنَّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسجِحي ... قد يملكُ الحرُّ الكريمُ فيُسْجِحُ[2]
مُنّـي على عـانٍ أَطَلْتِ عَنـاءَه ... في الغُـلِّ عندكِ والعُنـاةُ تُسَرَّحُ
إنّي لأنصَحُكُـمْ وأعلَـمُ أنّه ... سِيَّانِ عندكِ مَـنْ يَغُشُّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامـةَ حُبَّها ... قالـتْ أَجِـدٌّ منكَ ذا أم تَمزَحُ

الشعر للأحْوص ، والغناء لابن مسجح ثقيل أوّل بالبنصر . ولِدَحمان فيه ثقيل أوّل بالبنصر . ولمالكٍ فيه خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ .

[أخذ عنه معبد]

قال : وهو أوّل من غنّى الغناءَ العربيّ المنقول عن الفارسيّ . وعاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبدٌ وأخذ عنه في أيّام الوليد بن عبد الملك .

[نفاه دحمان الأشقر والي مكّة إلى الشام فتوصل إلى عبد الملك برد]

حدّثني عمّي والحسين بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً حدّثنا محمد بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثني النضر بن عمرو قال حدّثني أبو أُميَّة القرشيّ قال حدّثنا دَحمان الأشقر قال : كنتُ عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكّة فنُمِيَ إليه أنّ رجلاً أسود يقال له : سعيد بن مسجح أفسدَ فِتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إليّ : أن أقبض مالَه وسَيِّرْهُ ، ففعلت . فتوجَّه ابن مِسْجح إلى الشام فصحِبه رجلٌ له جَوارٍ مُغَنِّيات في طريقه ، فقال له : أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أُريد الشام ، قال له : فتكون معي ؟ قال : نعم ، فصحبه حتى بلغا دمشق

1 ديوان الأحوص : 48 عن الأغاني .
2 الأسجاح : حسن العفو .

فدخلا مسجدها فسألا : مَن أخَصُّ الناسِ بأمير المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمّه ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلّم ثم قال : يا فِتيان ، هل فيكم مَن يُضيفُ رجلاً غريباً من أهلِ الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعضٍ وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا إلى قَينةٍ يُقال لها : «بَرْقُ الأُفُقِ» فتثاقلوا به إلاّ فتًى منهم تَذَمَّم فقال : أنا أُضيفُكَ ، وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل تجيء أنت وضيفُك ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَيْنة ، فلمّا أُتُوا بالغَداء قال لهم سعيد : إنّي رجلٌ أسود ولعلّ فيكم من يَقذَرُني فأنا أجلس وآكلُ ناحيةً وقام ، فاستحيَوا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلمّا صاروا إلى الشراب قال لهم مثلَ ذلك ، ففعلوا به ، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِع لهما ، فغنّتا إلى العِشاء ثم دخلتا ، وخرجت جاريةٌ حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلستْ على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فتمثَّلتُ هذا البيت : [من الطويل]

فقلــتُ أشمسٌ أم مَصابِيحُ بِيعَــةٍ بدَتْ لكَ خلفَ السِّجفِ أم أنت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت : أَيَضرِبُ هذا الأسود بي الأمثال ؟ فنظروا إليّ نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسَكِّنونها ، ثم غنَّت صوتاً ، فقال ابن مسجح : أحسنتِ والله ، فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقدِمُ على جاريتي ؟ فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فانصرف إلى منزلي فقد ثَقُلتَ على القوم ، فذهبتُ أقومُ[1] فتذمّم القوم وقالوا لي : بل أَقِم وأَحسِن أدبَك فأقمتُ ، وغنَّت فقلت : أخطأتِ والله يا زانية وأسأت ، ثم اندفعتُ فغنَّيتُ الصوت فوثبتِ الجارية فقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمان سعيد بن مسجح ، فقلت : إنّي والله أنا هو ، والله لا أُقيم عندكم ، فوثب القُرشيّون فقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : بل عندي ، فقلت : والله لا أُقيم إلاّ عند سيِّدكم ، يعني الرجل الذي أنزله منهم ، ثم سألوه عمّا أقدمَه فأخبرهم الخبر ، فقال له صاحبه : إنّي أَسمُرُ الليلة مع أمير المؤمنين فهل تُحسن أن تَحدُوَ ؟ قال : لا ، ولكنّي أستعمل حُداءً ، قال : فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيبَ نفسٍ أرسلتُ إليكَ ، ومضى إلى عبد الملك فلمّا رآه طَيِّبَ النفس أرسل إلى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شُرَف القصر ثم حَدا[2] : [من الرجز]

إنّكَ يا مُعاذُ يــا ابن الفُضَّلِ إن زُلــزِلَ الأقــدامُ لم تُزلزَلِ

---

1 ل : فقمت لأذهب .

2 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 24–26 (رقم 45) وانظر نهاية الأرب 4 : 241–243 .

عن دينِ موسى والكتابِ المنزَلِ تُقيمُ أصداغَ القرونِ المُيَّلِ
للحقِّ حتى ينتحُوا للأعدلِ

فقال عبد الملك للقرشيّ : مَن هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيّ قَدِمَ عليّ ، قال : أُحضِره فأحضره له ، وقال له : احْدُ مُجداً ، ثم قال له : هل تُغَنّي غِناء الركبانِ ؟ قال : نعم ، قال : غنّه ، فتغنّى ، فقال له : فهل تغنّي المُتقَن ؟ قال : نعم ، قال : غنّه ، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طرباً ، ثم قال له : أُقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة ، مَن أنت ويلك ؟ قال له : أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّر عن وطنه سعيد بن مِسْجح ، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني ، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له : قد وضَح عذرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالَهم ، وأمَّنه ووصله وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه وألاَّ يَعْرِض له بسوء .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

سلا دارَ ليلى هل تُبين فتَنْطِقُ وأنّى تَرُدّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ[1]
وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنّها لطُول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ[2]

عروضه من الطويل ، الشِّعر لابن المولى . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى ؛ وذلك غلط ، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذُكِر في شعراء العرب فلم نجده ، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم ، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة ، وقد أثبتناها بعَقِب أخباره ليُوقَفَ على صحّة ما ذكرناه ، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجّة على ما خالفه والدلالة على الصواب فيه . والغناء في اللحن المختار لعَطَرَّد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو ، وفيه لأيّوب زهرة خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ . وفي غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما : [من الطويل]

وقال خليلي والبُكا لي غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبْرةً تكاد إذا رُدَّتْ لها النفسُ تَزْهَقُ[3]

---

1 سملق : القاع المستوي لا شجر فيه .

2 مهرق : صحيفة .

3 توقاني في ل : توقافي . سيرد هذا الشطر بعد قليل برواية أُخرى .

[38] ـ أخبار ابن المولى ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، شاعرٌ متقدّم مجيد من مخضرميّ الدولتين ومَدّاحي أهلهما ، وقدِم على المهديّ وامتدحه بعدّة قصائد فوصَله بصِلاتٍ سنيّةٍ ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة .

[قدم على المهدي ومدحه فأجزل صلته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل قال قال لي محمد بن صالح بن النَّطّاح : كان ابن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار ، وكان مسكنه بقُباء ، وكان يَقْدَم[1] على المهديّ فيمدحه ، فقدِم عليه فأنشده قوله : [من الطويل]

سَلا دارَ ليلى هـل تُبِين فَتَنْطِقُ ... وأنَّى تـردُّ القولَ بيـداءُ سَمْلَقُ
وأنَّى تـردُّ القـولَ دارٌ كأنـّها ... لطـول بِلاهـا والتقـادمِ مُهْرَقُ
وقال خليـلي والبكـا ليَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وإنسانُ عينـي في دوائرِ لُجّـةٍ ... من الدمعِ يبدو تـارةً ثم يَغْرَقُ

يقول فيها : [من الطويل]

إلى القائم المهـديّ أعملتُ ناقتي ... بكـلِّ فـلاةٍ آلُهـا يترقرقُ[2]
إذا غال منها الركبَ صحراءُ برَّحت ... بهم بعدها في السير صحراءُ دردقُ[3]
رَميتُ قَراهـا بـين يـوم وليلة ... بفَتْلاء لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مِرْفَقُ[4]
مُزَمِّـرَةً سَقْبـاً كأنّ زِمامَها ... بجرداء مـن عمّ الصَّنَوْبر مُعْلَقُ[5]
موكَّلـةً بالفادحـات كأنّهـا ... وقـد جَعَلت منها الثَّمِيلةُ تَخْلُقُ[6]
بِقِـيّ المـلا هَيْـقٌ أمـام رِئاله ... أصَمُّ هِجَفٌّ أقـرعُ الرأس نِقْنِقُ[7]

---

1 ل : يفد .
2 الآل : السراب .
3 غالت الصحراء الركب : أبعدتهم . دردق : لعلّه يقصد واسعة .
4 القرا : الظهر . الناقة الفتلاء : هي التي فتل ذراعها أي تباعد عن الجنبين .
5 مزمرة : مصوتة ، ولعلّها مذمرة : أي تحثّ فتسرع في السير . العم : النخل الطويل واستعير هنا للصنوبر .
6 الثميلة : البقية التي تدّخر من الطعام وغيره .
7 القيّ : القفر . الهيق : الظليم وكذلك النقنق . الرئال : أفراخ النعام . الهجفّ : المسن أو الجافي الثقيل من النعام .

تراهـــا إذا استعجلتَها وكأنّها على الأَيْن يَعْرُوها من الرَّوْع أَوْلَقُ[1]
مورِّكة أرضَ العُذَيْب وقد بدا فسُرّ بـه للآئبـين الخَـوَرنقُ

فاستحسنها المهديّ وأجزل صِلتَه ، وأمر فَغُنِّيَ في نسيب القصيدة . فأمّا ما شَرَطتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقِب البيت الثاني منها : [من الطويل]

عفَتْها الرياحُ الرامِساتُ مع البِلى بأذيالهـا والرائـحُ المُتبَعِّقُ[2]
بكلِّ شآبيبٍ من الماءِ خلفَها شآبيبُ ماءٍ مُزْنها متألِّقُ
إذا رَيِّقٌ منهـا هُرِيقَتْ سِجالُه أُعيد لها كِرْفِئُ مـاءٍ ورَيِّقُ[3]
فأصبح يرمـي بالرَّبـاب كأنّما بأرجلـه منـه نَعـامٌ مُعَلَّقُ[4]
فـلا تبـكِ أطلالَ الديارِ فإنّها خبالٌ لمن لا يدفع الشوقَ عَوْلَقُ[5]
وإنّ سفاهـاً أن تُـرى متفجِّعا بـأطلالِ دارٍ أو يقـودَك مَعْلَقُ
فلا تَجْزَعَنْ للبـين كلُّ جماعةٍ وجَدِّك مكتوبٌ عليهـا التفرُّقُ
وخذ بالتعزّي كلُّ ما أنتَ لابسٌ جديـداً على الأيّام بالٍ ومُخْلِقُ
فصبرُ الفتـى عمّـا تولّـى فإنّه من الأمـرِ أولى بالسَّداد وأوفقُ

ويروى : «أدنى للذي هو أوفق» .

وإنّك بالإشفاقِ لا تدفعُ الرّدى ولا الحَيْنُ مجلوبٌ فما لك تُشْفِقُ
كأنْ لم يَرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمنٌ لأحداثـه فيما يُغادي ويَطْرُقُ
وقـال خليـلي والبكا ليَ غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبرةً على دِمْنةٍ كادت لها النفسُ تَزْهَقُ[6]
وإنسانُ عينـي في دوائـرِ لجّـةٍ مـن الماء يبدو تـارةً ثم يَغرَقُ
وللدّمع من عيني شَريجا صبابةٍ مُرِشُّ الرَّجـا والجائـلُ المُترقرِقُ[7]

---

1 الأولق : الجنون .
2 الرائح المتبعق : المطر المندفع .
3 كرفيء : سحاب مرتفع .
4 الرباب : السحاب الأبيض .
5 عولق : غول .
6 توقاني في ل : توقافي .
7 الشريجان : لونان مختلفان .

وكنتُ أخا عِشق ولم يك صاحبي فيعـذِرَني مّمـا يَصَـبُّ ويعشَقُ
وقد يعذِر الصبُّ السقيمُ ذوي الهوى ويَلحَى المحبّين الصديـقُ فيَخرَقُ[1]
وعابَ رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا لهم بعضُ ما أهوى وذو الحلم يعلَقُ

والقصيدة طويلة . وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته .

[كان يشبّب بليلى وهي قوسه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعبيد الله بن مُسلم بن جُندب وابن المولى وأصبَغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء ، وابن المولى مُتنكّب قوساً عربية ، فأنشد ابن المولى لنفسه : [من الطويل]

وأبكي فلا ليلى بكت من صَبابةٍ إليّ ولا ليلى لـذي الودّ تبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتبى إذا كنـتُ مُذنباً وإن أذنبتْ كنتُ الـذي أتنصَّلُ

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُندَب : مَن ليلى هذه حتى نقودَها إليك ؟ فقال لهما ابن المولى : ما هي والله إلاّ قَوسي هذه سمّيتها ليلى .

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى لخَزْرَج ، ويقال : إنّه لهاشم بن سليمان .

[مدح يزيد بن حاتم فوهبه كلّ ما يملك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلّم عن المفضّل الضّبيّ قال : وفَد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها[2] : [من مجزوء الكامل]

يا واحدَ العربِ الذي أضحَى وليس له نظيرُ
لـو كان مثلَك آخَـرٌ ما كان في الدنيا فقيرُ

قال : فدعا بخازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ فقال له : من الورقِ والعَيْن بقيَّةٌ عشرون ألف دينار ، فقال : ادفعها إليه ، ثم قال : يا أخي ، المعذرة إلى الله وإليك ، والله لو أنّ في مِلكي أكثرَ لَما احتجبتُها[3] عنك .

[كان يمدح جعفر بن سليمان وقثم بن عبّاس ويزيد بن حاتم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب

---

1 ذوي في ل : ذوو .
2 سبق أن أورد هذين البيتين منسوبين لبشّار .
3 ل : احتجنتها .

قال حدّثنا مُصعَب الزبيريّ عن عبد الملك بن الماجِشُون قال : كان ابن المولى مَدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العباس الهاشميَّين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب ، واستفرغ مدحَه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

يا واحدَ العرب الذي دانت له قَحطــانُ قاطبةً وساد نِزارا
إنّي لأرجو إن لقِيتُك سالِما ألاّ أُعالِـجَ بعـدَك الأسفارا
رِشْتَ النّدى ولقد تكسَّر رِيشُه فعَلا النّدى فوقَ البلادِ وطارا

[مرض عند يزيد بن حاتم وأضعف يزيد صلته]

ثم قصَده بها إلى مصر وأنشده إيّاها ؛ فأعطاه حتّى رضِيَ . ومرِض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وثقُل حتّى أَشْفى[1] ، فلمّا أفاق من علّته ونهض ، دخل عليه يزيد بن حاتم مُتعرِّفاً خبره ، فقال : لودِدْتُ والله يا أبا عبد الله ألاّ تُعالج بعدي الأسفار حقّاً ، ثم أضعفَ صلتَه .

[كان يمدح يزيد دون أن يراه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير بن بكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال : كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرِفه ولا ألقاه ، فلمّا ولاّه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقِيتُه فأنشدته ، وقد خرج من مسجد رسول الله ﷺ إلى أن صار إلى مسجد الشجرة ، فأعطاني رِزمتَيْ ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضِياعاً تُغِلّ ألف دينار ، أقوم في أدناها وأصيح بقَيِّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها .

[عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلى]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال : بلغني أنّ الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال : أتُشبِّب بحُرَم المسلمين وتُنشد ذلك في مسجد رسول الله ﷺ وفي الأسواق والمحافل ظاهراً ؟ فحلَف له بالطّلاق أنّه ما تعرّض لمحرَّمٍ قطّ ولا شبّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهدٍ قطّ ، قال : فمن ليلى هذه التي تُذكرُ في شعرك ؟ فقال له : امرأتي طالق إن كانت إلاّ قَوسي هذه ، سمّيتُها ليلى لأذكرَها في شِعري ، فإنّ الشعر لا يحسُن إلاّ بالتشبيب ، فضحك الحسن ثم قال : إذا كانت القصّة هذه فقل ما شئت .

[كان بالعراق وتشوّق إلى المدينة]

فقال الحَزَنْبَل : وحُدّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال : قدِم ابن المولى إلى العراق في بعض سِنيه فأخفَق وطال مُقامه وغرِض[2] به وتشوّق إلى المدينة فقال في ذلك : [من الكامل]

---

1 أشفى : أشرف على الموت .

2 غرض به : ضجر وقلق .

صوت

ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رِجالا وأرى الإقامةَ بالعراق ضَلالا
وطرِبْتُ إذ ذَكَر المدينةَ ذاكرٌ يومَ الخميسِ فهاجَ لي بَلْبالا
فظللتُ أنظُر في السماء كأنّني أبغي بناحيـة السماءِ هلالا
طرباً إلى أهلِ الحِجازِ وتارةً أبكي بدمـعٍ مُسبَلٍ إسبالا

غنّى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة . ولحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وذكره حمّاد عنْ أبيه في أخباره ولم يذكر طريقتَه . [من الكامل]

فيقال قـد أضحى يُحدِّث نفسَه والعينُ تَذرِفُ في الرّداءِ سِجالا[1]
إنّ الغريبَ إذا تذكّـر أوشكت منـه المدامـعُ أن تَفيضَ عِلالا
ولقــد أقـولُ لصاحبي وكأنّه ممّـا يعالـجُ ضُمّـن الأغلالا
خَفِّضْ عليكَ فما يُرَدْ بك تَلقَهُ لا تُكثِرنَّ وإن جزِعـتَ مَقالا
قد كنتَ إذ تَدع المدينةَ كالذي تـرك البحارَ ويَمّم الأوشالا[2]
فأجابني خاطرٌ بنفسِكَ لا تكنْ أبـداً تُعَـدّ مـع العِيـال عِيالا
واعلمْ بأنّكَ لن تَنـالَ جَسيمةً حتّـى تُجشِّم نفسَكَ الأهوالا
إنّي وجـدّك يـومَ أترك زاخراً بحـراً يُنفّـل سيبُـه الأنفالا
لأضلُّ مَن جلَـب القوافيَ صَعْبةً حتّـى أَذَلّ مُتونَهـا إذلالا[3]

[مدح المهديّ وعرّض بالطالبيين فأجازه]

قال الحَزَنْبَلُ : وحدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن بن زيد قال : قدم ابن المولى على المهديّ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

وما قارَعَ الأعـــداءَ مثلُ محمّــدٍ إذا الحربُ أبدتْ عن حُجولِ الكَواعبِ
فتىً ماجدُ الأَعـراقِ مـن آل هاشمٍ تَبَحْبَح منهـا في الذُّرى والذَّوائبِ[4]
أشمُّ مـن الرّهـطِ الذيـنَ كأنَّهــم لدى حِنْدسِ الظَّلماءِ زُهْرُ الكواكبِ[5]

---

1 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .
2 الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .
3 صعبة في ل : ضيعة .
4 تبحبح : تمكّن .
5 حندس : الليل الشديد الظلمة .

إذا ذُكِـرَتْ يومـاً مَناقِبُ هاشمٍ فإنّكـمُ منهـا بخيـرِ المَناصِبِ
ومَـن عِيـبَ في أخلاقـه ونِصابه فما في بنـي العبّاس عَيْـبٌ لِعائبِ[1]
وإنّ أميـرَ المؤمنـين ورَهْطَـهُ لأهلُ المَعالي من لُـؤَيِّ بـن غالبِ
أُولئك أوتادُ البـلادِ ووارِثو النـ ـبيِّ بأمـرِ الحـقِّ غير التَّكاذُبِ[2]

ثم ذكر فيها آلَ أبي طالبٍ فقال :

وما نَقَمـوا إلاّ المـودّةَ منهمُ وأن غادرُوا فيهـم جزيلَ المواهبِ
وأنّـهمُ نالـوا لهـم بدمائهم شفاءَ نفـوسٍ من قتيلٍ وهاربِ[3]
وقامـوا لهم دونَ العدا وكفَوْهمُ بسُمر القنا والمُرهَفات القَواضبِ
وحامَـوْا على أحسابهم وكرائم حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التّرائبِ
وإن أميـرَ المؤمنـين لعائـدٌ بإنعامـه فيهـم على كلِّ تائبِ
إذا ما دَنَـوْا أدناهُمُ وإذا هفَوْا تَجـاوز عنهـم ناظراً في العواقبِ
شفيقٌ على الأَقْصَيْن أن يركبوا الرّدى فكيف بـه في واشِجات الأقاربِ[4]

[مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهديّ]

قال : فوصله المهديّ بصلة سنيّة ، وقدِم المدينة فأنفق وبنى دارَه ولبس ثياباً فاخرةً ، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه . ثم قدم[5] على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفة في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه : [من الخفيف]

هـاج شوقـي تفـرّقُ الجِيرانِ واعترتنـي طـوارقُ الأحزانِ
وتذكّرتُ ما مضى من زماني حـين صارَ الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد :

ولـو آنّ امـرأً ينالُ خلوداً بمحـلٍّ ومَنْصِـبٍ ومكـانِ
أو ببيتٍ ذُراه تَلْصَق بالنجـ ـمِ قِراناً في غير بُـرج قِرانِ
أو بمجـدِ الحيـاةِ أو بسَماحٍ أو بحلم أوفَـى عَلى ثَهْلانِ

1 النصاب : الأصل .
2 ووارثوا في ل : وأورثوا .
3 نفوس في ل : النفوس .
4 الواشجات : جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتّصلة .
5 ل : دخل .

أو بفضل لنالــه حسَنُ الخَيْـ ـر بفضلِ الرسول ذي البرهانِ
فضلُه واضحٌ برهطِ أبـي القا سم رهــطِ اليقـينِ والإيمانِ
هم ذَوُو النور والهُدى ومَدى الأمـ ـر وأهــلُ البرهانِ والعِرفانِ[1]
مَعْدِنُ الحــقِّ والنبوّةِ والعــد لِ إذا مــا تنازع الخَصْمانِ
وابنُ زيد إذا الرجالُ تَجارَوْا يــومَ حَفْــل وغايــةٍ ورِهانِ
سابــقٌ مُغْلِــقٌ مُجيزُ رِهــانٍ وَرِث السَّبْقَ من أبيه الهِجانِ[2]

قال : فلمّا أنشده إيّاها دعا به خالياً ثم قال له : يا عاضَّ كذا من أمه ، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا ، وأمّا إذا مضيت إلى العراق فتقول : [من الطويل]

وإن أمير المؤمنين ورهطَــــه لرَهطُ المعالي من لُؤَيٍّ بن غالبِ
أولئكَ أوتادُ البلادِ ووارِثو النـ ـبيِّ بأمرِ الحقِّ غير التّكاذُبِ[3]

فقال له : أتُنْصِفني يا ابن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم ، فقال : ألم أقل :

وإن أميرَ المؤمنــينَ ورهطَه

ألستم رهطه ؟ فقال : دَعْ هذا ، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحُك إلاّ بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول : [من الطويل]

ومــا نَقَمــوا إلاّ المودّةَ منهُمُ وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنّـهمُ نالــوا لهــم بدمائهم شفاءَ نُفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ[4]

فوجَم ابن المولى وأطرق ثم قال : يا ابن الرسول إنّ الشاعر يقول ويتقرّب بجهده ، ثم قام فخرج من عنده منكسرا ، فأمر الحسن وكيله أن يحمِل إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل ؛ فقال ابن المولى : والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ ، فأمّا إنْ قرَنها بالرضى فقبلتُها ، وأمّا إن أقام وهو عليّ ساخط ألبتّة فلا ؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره ؛ فقال له : قل له : قد رضيتُ فاقبلْها . ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه :

سألتُ فأعطاني وأَعطَى ولم أَسَلْ وجاد كما جادتْ غــوادٍ رَواعِدُ

1 العرفان في ل : والفرقان .
2 الهجان : الحسيب .
3 ووارثو في ل : وأورثوا .
4 نفوس في ل : النفوس .

فأُقسِمُ لا أنفكُّ أُنشِدُ مَدْحَه ... إذا جمعتْني في الحَجيج المَشاهدُ
إذا قلتُ يوماً في ثنائي قصيدةً ... ثَنَيْتُ بأخرى حيث تُجزى القصائدُ

[مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز وغلبته على الأزارقة]

قال الحَزَنْبَل : وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال : لمّا انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظَفِر ، خُلِع عليه وعُقِد له لواءٌ على كُوَر الأهواز وسائر ما افتتحه ، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده : [من الطويل]

صوت

ألا يا لَقومي هل لِما فاتَ مَطلبُ ... وهل يُعْذَرَنْ ذو صَبْوةٍ وهو أَشْيَبُ
يحِنّ إلى ليلى وقد شَطَّتْ النَّوى ... بليلى كما حَنّ اليَراعُ المثقّبُ[1]

غنّى في هذين البيتين عَطَرَّد ، ولحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ؛ وفيه ليونس لحن ذكرَه لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقتَه . [من الطويل]

تقرّبتُ ليلى كي تُثيب فزادني ... بِعاداً على بعدٍ إليها التقرّبُ
فداويتُ وجدي باجتنابٍ فلم يكن ... دواءً لِما ألقاه منها التجنُّبُ
فلا أنا عند النَّأْيِ سالٍ لحبّها ... ولا أنا منها مُشْتَفٍ حين تَصْقَبُ[2]
وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضى ... ولكنني أنوي العزاءَ فأُغلَبُ
وليلٍ خُداريّ الرّواق جَشِمتُه ... إذا هابه السارون لا أتهيّبُ[3]
لأظْفَرَ يوماً من يزيد بن حاتم ... بحبل جِوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ
بلَوتُ وقلّبتُ الرجالَ كما بَلا ... بكفّيه أوساطَ القِداح مُقلِّبُ
وصَعَّدني همّي وصَوَّب مرّةً ... وذو الهمّ يوماً مُصْعَدٌ ومُصوَّبُ
لأعرفَ ما آتي فلم أرَ مثله ... من الناس فيما حاز شرقٌ ومغرِبُ
أكَرَّ على جيش وأعظمَ هيبةً ... وأوهبَ في جود لما ليس يُوهبُ
تصدَّى رجالٌ في المعالي ليَلْحقوا ... مَداك وما أدركته فتَذَبْذَبوا
ورُمتَ الذي راموا فأذللتَ صعبه ... وراموا الذي أذللتَ منه فأصعَبوا

---

1 اليراع المثقب : المزمار .
2 تصقب : تقرب .
3 خداري : مظلم .

ومهما تَناولْ مِـن مَنـال سَنيّة ... يساعدْك فيها المُنْتَمى والمُركَّبُ[1]

ومَنصِبُ آبـاء كِـرامٍ نَماهـمُ ... إلى المجـدِ آبـاءٌ كِرامٌ ومنصِبُ

صوت

[من الطويل]

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ ... بـدا منهمُ بـدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ

أنـارَ بـه آل المهلّـب بعدمـا ... هَوى مَنكِبٌ منهم بليلٍ ومَنكِبُ

ومـا زال إلْحاحُ الزمانِ عليهمُ ... بنائبةٍ كادت لهـا الأرض تَخْرَبُ

فلـو أبقـتِ الأيّامُ حيّـاً نَفاسةً ... لأبقاهمُ للجـودِ نـابٌ ومِخلَبُ

وكنتَ ليومَيْ نِعمـةٍ ونِكايـةٍ ... كما فيهمـا للنّـاس كان المهلَّبُ

ألا حبَّـذا الأحياءُ منكم وحبّذا ... قبـورٌ بهـا مَوتاكُـم حين غُـيِّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلٌّ واحد منهم بما يمكنه ، فانصرف بملء يده .

[كان عمرو بن أبي عمرو ينشد شعره ويستحسنه]

قال الحَزَنْبَل : أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

حَيِّ المنازلَ قد بَلِينا ... أقوَينَ عن مَرِّ السِّنينا[2]

وسلِ الدّيـارَ لعلَّهـا ... تُخْبرك عن أمِّ البَنينا

بانـت وكلُّ قرينـةٍ ... يومـاً مفارِقـةٌ قرينا

وأخو الحياة من الحيا ... ةِ مُعالِجٌ غِلَظاً ولِينا

غنّى في هذه الأبيات نبيهٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر .

وتـرى المُوَكَّـل بِالغوا ... ني راكباً أبـداً فُنونا

ومِـن البليّـةِ أن تُـدا ... نَ بما كرِهتَ ولن تَدينا

والمـرءُ تُحـرَم نفسُه ... ما لا يـزال بـه حَزينا

وتَـراه يَجمـع مالَـه ... جمعَ الحريص لوارِثينا

1 المنتمى في ل : المنتهى . المركب : المنبت .

2 أقوى : أقفر .

يسعــى بأفضلِ سعيــه   فيصيرُ ذاك لقــاعدينا
لم يُعطِ ذا النّسب القريـ   ـبِ ولم يَجُدْ للابعدينا
قــد حلَ منزلَه الذميــ   ـمَ وفارق المتنصِّحينا[1]

[مدح المهدي بولايته الخلافة]

قال الحَزَنْبل : وذكر أحمد بن صالح بن النطّاح عن المدائنيّ : أن المهديّ لَمّا وليَ الخلافة وحجّ فرّق في قريشٍ والأنصار وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووَصَلهم صِلاتٍ سنيّةً ، فحسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصاب الناس في أيّام أبيه ، لتسرّعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن ، وكانت سنة ولايته سنة خِصب ورُخْص ، فأحبّه الناس وتَبرّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهـديّ ، وهذا ابن عمّ رسول الله ﷺ وسَميُّه ، فلقَوه فدَعوا له وأثنَوا عليه ، ومدحته الشعراء ، فمدّ عينَه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرّب منه ؛ فقال له : هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك ، فأنشده [قوله فيه] : [من البسيط]

يا ليــلَ لا تَبخلي يــا ليلَ بالزادِ   واشفي بذلك داءَ الحائم الصادي
وأنجِزي عِـدَةً كانت لنا أَمَــلاً   قــد جــاء مِيعادُها من بعد ميعادِ
مــا ضرّه غيرُ أن أبــدى مودّته   إنّ المُحــبَّ هــواه ظاهــرٌ بادي

ثم قال فيها يصف ناقته :

تَطـوي البــلادَ إلى جــمٍّ منافعُه   فعّــالِ خيرٍ لفعــل الخيرِ عــوّادِ
للمهتديــن إليــه مــن منافعه   خيرٌ يروحُ وخيرُ باكــر غادي[2]
أغنَى قُريشاً وأنصارَ النبيِّ ومَــنْ   بالمسجدَيْــن بإسعــاد وإحفادِ[3]
كانت منافعُه في الأرض شائعــةً   تَتْرى وسيرتُــه كالمــاء للصّادِي
خليفــةُ اللهِ عبــدُ الله والــدُه   وأمُّــه حُــرّةٌ تُنْمَــى لأمجــادِ
من خير ذي يَمــنٍ في خير رابِيــةٍ   من القَبولِ إليها مَعْقِل النّادي[4]

حتى أتى على آخرها ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة ، وأمر صاحب الجاري[5] بأن يُجريَ له ولعياله في كلّ سنة ما يَكفيهم ، وألحقهم في شرف العطاء .

---

1 المتنصّح : الكثير النصح .
2 للمهتدين في ل : للمجتدين .
3 الإحفاد : الإسراع في مرضاتهم وقضاء حوائجهم .
4 معقل : ملجأ .
5 صاحب الجاري : صاحب الجرايات أي الأرزاق .

قال : وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيريّ قال : وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار ، فلمّا دخلنا عليه سلّمنا ودعَونا وأثنينا ، فلمّا فرَغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال : هاتِ يا محمد ما قلت ، فأنشده : [من مجزوء الكامل]

صوت

نـادى الأحبّةُ باحتمالِ   إنّ المُقيـمَ إلى زَوالِ
ردَّ القِيـانُ عليهـمُ   ذُلُلَ المطيّ من الجِمالِ[1]
فتحمّلـوا بعَقيلـةٍ   زهـراءَ آنسةِ الدَّلالِ
كالشمسِ راقَ جَمالُهـا   بين النساء على الجَمالِ
لمّـا رأيـت جِمالهم   في الآل تَغْـرَق باللآلي
يا ليت ذلك بعـدَ أنْ   أظهـرتَ أنّك لا تُبالي
ولِمثْل مـا جرّبتَ مـن   إخلافهنّ لذي الوصالِ
أسلاكَ عن طلَب الصِّبا   وأخو الصِّبا لا بدّ سالي
يـا ابنَ الأطايب للأطا   يب ذا المَكارم والمَعالي
وابنَ الهُداةَ بَنـي الهدا   ةِ وكاشفي ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكـرمَ غالبٍ   عنـدَ التّفاخرِ والنِّضالِ
وإذا تُحَصَّـلُ هاشمٌ   يعلـو بمجدك كلُّ عالي
ويكـون بيتُـك منهمُ   في الشاهقات من القِلالِ[2]
هـذا وأنـت ثِمالُهـا   وابنُ الثّمالِ أخو الثِّمالِ[3]
ومآلُهـا بأمورِهـا   إنّ الأمـورَ إلى مـآلِ

قال : فأمر له خاصّة بعشرة آلاف درهم معجّلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم ، وقال : ذلك بحقّ المديح ، وهذا بحقّ الوِفادة .

[سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ أبو أحمد وعمّي قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ

1 القيان : العبيد والإماء .
2 القلال : جمع قلة وهي أعلى الجبل .
3 ثمال : غياث .

قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : قدِم عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان ابن المولى يُكْثر مدحَه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا ، قال : وابن المولى مولى الأنصار ، فلمّا قدم عبدُ الملك المدينة قدِم ابن المولى ، لِما بلَغه من مسألة عبد الملك عنه ، فوردها وقد رحَل عبد الملك عنها ، فأتْبعه فأدركه بإضَم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد ، وهما جميعاً لمروان ، فالتفت عبد الملك إليه وابنُ المولى على نجيبٍ مُتَنكّباً قوساً عربيّة ، فقال له عبد الملك : ابن المولى ؟ قال : لَبّيْك يا أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم يَنَلْه منّا فعلٌ ، ثم قال له : أخبرني عن ليلى التي تقول فيها : [من الطويل]

وأبكي فلا لَيْلى بكَتْ من صَبابةٍ … إليّ ولا ليلى لذي الوُدّ تَبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأُزوِّجَنّكها ، ولئن كانت أَمَةً لأبتاعنّها لك بما بلَغتْ ، فقال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، والله ما كنتُ لأُذْكُر حُرْمة حُرّ أبداً ولا أمَته ، والله ما ليلى إلاّ قوسي هذه ، سمّيتها ليلى لأُشبّب بها ، وإن الشاعر لا يُسْتطاب إذا لم يَتشبّب[1] ؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ، فأقام عنده يومَه وليلته يُنشده ويُسامره ، ثم أمر له بمال وكسوة ، وانصرف إلى المدينة .

[وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ عن الزبير وغيره عن محمد بن فَضالة النحويّ قال : قدِم ابن المولى البصرة ، فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه : [من السريع]

كم صارخٍ يدعو وذي فاقةٍ … يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذي أحييتَ بَذْلَ النَّدى … وكان قد ماتَ فلا يُذْكَرُ
سليلُ عبّاسٍ وليّ الهُدى … ومَنْ به في المَحْل يُسْتَمْطَرُ
هذا امتداحِيكَ عَقيدَ النَّدى … أشهدُ بالمجدِ لكَ الأَشْقَرُ

1 ل : ينسب .

[39] ـ أخبار عَطَرَّد ونسبُه

[ولاؤه وصفته وهو مغنّ مقبول الشهادة فقيه]

عَطَرّد مولى الأنصار ، ثم مولى بني عمرو بن عوف ، وقيل : إنّه مولى مُزَيْنَة ، مدنيٌّ ، يكنى أبا هارون ، وكان ينزل قُباء . وزعم إسحاق[1] أنّه كان جميل الوجه ، حسنَ الغناء ، طيّبَ الصوت ، جيّد الصَّنعة ، حسنَ الرأي والمروءة ، فقيهاً ، قارئاً للقرآن ، وكان يغنّي مرتجلاً ، وأدرك دولة بني أميّة ، وبقي إلى أيّام الرشيد ، وذكر ابن خُرْداذْبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه : أنّه كان مُعدَّل الشهادة بالمدينة ؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجّم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق .

[جاءه عباد بن سلمة ليلاً وطلب منه أن يغنّيه]

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ سلمة بن عبّاد[2] وَلِيَ القضاءَ بالبصرة ، فقصد ابنه عبّاد بن سلمة عطرَّداً وهو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن عليّ وأقام معهم ؛ فأتى بابه ليلاً فدَقّ عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس ، فخرج عطرَّد إليه ، فلمّا رآه ومن معه فزِع ؛ فقال : لا تُرَعْ : [من الكامل]

إنّي قصدتُ إليكَ مـن أهلي ... في حاجـةٍ يأتـي لها مثـلي

فقال : وما هي أصلحك الله ؟ قال : [من الكامل]

لا طالبـاً شيئاً إليـك سوى ... «حيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ»[3]

فقال : انزلوا على بركة الله ، فلم يزل يغنّيهم هذا وغيره حتى أصبحوا .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

حيِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ ... إذ لا يوافق شكلُها شكلي

الله أنجحُ مـا طلبتَ بـه ... والبِـرُّ خيرُ حقيبـة الرَّحْلِ

---

1 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 35–36 (رقم 55 حتى آخرها) .

2 هو كذلك في التذكرة الحمدونية وفي ل : عباد بن سلمة .

3 العزل : موضع في ديار قيس (كذا ذكر البكري) .

إنّي بحبلِكَ واصلٌ حبلي ... وبريشِ نَبْلكَ رائشٌ نَبْلي
وشمائلي ما قد علمتَ وما ... نبحتْ كلابُكَ طارقاً مثلي

الشعر لامرىء القيس بن عابِس الكِنْديّ ، هكذا روى أبو عمرو الشيبانيّ ، وقال : إن من يرويه لامرىء القيس بن حُجْر يغلَط . والغِناء لعطرّد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضاً ، وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ بالبنصر ، وفيه عنه وعن دنانير لمالكٍ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

[غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهديّ]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال : كتب إليّ أبو أيّوب المدينيّ ، وخبره أتمّ ، قال : حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطيّ[1] قال : دخلت على المهديّ ، وقد كان وُصِف له غنائي ، فسألني عن الغناء وعن علمي به ، فجاذبتُه من ذلك طَرَفا ؛ فقال لي : أتُغنّي النواقيس ؟ قلت : نعم ، وأُغنّي الصُّلبان يا أمير المؤمنين ، فتبسّم . والنواقيس لحن معبد ، كان معبد وأهل الحجاز يسمّونه النواقيس ، وهو : [من الطويل]

سَلا دارَ ليلى هل تُبين فتَنْطِقُ ... وأنَّى تَرُدُّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ

قال : ثم قال لي المهديّ وهو يضحك : غنّه ، فغنّيته فأمر لي بمالٍ جزيلٍ وخَلَع عليّ وصرفني ، ثم بلغني أنّه قال : هذا مُعَيْطِيٌّ وأنا لا آنَسُ به ، ولا حاجةَ لي إلى أن أُدْنيَه من خَلْوتي وأنا لا آنسُ به . هكذا ذُكِرَ في هذا الخبر أنّ اللحنَ لمعبد ، وما ذكره أحدٌ من رُواة الغِناء له ، ولا وُجِد في ديوانٍ من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شِرْكة فيه ، ولعلّه غلط .

[تنادر إبراهيم بن خالد المعيطيّ على ابن جامع]

وقد أخبرني هذا الخبر الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال : كان إبراهيم بن خالد المُعيطيّ يغنّي ، فدخل يوماً الحمّامَ وابنُ جامع فيه ، وكان له شيءٌ يجاوز ركبتيه ، فقال له ابن جامع : يا إبراهيم أتَبيع هذا البغل ؟ قال : لا بل أَحمِلك عليه يا أبا القاسم ؛ فلمّا خرج ابن جامع من الحمّام رأى ثياب المُعَيطيّ رثّةً فأمر له بخِلْعةٍ من ثيابه ؛ فقال له المعيطيّ : لو قبلتَ حُملاني قبلتُ خِلْعتَك ، فضَحِك ابن جامع وقال له : ما لك أخزاك الله ؟ ويلك أما تَدَع ولَعَك وبِطالتَك وشرَّك ؟ ودخل إلى الرشيد فحدّثه حديثه ؛ فضحك وأمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : أتغنّي النواقيس ؟ قال : نعم ، وأُغنّي الصلبان أيضاً . ثم ذكر باقي الخبر مثلَ الذي تقدّمه .

---

1 لا نعرف لماذا أقحم أبو الفرج هذا الخبر والذي يليه عن إبراهيم بن خالد المعيطي في أخبار عطرد ، ولكن مثل هذا كثير في الأغاني .

[كان عطرّد منقطعاً إلى آل سليمان بن عليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال: كان عطرَّد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يَخدِمُ غيرهم، وتُوُفِّي في خلافة المهديّ. قال: وكان يوماً يغنّي بين يدَيْ سليمان بن علي فغنّاه: [من السريع]

صوت

أَلْـهُ فكم من ماجدٍ قد لَها ومـن كريـمٍ عِرضُـه وافِـرُ

الغناء لعطرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ، فقيل له: سرَقتَ هذا من لحن الغريض: [من السريع]

يـا رَبْعَ سلاّمـةَ بالمُنْحَنـى فَخَيْفِ سَلْـعٍ جـادكَ الوابلُ

فقال: لم أسرقه ولكنَّ العقولَ تتوافق[1]، وحلف أنّه لم يسمعه قطّ.

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

يـا ربـعَ سلاّمـةَ بالمُنْحَنى فَخَيْفِ سَلْـع جـادكَ الوابلُ
إن تُمْسِ وحْشاً طالما قد تُرَى وأنـتَ معمـورٌ بهـم آهِلُ[2]
أيّـامَ سلاّمـةُ رُعْبُوبـةٌ خَـوْدٌ لَعُـوبٌ حبُّهـا قاتلُ
محطوطةُ المَتْـنِ هَضِيمُ الحَشا لا يطِّبيهـا الوَرَعُ الـواغلُ

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ. قال: ومن الناس من ينسُبه إلى ابن سريج.

[حبسه زبراء والي المدينة مع المغنّين ثم أطلقه وأطلقهم]

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جَدّي عليّ بن يحيى قال حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال[3]: كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحُبِسوا وحُبِس عطرّد فيهم، فجلس ليَعْرِضَهم، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا لعطرّد، وأخبروه أنّه من أهل الهيئة والمروءة والنّعمة والدِّين، فدعا به فخلّى سبيله، وأمره برفع

1 ل: تتوافى.
2 طالما في ل: فبما.
3 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 65 (رقم 96).

حوائجه إليه فدعا له ، وخرج فإذا هو بالمغنّين أُحضِروا ليُعرَضوا ، فعاد إليه عطرّد ، فقال : أصلح الله الأمير ، أعَلى الغِناء حبستَ هؤلاء ؟ قال : نعم ؛ قال : فلا تَظْلِمهم ، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قطّ ؛ فضحِك وخلّى سبيلهم .

[استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة]

أخبرني محمد بن مَزيد وجحظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيّوب بن إسماعيل قال : لمّا استُخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرّد المغنّي ؛ قال عطرّد : فأقرأني العامل الكتابَ وزوّدني نفقةً وأشخصني إليه ، فأُدخِلتُ عليه وهو جالسٌ في قصره على شَفِير بركةٍ مرصّصةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنّها يدور الرجل فيها سباحةً ، فوالله ما تركني أُسلِّم عليه حتى قال : أعَطرَّد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : لقد كنتُ إليك مشتاقاً يا أبا هارون . غنّني : [من الكامل]

حيٍّ الحُمولَ بجانبِ العَزْلِ إذ لا يُلائم شكلُها شكلي

إنّي بحبلِـكِ واصلٌ حبلِي وبريشِ نَبْـلِكِ رائشٌ نبلي

وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحَتْ كلابُك طارقاً مثلي

قال : فغنّيتُه إيّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلّة وَشْي كانت عليه لا أدري كم قيمتها ، فتجرّد منها كما ولدته أُمُّه وألقاها نِصفين ، ورمى بنفسه في البركة فنَهِل منها حتى تبيّنتُ ، عَلِم اللهُ ، فيها أنّها قد نَقَصَت نُقْصاناً بيّناً ، وأُخْرِج منها وهو كالميّت سُكراً ، فأضجع وغُطِّيَ ، فأخذتُ الحُلّة وقمتُ ، فوالله ما قال لي أحدٌ : دَعها ولا خُذْها ، فانصرفتُ إلى منزلي متعجّباً ممّا رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه ، فلمّا كان من غَدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني ، فلمّا دخلتُ عليه قال لي : يا عطرّد ، قلت : لَـبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال غنّني : [من الطويل]

أيَذْهَبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها مَجالسَ تَشفي قَرْحَ قلبي من الوجدِ

وقالـوا تَداوَ إنّ في الطِّبِّ راحةً فعلّلتُ نفسي بالدواء فلـم يُجْدِ

فغنّيته إيّاه ، فشقّ حلّة وشْي كانت تَـلْتَمِع عليه بالذهب التماعاً احتقرتُ والله الأولى عندها ، ثم ألقى نفسه في البركة فنهِل فيها حتى تبيّنت ، علم الله ، نقصانها ، وأُخرج منها كالميّت سكرا ، وأُلْقي وغُطِّيَ فنام ، وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لي أحد : دعها ولا خذها ، وانصرفتُ ؛ فلمّا كان اليوم الثالث جاءني رسولُه فدخلتُ إليه وهو في بهْوٍ قد أُلقيت سُتُوره ، فكلّمني من وراء الستور وقال : يا عطرّد ، قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنّي بك الآن قد أتيتَ المدينة فقمتَ بي في مجلسها ومَحفِلِها وقعدتَ وقلتَ : دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ

إليه فاقترح عليّ فغنّيته وأطربته فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبه وفعل وفعل ، والله يا ابن الزانية ، لئن تحرّكتْ شَفتاك بشيء ممّا جرى فبلغني لأضربنّ عنقك ، يا غلام أعطِهْ ألفَ دينار ، خُذْها وانصرف إلى المدينة ؛ فقلت : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في تقبيل يده ، ويزوِّدَني نظرةً منه وأُغنِّيَه صوتاً ؛ فقال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فانصرف . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما ، علم الله ، أنّي ذكرتُ شيئاً ممّا جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل ممّا غنّاه عطرّد الوليد قد نُسب في أوّل أخباره ، والثاني الذي أوّله: [من الطويل]

أيذهبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها

الغناء فيه لعطرّد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

صوت
من المائة المختارة[1]

[من السريع]

إن امـرءاً تَعْتـاده ذِكَـــرٌ ... منهـا ثلاثُ مِنـىً لَذو صَبرِ

ومواقـفٌ بالمَشْعَرَيْـــنِ لهـا ... ومناظـــرُ الجَمَـرات والنحرِ

وإفاضـةُ الرُّكبـان خَلْفَهـــمُ ... مثـلَ الغمـــام أَرَذَّ بالقَطْرِ[2]

حتى استلمنَ الركنَ في أُنُفٍ ... مـن ليلهـنّ يَطَأْن في الأُزْرِ

يَقْعُـدن في التَّطْوافِ آوِنـــةً ... ويَطُفْـــن أحيانـاً عـلى فَتْرِ

ففرَغن من سَبْع وقد جُهِدَتْ ... أحشاؤهـــنّ موائـــلَ الخُمْرِ

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ ، والغِناء في اللحن المختار للأَبْجَر ، وإيقاعُه من التقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنصر في الأوّل والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 شعر الحارث بن خالد المخزومي (جمع د . يحيى الجبوري ، 1972) : 65–66 عن الأغاني .

2 وإفاضة في ل : وأفاضت . أرذّ : أمطر الرذاذ .

[40] ـ أخبار الحارث بن خالد المخزوميّ ونسبه[1]

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب . وأمّه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، وأمُّها بنت أبي جهل بن هشام . وكان العاص بن هشام جَدَّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

[قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني مُصعب بن عبد الله قال : قامَر أبو لَهَب العاص بن هشام في عَشْرٍ من الإبل فقَمَره أبو لهب ، ثم في عشرٍ فقَمره ، ثم في عشرٍ فقَمَره ، ثم في عشر فقَمَره ، ثم في عشرٍ فقَمَره ، إلى أن خلعه من ماله فلم يَبْق له شيءٌ ، فقال له : إنّي أرى القِداح قد حالفتْك يا ابن عبد المطّلب فهلمّ أُقامرك ، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه ، قال : افعل ، ففعل . فقمَرَه أبو لهب فكرِه أن يسترقّه فتَغْضَب بنو مخزوم ، فمشى إليهم وقال : افتَدُوه منّي بعشرٍ من الإبل ؛ فقالوا : لا والله ولا بوبرة ، فاسترقّه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر . وقال غير مُصعب : فاسترقّه وأجلسه قَيْنا يعملُ الحديد . فلمّا خرج المشركون إلى بدر كان مَن لم يَخرج أُخرج بديلاً ، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد ، على أنّه إن عاد إليه أعتقه ، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ .

[ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل]

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغَزَليّين ، وكان يذهب مَذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبّب بها ؛ وولاّه عبد الملك بن مروان مكّة ، وكان ذا قدْرٍ وخَطَرٍ ومنظرٍ في قريش ؛ وأخوه عِكرِمة بن خالد المخزوميّ محدِّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين ، قد روى عن جماعة من الصحابة ؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد ، شاعرٌ ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ ... وغدا لِطِيَّـةِ ذاهبٍ مُتَحمِّلِ

ولّى بـلا ذمٍّ وغـادر بعدَهُ ... شيْباً أقـامَ مكانَـه في المَنزلِ

ليتَ الشبابَ ثَوى لدينا حقْبَةً ... قبلَ المشيبِ وليتـه لم يَعْجَلِ

---

1 ورد ذكره بإيجاز في خزانة الأدب 1 : 453-454 .

فنُصيبَ مِـن لذّاتِـهِ ونعيمِـهِ كالعهدِ إذ هو في الزمانِ الأوّلِ

وفيه غناء .

[كان أبو عمرو بن العلاء يسأله عن بعض الحروف]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال معاذ بن العَلاء أخو أبي عمرو بن العلاء : كان أبو عمرو إذا لم يَحُجّ استَبْضَعني بعض الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتيه بجوابها ؛ قال : فقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولاّه عبد الملك بن مروان مكّةَ ، فلمّا رآني قال : يا مُعاذ ، هاتِ ما معك من بضائع أبي عمرو ، فجعلتُ أعجَبُ من اهتمامه بذلك وهو أمير .

[هو أحد شعراء قريش الخمسة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير ، ولفظُه أتمّ ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال : كانت العرب تُفضِّل قريشاً في كلّ شيء إلاّ الشعر ، فلمّا نجَمَ في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجِيّ وأبو دهبل وعبيد الله بن قيس الرُّقَيّات ، أقرّت لها العرب بالشعر أيضاً .

[تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة بشعريهما]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسّان قال : تفاخرَ مَوْلًى لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشِعرِيْهما ، فقال مولى الحارث لمولى عمر : دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرِف المنازلَ إذا قُلبت ، يعني قول الحارث[1] : [من الكامل]

إنّي وما نَحَروا غداةَ مِنًى عندَ الجمار تَؤُودها العُقْلُ

لو بُدِّلَـتْ أعلى مَساكِنِها سُفْلاً وأصبحَ سُفْلُها يَعْلُو

فيَكاد يعرِفها الخبيرُ بهـا فيـرُدّه الإقْـواءُ والمَحْلُ

لعرفتُ مَغْناها بما احتمَلتْ منّي الضلوعُ لأهلها قَبْلُ

قال عمر بن شبّة : وحدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان ، وزاد فيه : فقال مولى بنِ أبي ربيعة لمولى الحارث : والله ما يُحسنُ مولاك في شعرٍ إلاّ نَسِيب إلى مولاي .

قال ابن سلاّم : وأنشَد الحارثُ بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلَّها حتى انتهى إلى قوله : [من الكامل]

لعرفتُ مغناها بما احتملتْ منّي الضلوعُ لأهلِها قبلُ

---

1 شعر الحارث بن خالد : 78 .

فقال له ابنُ عمر : قُلْ : إن شاء الله ؛ قال : إذاً يَفسُد بها الشعر يا عمّ ، فقال له : يا ابن أخي ، إنّه لا خيرَ في شيءٍ يُفسدُه «إن شاء الله» . قال عمر : وحدّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحدٍ ، وأظنّه لم يَرْوِها إلاّ عن محمد بن سلاّم . وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي الفضل المَرْوَرُّوذيّ عن إسحاق عن أبي عبيدة ، فذكر قصّة الحارث مع ابن عمر مثلَ الذي تقدّمه .

[فضّله كثيّر في الشعر على نفسه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثني أبو سلمة الغِفاريّ عن يحيى بن عروة بن أُذَينة عن أبيه قال : كان كُثَيِّرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرّ بهم سعيد الراس ، وكان مغنّياً ، فقالوا لكثيّر : يا أبا صخر ، هل لك أن نُسمِعك غناء هذا ، فإنّه مُجيد : قال : افعلوا ؛ فدَعوا به فسألوه أن يغنّيهم : [من الكامل]

صوت[1]

هَـلاَّ سألتَ معالِمَ الأطلالِ بالجِزعِ من حُرُضٍ وهنَّ بَوالي[2]
سَقْياً لعَزّةَ خُلّتي سَقْيا لهـا إذ نحن بالهَضباتِ من أُمْلالِ[3]
إذ لا تكلّمنـا وكان كلامُها نَفَـلا نؤمّلـه مـن الأنفالِ

فغنّاه ، فطرِب كثيّر وارتاح ، وطرِب القومُ جميعاً ، واستحسنوا قولَ كثيّر ، وقالوا له : يا أبا صخر ما يستطيع أحدٌ أن يقول ، مثل هذا ؛ فقال : بلى ، الحارث بن خالد حيث يقول : [من الكامل]

صوت

إنّي وما نَحروا غداةَ مِنىً عند الجمار تَؤودُها العُقْلُ
لـو بُدّلتْ أعلى مساكنها سُفْلا وأَصبحَ سُفْلُها يعلو
لعرَفتُ مَغناها بما احتملَتْ منّي الضلوعُ لأهلِها قَبْلُ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كثيّر الأُوَل التي أوّلها :

هلاّ سألتَ مَعالِمَ الأطلالِ

لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض

---

1 ديوان كثير : 284–285 والشطر الأوّل فيه «أربع في معارف الأطلال» .
2 حرض : واد عند أُحد .
3 أملال : موضع على طريق المدينة إلى مكّة .

في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عنه . وفيهما لعُلَّوَيْهْ رمل بالوسطى عن عمرو . وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصليّ رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

[تمثّل أشعب بشعره في علوّ الزبيريين على العلويين]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : دخل أشعب مسجد النبيّ ﷺ فجعل يطوف الحِلَق ، فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أَسْتَفْتي في مسألة ؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسْنِدٌ إلى سارية وبين يديه رجلٌ عَلَويّ ، فخرج أشعب مبادراً ؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطوافه : أَوَجدتَ من أفتاك في مسألتك ؟ قال : لا ، ولكني علمتُ ما هو خير لي منها ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد : [من الكامل]

قد بُـدّلَتْ أَعْلى مساكنها سُفْلاً وأصبحَ سُفْلُها يعلو

رأيتُ رجلاً من ولد الزُّبير جالساً في الصدر ، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه ، فكفى هذا عَجَباً ، فانصرفت .

[كان مروانيّاً وكلّ بني مخزوم زبيرية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيّوب سليمان بن أيّوب المدنيّ قال حدّثنا مُصعب الزبيريّ ، وأخبرني به أيضاً الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي ، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر : أنّ بني مخزوم كلّهم كانوا زبيريّة سوى الحارث بن خالد فإنّه كان مَروانيّاً .

[ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحجبه وجفاه]

فلمّا وَلِيَ عبد الملك الخلافة عامَ الجماعة وفَد عليه في دَيْن كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين ؛ وقال مصعب في خبره : بل حجّ عبد الملك في تلك السنة فلمّا انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له منه جَفوة ، وأقام ببابه شهراً لا يَصِل إليه ، فانصرف عنه وقال فيه[1] : [من الطويل]

---

1 شعر الحارث بن خالد : 101–102 .

صَحِبتُك إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ فلمّا انجلَتْ قَطّعتُ نفسي ألومُها
وما بي وإن أُقصيْتَني من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسي إلى من يَضِيمُها

هذا البيت في رواية ابن المرزُبان وحده : [من الطويل]

عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنّما بكفّيْكَ بؤسي أو عليكَ نعيمُها

[عزله عبد الملك لأنه أخّر الصلاة]

وبلغ عبد الملك خبره وأُنشد الشعرَ ، فأرسل إليه مَن ردّه من طريقه ؛ فلمّا دخل عليه قال له : حارِ ، أخبرني عنك : هل رأيتَ عليك في المُقام ببابي غَضاضةً أو في قصدي دناءةً ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ قال : فما حمَلك على ما قلتَ وفعلتَ ؟ قال : جفوةٌ ظهرتْ لي ، كنتُ حقيقاً بغير هذا ، قال : فاختَرْ ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم ، أو قضيتُ دَيْنَك ، أو ولّيتُك مكّةَ سنةً ، فولاّه إيّاها . فحجّ بالناس[1] وحجّت عائشة بنت طلحة عامئذٍ ، وكان يهواها ، فأرسلت إليه : أَخِّرِ الصلاة حتى أَفرُغ من طوافي ، فأمر المؤذّنين فأخّروا الصلاة حتى فرغَت من طَوافها ، ثم أُقيمت الصلاة فصلّى بالناس ، وأنكر أهلُ الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، فعزلَه وكتب إليه يؤنّبه فيما فعل ؛ فقال : ما أهونَ واللهِ غضبه إذا رَضِيَتْ ! والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخّرتُ الصلاة إلى الليل . فلمّا قضَتْ حجَّها أَرسَل إليها : يا ابنة عمّي أَلِمّي بنا أوعِدِينا مجلساً نتحدّث فيه ؛ فقالت : في غَدٍ أفعلُ ذلك ، ثم رحلت من ليلتها ؛ فقال الحارث فيها[2] : [من الكامل]

صوت

مـــا ضرَّكم لو قلتمُ سَدَداً إنّ المطايـا عاجِـلٌ غَدُها
ولهـــا علينا نِعمةٌ سَلَفتْ لسنا على الأيّامِ نجحدُها
لـــو تمّمتْ أسبابَ نعمتِها تمّتْ بذلكَ عندنـا يدُها

لمعبد في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودنانير ، وقد ذكره إسحاق فنسَبه إلى ابن محرز ثقيلاً أوّل في أصوات قليلة الأشباه ؛ وقال عمرو بن بانة : من الناس من نسبه إلى الغريض .

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

[من الطويل]

وما بي وإن أقصيتني من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسي إلى من يُهينُها

---

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 6 : 179 (رقم 489) .

2 شعر الحارث بن خالد : 57–58 .

بَلى بأبـي إنّي إليك لضَارعٌ فقيرٌ ونفسي ذاك منها يَزِينُها

البيت الأوّل للحارث بن خالد ، والثاني أُلحِق به . والغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ . وذكر الهشاميّ أنّ لحن الغريض خفيف ثقيلٍ في البيت الأوّل فقط ، وحكى أنّ قافيته على ما كان الحارث قاله :

ولا افتقرتْ نفسي إلى مَنْ يَضيمُها

وأن الثقيل الأوّل لعُليّة بنت المهديّ ، ومن غنائها البيت المضاف . وأَخلِقْ بأن يكونَ الأمر على ما ذكره ، لأنّ البيت الثاني ضعيفٌ يُشبه شِعرَها .

[قوله عندما تزوّج مصعب بعائشة ورحل بها إلى العراق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى قال : لمّا تزوّج مُصعب بن الزُّبير عائشة بنت طلحة ورحَل بها إلى العراق ، قال الحارث بن خالد في ذلك[1] :

صوت

[من الكامل]

ظعَـن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ وغـدا بلُبّك مَطْلِعَ الشَّرْقِ
في البيت ذي الحسبِ الرفيعِ ومِن أهــلِ التُّقـى والبرِّ والصِّدقِ
فظَلِلـتُ كالمقهـور مهجتـه هـذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ
أتْرُجّـةٌ عَبِـقَ العبيرُ بهـا عَبَقَ الدِّهان بجانـب الحُقِّ
مـا صبّحتْ أحداً برؤيتها إلاّ غـدا بكواكـب الطَّلْقِ

وهي أبيات ، غنّى ابن مُحرز في البيتين الأوّلين خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلاً بالوسطى ، وذكر حَبَش أن فيهما لمالك رملاً بالوسطى ، وذكر حبش أيضاً أن فيهما لِلدّلال ثاني ثقيل بالبنصر ، ولابن سُريج ومالك رَمَلَيْن ، ولسعيد بن جابر هَزَجاً بالوسطى .

[استأذن على عائشة فوعدته وخرجت من مكّة]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ابن جُعْدُبة قال : لمّا أن قدِمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير على مكّة : إنّي أُريد السلام عليكِ ، فإذا خفّ عليكِ أذِنْتِ ، وكان الرسول الغريض ، فقالت له : إنّا حُرُم ، فإذا أحلَلْنا أذِنّاك ، فلمّا أحلّت سَرَتْ على بَغَلاتها ، ولحِقها

1 شعر الحارث بن خالد : 75–76 .

الغريض بعُسْفان أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث إليها :

ما ضَرَّكم لو قلتُمُ سَدَداً

الأبيات المذكورة ؛ فلمّا قرأتِ الكتابَ قالت : ما يَدَعُ الحارث باطلَه ؛ ثم قالت للغريض : هل أحدثْتَ شيئاً ؟ قال : نعم ، فاسمعي ، ثم اندفع يغنّي في هذا الشعر ؛ فقالت عائشة : والله ما قلنا إلاّ سَدَداً ، ولا أردنا إلاّ أن نشتري لسانه ؛ وأتى على الشعر كلّه ، فاستحسنته عائشة ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب ، وقالت : زِدْني ، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً[1] : [من الكامل]

زَعَموا بأن البَيْن بعد غَدِ ... فالقلبُ ممّا أُحْدَثوا يَجِفُ

والعَيْنُ منذ أُجِدّ بَيْنَهُمُ ... مثلُ الجُمانِ دموعُها تَكِفُ

ومقالها ودموعُها سُجُمٌ ... أَقْلِلْ حنينَك حين تَنصرِفُ

تشكو ونشكو ما أشَتّ بنا ... كلٌّ بوَشْك البيْن مُعْتَرِفُ

إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ ، ولم يذكر له حمّادٌ طريقاً .

[غنّاها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة]

قال : فقالت له عائشة : يا غريض ، بحقّي عليك أهو أَمَرَكَ أن تغنّيَني في هذا الشعر ؟ فقال : لا ، وحياتِك يا سيدتي ! فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت له : غَنّني في شعرٍ غيره ؛ فغنّاها قول عمر فيها[2] :

صوت

[من الخفيف]

أجْمَعتْ خُلّتي مع الفجر بَيْنا ... جَلّل اللهُ ذلك الوجهَ زَيْنا

أجمعتْ بينَها ولم نَكُ منها ... لذّةَ العيشِ والشبابِ قضَيْنا

فتولّتْ حُمُولُها واستقلّت ... لم نَنَلْ طائلاً ولم نُقْضَ دَيْنا

ولقد قلتُ يومَ مكّةَ لمّا ... أرسلتْ تَقْرَأُ السلامَ علينا

أنعم اللهُ بالرسولِ الذي أُر ... سِلَ والمُرسِلِ الرسالةِ عَيْنا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن

1 شعر الحارث بن خالد : 70–71 . وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه : 258 ، 259) .

2 ديوان عمر : 435 .

إسحاق ، وغيره ينسُبه إلى ابن سريج . وفيه لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وأظنّه هذا اللحن ، قال : فضحِكَتْ ثم قالت : وأنت يا غريض فأَنعَم الله بك عينا ، وبابن أبي ربيعة عينا ، لقد تلطّفتَ حتى أدّيتَ إلينا رسالته ، وإن وفاءَك له لممّا يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك . وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيَها هذا الصوتَ لأنّه قد كان ترك ذكرها لّما غضبت بنو تيم من ذلك ، فلم يحبّ التصريح بها وكرِهَ إغفال ذكرها ؛ وقال له عمر : إن أَبْلغتَها هذه الأبيات في غناء فلَكَ خمسةُ آلاف درهم ، فوفَى له بذلك ، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أُخرى .

[غنّى الغريض عاتكة بنت يزيد]

ثم انصرف الغريض من عندها فلَقِي عاتِكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان ، وكانت قد حجّت في تلك السنة ، فقال لها جواريها : هذا الغريض ؛ فقالت لهنّ : عليَّ به ، فَجِيء به إليها . قال الغريض : فلمّا دخلتُ سلّمتُ فردّت عليّ وسألتني عن الخبر ، فقصَصتُه[1] عليها ؛ فقالت : غنّني بما غنّيتَها به ، ففعلتُ فلم أَرَها تَهَشّ لذلك ، فغنّيتُها مُعرِّضاً لها ومذكِّراً بنفسي في شعر مُرّة بن مَحكان السَّعْديّ يُخاطب امرأته وقد نزل به أضيافٌ : [من البسيط]

أقـولُ والضّيفُ مَخْشيٌّ ذَمامَتُـه ... على الكريمِ وحقُّ الضيفِ قد وجَبا

صوت

[من البسيط]

يا ربّــةَ البيتِ قُومِي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّي إليك رِحالَ القوم والقِرَبا

في ليلــةٍ من جُمادى ذاتِ أنديَةٍ ... لا يُبصِر الكلبُ من ظَلْمائها الطُّنُبا

لا ينبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتى يَلُـفَّ على خَيْشومه الذَّنَبا

الشعر لمُرّة بن مَحكان السَّعديّ ، والغِناء لابن سريج . ذكر يونس أنّ فيه ثلاثةَ ألحان ، فوجدتُ منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رَمَلاً بالوسطى ، والآخَرَ في كتاب الهِشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى ، والآخر ثاني ثقيلٍ في كتاب أحمد بن المكيّ . قال : فقالت وهي متبسّمة : قد وجَب حقّك يا غريض ، فغنّني ؛ فغنّيتها : [من الكامل]

صوت

يـــا دهرُ قــد أكثرتَ فَجْعتنا ... بسَراتنا ووَقَــرْتَ في العَظْمِ

وسَلَبتنــا مــا لستَ مُخْلِفَـه ... يا دهرُ مـا أنصفتَ في الحُكْمِ

لــو كان لي قِــرنٌ أُناضِلــه ... ما طاشَ عنــدَ حَفِيظةٍ سَهْمي

1 ل : فاقتصصته .

لو كان يُعطِي النَّصْفَ قلتُ له　　　أحرزتَ سهمك فَالْهُ عن سهمي

فقالت : نُعطِيك النصف ولا نُضيع سهمَك عندنا ، ونُجزِل لك قِسمك ، وأَمَرتْ لي بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنِيّة وغير ذلك من الألطاف ، وأتيتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّة ؛ فأمر لي بمثل ما أَمَرتا لي به جميعاً ، فأتيتُ ابن أبي ربيعة وأعلمتُه بما جرى ، فأمر لي بمثل ذلك ، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفتُ به : بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالَمهما ، وبما أمرتا لي به ، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكّة ، وابنِ أبي ربيعة ، وما أجازاني به جميعاً من المال .

[استأذن عائشة بنت طلحة في الزيارة فوعدته ثم هربت]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أبو الحسن المَرْوَزِيّ قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال : لمّا حجّت عائشةُ بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير مكّة : أنعم الله بك عيناً وحيّاكِ ، وقد أردتُ زيارتك فكرِهتُ ذلك إلاّ عن أمرك ، فإن أَذنْتِ فيها فعلتُ ؛ فقالت لمَوْلاة لها جَزْلةٍ : وما أَرُدّ على هذا السفيه ؟ فقالت لها : أنا أَكْفِيك ، فخرجتْ إلى الرسول وقالت له : اقرأ عليه السلام ، وقل له : وأنت أنعم الله بكَ عيناً وحيّاك ، نَقْضي نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قُومِي فطُوفي واسعَيْ واقضِي عُمْرَتِك واخرجي في الليل ، ففعلت ؛ وأصبح الحارث فسأل عنها فأُخبر خبرَها ، فوجّه إليها رسولاً بهذه الأبيات ، فوجَدها قد خرجت عن عمل مكّة ، فأوصل الكتابَ إليها ، فقالت لمولاتها : خُذيه فإنّي أظنّه بعض سفاهاته ، فأخذتْه وقرأته وقالت له : ما قلنا إلاّ سَدَداً وأنت فارغ للبَطالة ، ونحن عن فَراغك في شغل .

[سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : زعم كُلْثُوم بن أبي بكر بن عمر بن الضَّحّاك بن قيس الفِهْرِيّ قال : قدِم المدينة قادمٌ من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجل ؟ قال : من مكّة ، فقالت : فما فعل الأعرابيّ ؟ فلم يَفْهَم ما أرادت ، فلمّا عاد إلى مكّة دخل على الحارث ، فقال له : من أين ؟ قال : من المدينة ، قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم ، قال : فعَمّاذا سألتْك ؟ قال : قالت لي : ما فعل الأعرابيّ ؟ قال له الحارث : فَعُدْ إليها ولك هذه الراحلةُ والحُلّة ونَفَقتُك لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة ، وكتب إليها فيها[1] :　　　[من البسيط]

1 شعر الحارث بن خالد : 103–104 .

صوت

من كان يسأل عنّا أين منزِلُنا فالأُقْحُوانَـةُ منّـا منزلٌ قَمَنُ[1]
إذ نلبَس العيشَ صفواً ما يكدّره طَعْنُ الوُشاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال إسحاق : وزادني غيرُ كلثوم فيها :

ليتَ الهـوَى لم يقرّبني إليكِ ولم أَعْرِفْكِ إذ كان حظّي منكمُ الحَزَنُ

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرِز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر يونس أنّ فيها لحناً ولم يُجنّسه ، وذكر عمرو أنّ فيه لبابُويَه ثاني ثقيل بالبنصر .

[غضب على الغريض ثم رقّ له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم ، قال : لمّا ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزوميّ مكّةَ بعث إلى الغريض فقال له : لا أُرَيَنّك في عملي ، وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يُجيبه ، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف ، وبلغ ذلك الحارث فرقّ له فردّه وقال له : لِمَ كنتَ تُبْغِضنا وتهجر شِعرَنا ولا تَقْرَبُنا ؟ قال له الغريض : كانت هفوةً من هفوات النفس ، وخطرةً من خطرات الشيطان ، ومثلُك وهَب الذنب ، وصفَح عن الجُرْم ، وأقال العَثْرة ، وغَفَر الزَّلّة ، ولستُ بعائد إلى ذلك أبداً ؛ قال : وهل غنّيتَ في شيء من شعري ؟ قال : نعم ، قد غنّيت في ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هاتِ ما غنّيتَ ، فغنّيتُ[2] : [من البسيط]

صوت

بانَ الخَلِيطُ فما عاجوا ولا عَدَلوا إذ ودّعوكَ وحنّت بالنوى الإبلُ
كأنّ فيهم غداةَ البَيْن إذ رَحَلوا أُدْماءَ طاع لهـا الحَوْذانُ والنَّفَلُ

الغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش ؛ قال حبَش : وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر ، فقال له : أحسنتَ والله يا غريض ، هاتِ ما غنّيتَ فيه أيضاً من شعري ، فغنّاه في قوله[3] : [من البسيط]

---

1 الأقحوانة : موضع قريب من مكّة .
2 شعر الحارث بن خالد : 79 .
3 شعر الحارث بن خالد : 60 .

صوت

يا ليتَ شعري وكم من مُنْية قُدِرتْ	وَفْقا وأُخرى أتى من دونها القَدَرُ
ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْويه الضجيعُ له	طيُّ الحِمالةِ لا جافٍ ولا فَقِرُ
له شَبيهان لا نَقْصٌ يَعِيبهما	بحيث كانا ولا طُولٌ ولا قِصَرُ

لم أَعْرف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولا سمعتُه ، فقال له الحارث : أحسنت والله يا غريض ، إيهِ ، وماذا أيضاً ؟ فغنّاه قوله[1] : [من الكامل]

عَفَتِ الديارُ فما بها أهلُ	حُزّانُها ودِماثُها السهلُ
إنّي وما نحروا غداةَ مِنىً	عندَ الجِمار تؤودها العُقْلُ

الأبيات المذكورة وقد مضت نِسْبتُها معها ، فقال له الحارث : يا غريض لا لومَ في حبّك ، ولا عذرَ في هجرك ، ولا لذّة لمن لا يروِّح قلبَه بك ، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّةَ حظٌّ إلاّ أنتَ لكان حظّاً كافياً وافياً ، يا غريض إنّما الدنيا زينة ، فأَزْيَنُ الزينة ما فرّح النفسَ ، ولقد فَهِم قَدرَ الدنيا على حقيقته من فَهِم قَدْر الغناء .

[نقدت سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزبيريّ قال : أُنشِدتْ سُكَينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد : [من الكامل]

ففرَغْن من سَبْع وقد جُهِدت	أحشاؤهنّ موائلَ الخُمْرِ

فقالت : أَحَسَنٌ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم ، فقالت : وما حُسْنُه ؟ فوالله لو طافت الإبل سَبْعاً لجُهِدت أحشاؤها .

[سئل عمّا يمنعه من عائشة بعد موت زوجها]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال : لمّا مات عمر بن عبد الله التَّيْميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها ؟ قال : لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسيبي بها كان لشيء من الباطل .

[تنازع هو وأبان بن عثمان ولاية الحجّ]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : لمّا خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِل عن أن يولّيَ على الحجّ رجلاً ، وكان الحارث بن خالد عاملَه على مكّة ، فخرج أَبانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها ، فغدا على الحارث بمكّة ليَحُجّ بالناس ؛ فنازَعه الحارث وقال له : لم يأتني كتابُ أمير

---

1 شعر الحارث بن خالد : 77– 78 .

المؤمنين بتَوْلِيتك على الموسم ، وتغالبا فغلبَه أبانُ بن عثمان بنسبه ، ومال إليه الناس فحجّ بهم ؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك[1] : [من الطويل]

فإن تَنْجُ منها يا أبانُ مسلّما فقد أفلت الحجّاجَ خيلُ شَبيبِ
وكاد غَداةَ الدّيرِ يُنْفِذُ حِضْنَه غلامٌ بطعنِ القِرْن جدُّ طبيبِ
وأنْسَوْه وصفَ الدَّيْر لما رآهُمُ وحسَّنَ خوفُ الموت كلَّ مَعيبِ

فَلَقِيَه الحجّاج بعد ذلك ، فقال : ما لي ولك يا حارث ! أيُنازعك أبان عملاً . فتذكرَني ؟ فقال له : ما اعتمدتُ مَساءَتك ولكن بلغني أنّك أنت كاتبتَه ، قال : والله ما فعلتُ ، فقال له الحارث : المعذرة إلى الله وإليك أبا محمد .

[قال هشام حين سمع شيئاً من شعره : هذا كلام معاين]

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات : حدّثني عمرو بن سلم قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْوِيّ قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدِّب لبني هشام بن عبد الملك قال : بَيْنا أنا أُلقي على ولد هشامٍ شعرَ قريشٍ إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد : [من الكامل]

إن امـرءاً تعتـادُه ذِكَـرٌ منها ثَلاثُ مِنىً لـذو صَبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه : [من الكامل]

ففرَغْنَ من سَبْعٍ وقد جُهِدتْ أحشاؤهنّ موائـلَ الخُمْرِ

فانصرف وهو يقول : هذا كلامُ مُعاينٍ .

[شعره عندما قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني أبو عبد الله السَّدُوسيّ قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عبيدة قال : قدِمتْ عائشة بنت طلحة مكّةَ تريد العُمرة ، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولا يُمكِنه كلامُها حتى خرجتْ ، فأنشأ يقول ، وذكر في هذه الأبيات بُسْرةَ حاضِنَتَها وكَنى عنها[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا دارُ أقْفَرَ رسمُهـا بين المُحَصَّبِ والحَجُونِ
أقْـوَتْ وغيَّر آيَهـا مَـرُّ الحوادثِ والسِّنينِ

---

1 شعر الحارث بن خالد : 46–47 .

2 شعر الحارث بن خالد : 106–107 .

واستبدلوا ظَلَف الحجا زَ وسُرّةَ البلــد الأمينِ
يا بُسْر إنّــي فاعلمــي باللهِ مجتهــداً يَمينــي
ما إن صَرَمتُ حبالكم فَصِلي حبـالي أو ذَرِيني

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ ، قال : وفيها لابن مِسجَح ثقيلٌ أوّل ، وذكر أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملاً بالبنصر ؛ فيها لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حَبَش .

[شبب بزوجته أم عبد الملك]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني مُصْعَب بن عثمان بن مصعب بن عُروة بن الزُّبير ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزُّبيريّ قال : كانت أُمُّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أُسِيد عند الحارث بن خالد ، فولدتْ منه فاطمة بنت الحارث ، وكانت قَبْلَه عند عبد الله بن مُطِيع ، فولدت منه عِمران ومحمداً ، فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران[1] : [من البسيط]

يا أُمَّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحتْ بيَ الصبابةُ حتى شفّني الشَّفَقُ
القلبُ تاقَ إليكم كي يُلاقِيَكم كما يتوقُ إلى مَنْجاتــه الغَرِقُ
تُنِيل نَزْراً قليلاً وهي مُشْفِقةٌ كما يخافُ مَسِيسَ الحَيّةِ الفَرِقُ

قال مصعب بن عثمان : فأنشد رجلٌ يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مُطِيع هذا الشعر ، ثم فَطِن فأمسك ؛ فقال له : لا عليك ، فإنّها كانت زوجته . وقال ابن المرزبان في خبره : فقال له : امضِ رحِمك الله وما بأس بذلك ، رجلٌ تزوّج بنت عمّه وكان لها كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ ، فكان ماذا ؟ .

[شبّب بأمّ بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التَّميميّ عن أبي شُعَيْب الأسديّ عن القَحذَميّ قال : بينا الحارث بن خالد واقف على جمرة العَقَبة إذ رأى أُمَّ بكر وهي ترمي الجمرة فرأى أحسنَ الناس وجهاً ، وكان في خدّها خالٌ ظاهر ، فسأل عنها فأُخْبِر باسمها حتى عرف رَحْلَها ، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذَن له في الحديث ، فأذِنتْ له ، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى انقضت أيّامُ الحجّ ، فأرادت الخروج إلى بلدها ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد : 72–73 .
2 شعر الحارث بن خالد : 53–54 عن الأغاني .

ألا قُل لذاتِ الخال يا صاحِ في الخدِّ تدومُ إذ بانت على أحسن العَهْدِ
ومنها علاماتٌ بمجرى وِشاحها وأُخرى تَزِين الجِيدَ من مَوْضِع العِقْدِ
وترعى من الوُدّ الذي كان بيننا فما يَستوي راعي الأمانةَ والمُبْدي
وقل قد وعدتِ اليوم وعداً فأنْجِزي ولا تُخْلِفي ، لا خيرَ في مُخْلِف الوعدِ
وجُودِي عليّ اليومَ منكِ بنائل ولا تَبْخَلي ، قُدِّمتُ قَبْلَكِ في اللَّحدِ
فمن ذا الذي يُبدي السرورَ إذا دنت بكِ الدارُ أو يُعْنى بنأيكمُ بعدي
دنوّكُمُ منّا رَخاءٌ ننالـه ونأيُكُمُ والبعدُ جَهْدٌ على جَهدِ
كثيرٌ إذا تدنو اغتباطي بك النّوى ووجدي إذا ما بِنْتُمُ ليس كالوجدِ
أقولُ ودمعي فوقَ خدّي مُخَضِّل له وَشَلٌ قد بَلَّ تَهْتانُه خدّي
لقد منحَ اللهُ البخيلةَ وُدَّنا وما مُنِحتْ ودّي بدعوى ولا قَصْدِ

[شبّب بليلى بنت أبي مرّة لمّا رآها بالكعبة]

أخبرني محمد بن خلف قال وحُدّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدّثني به قال : طافت ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بالكعبة ، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها[1] : [من الطويل]

أطافتْ بنا شمسُ النهار ومَنْ رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوفُ
أبو أُمّها أوفى قريشٍ بذِمّةٍ وأعمامُها إمّا سألتَ ثَقِيفُ

وفيها يقول[2] : [من الطويل]

أمِن طَلَلٍ بالجزْع من مكّةَ السِّدرِ عفا بين أكناف المُشَقَّرِ فالحَضْرِ
ظَلِلتَ وظلَّ القومُ من غير حاجةٍ لَدُنْ غُدوةٍ حتى دَنَتْ حَزَّةُ العَصْرِ
يُبَكُّون من ليلى عهوداً قديمةً وماذا يُبَكّي القومُ من منزلٍ قَفْرِ

الغِناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكيّ ، وذكر غيره أنّه للغريض . وفي ليلى هذه يقول ، أنشدناه وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ للحارث بن خالد ، وفي بعض الأبيات غناءٌ[3] : [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد : 71–72 .
2 شعر الحارث بن خالد : 66–67 .
3 شعره : 115–117 وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه 95–96) .

صوت

لقــد أرسلتْ في السرِّ ليلى تلومني وتزعُمُنـــي ذا مَلّــةٍ طَرِفــاً جَلْدا
وقــد أخلفتْنا كلَّ مــا وعَدتْ به وواللهِ مــا أخلفتُهــا عامــداً وعْدا
فقلتُ مُجيباً للرسولِ الذي أتى تُراه ، لكَ الوَيْلاتُ ، من قولها جدّا ؟
إذا جئتَها فاقْــرَ السلامَ وقُــلْ لها دَعِي الجَوْرَ ليلى واسلُكي مَنْهَجاً قَصْدا
أفي مُكْثِنــا عنكم ليــالٍ مَرِضتُها تَزِيدينَنــي ليــلى على مَرضِــي جَهْدا
تَعُدِّيــن ذنبــاً واحــداً مــا جنيتُه علــيّ ومــا أُحصي ذنوبَكـــمُ عَدّا
فإن شئتِ حرّمــتُ النساءَ سِواكُم وإن شئتِ لم أُطْعَم نُقاخاً ولا بَرْدا
وإن شئتِ غُرْنا بعدكم ثــم لم نزَل بمكّةَ حتــى تَجْلِسي قابِــلاً نَجْدا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وذكر ابن المكيّ أنّ فيه لدَحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره . وفيه ثقيلٌ أوّلُ للأَبجَر عن يونس والهشاميّ . وفيه لابن سريج رمل بالبنصر . ولعَرار خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ وحَبَش .

[غلبه أبان بن عثمان على الصلاة]

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني محمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال : كان الحارث بن خالد والياً على مكّة ، وكان أَبان بن عثمان ربّما جاءه كتابُ الخليفة أن يُصَلّي بالناس ويُقِيمَ لهم حَجّهم ، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارث كتابٌ ، فلمّا حضر الموسم شخَص أبان من المدينة ، فصلّى بالناس وعاونَتْه بنو أُميّة ومَواليهم فغلَب الحارث على الصلاة ، فقال : [من الطويل]

فإن تَنْجُ منها يــا أبانُ مسلَّماً فقد أفلتَ الحَجّاجَ خيلُ شَبيبِ

فبلغَ ذلك الحجّاج فقال : ما لي وللحارث ! أيغلِبُه أبان بن عثمان على الصلاة ويهتِف بي أنا ؟ ما ذِكْرُه إيّاي ؟ فقال له عبيد بن مَوهب : أتأذَن أيّها الأمير في إجابته وهِجائه ؟ قال : نعم ؛ فقال عبيد : [من الطويل]

أبا وابِصٍ رَكِّب عَلاتَك والتَمِس مَكاسِبَهــا إن اللئيــمَ كَسوبُ
ولا تَذْكُــرِ الحجّــاجَ إلاّ بصالح فقد عِشْتَ من معروفه بذَنُوبِ[1]
ولستَ بــوالٍ مــا حيِيتَ إمارةً لُمسْتَخلَــفٍ إلاّ عليــك رقيــبُ

---

1 في هذا البيت إقواء .

[سأله عبد الملك عن أيّ البلاد أحبّ إليه فأجاب وقال شعراً]

قال المدائنيّ : وبلغني أنّ عبد الملك قال للحارث : أيّ البلاد أحبّ إليك ؟ قال : ما حسُنتْ فيه حالي وعُرض وجهي ، ثم قال : [من الطويل]

لا كُوفــةٌ أُمّــي ولا بَصْـرةٌ أبي ولستُ كمن يَثنيه عن وجهه الكَسَلْ

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعره]

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عِمران : [من البسيط]

صوت

بــانَ الخَلِيطُ الذي كنّا بــه نَثِـقُ بانــوا وقلبُـك مجنونٌ بهــم عَلِقُ
تُنيـل نَـزْراً قليـلاً وهـي مُشْفِقـةٌ كما يَخافُ مَسِيسَ الحيّـة الفَرِقُ
يا أمّ عِمرانَ ما زالتْ وما بَرِحتْ بيَ الصّبابـةُ حتــى شفّنــي الشَفَقُ
لا أعتَق اللهُ رِقّــي مــن صبابتكم ما ضرّني أنّني صَــبٌّ بكــم قَلِقُ
ضحِكتِ عن مُرْهَفِ الأنياب ذي أُشُرٍ لا قَضَــمٌ في ثنايــاه ولا رَوَقُ
يتـوقُ قلبــي إليكــم كي يلاقيَكم كما يتــوقُ إلى مَنْجاتــه الغَرِقُ

غنّى ابن محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ولِسَلْسَل في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشاميّ ، ولابن سريج في الثاني والأوّل والرابع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وللهُذليّ في الثاني ثم الأوّل هَزَج عن الهشاميّ . وذكر حَبَش أنّ فيها لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولابن مُحرِز ثاني ثقيل آخر بالبِنصر . وذكر الهشاميّ أنّ لابن سريج في الأبيات خفيف رمل .

وممّا يغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببُسْرة جاريتها[1] : [من الكامل]

صوت

يــا رَبْعَ بُسْرةَ بالجنابِ تكَلَّمِ وأَبِــنْ لنــا خبراً ولا تَسْتَعْجِمِ

1 شعر الحارث بن خالد : 97–98 عن الأغاني .

ما لي رأيتُك بعد أهلك مُوحِشاً خَلَقاً كَحَوْض الباقر المتهدِّمِ
تَسْبِي الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرت طوعُ الضجيع أنيقةُ المتوسَّمِ
قُبُّ البطونِ أوانسٌ مثلُ الدُّمَى يَخْلِطنَ ذاك بعِفّةٍ وتكرُّمِ

الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . والأبيات أكثر من هذه إلاّ أنّي اعتمدتُ على ما غُنِّيَ فيه .

ومنها صوتٌ قد جُمعتْ فيه عدّة طرائقَ وأصوات في أبياتٍ من القصيدة[1] : [من الكامل]

أعَرفتَ أطلالَ الرُّسوم تنكّرتْ بعدي وبُدِّل آيُهنّ دُثُورا
وتَبدّلتْ بعد الأنيس بأهلها عُفْراً بَواغِمَ يَرْتَعِين وُعُورا
من كلّ مُصْبية الحديثِ ترى لها كَفَلاً كرابية الكَثِيبِ وَثِيرا
دَعْ ذا ولكن هل رأيتَ ظَعائناً قَرَّبْن أجْمالا لهنّ بُكُورا
قَرّبنَ كلَّ مُخَيَّسٍ مُتَخَمِّلٍ بُزُلا تُشَبِّه هامَهنّ قُبُورا
يَفتِنّ لا يَألُون كلَّ مُغَفَّلٍ يملأنه بحديثهنّ سرورا
يا دارُ حسَّرها البلى تحسيرا وسَفَتْ عليها الريحُ بعدك بُورا
دَقّ الترابُ نَخِيلُه فمخيِّم بِعِراصها ومُسَيَّر تَسْيِيرا
يا رَبْعَ بُسْرة إن أضرّ بكِ البِلى فلقد عهدتُكَ آهلا معمورا
عَقَبَ الرّذاذُ خِلافَهم فكأنّما بسَط الشّواطِبُ بينهنّ حصيرا[2]
إنْ يُمسِ حبلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ خَلَقاً ويُصبحْ بَيْتُكم مهجورا
فلقد أرانِي ، والجديدُ إلى بِلًى ، زمناً بوصلكِ قانعاً مسرورا
جَذِلاً بمالي عندكم لا أبتغي للنفس غيرَكِ خُلَّةً وعشيرا
كنتِ المُنى وأعزَّ مَنْ وطِيء الحصا عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

غنَّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبد ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ، مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل ، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكّيّ ، وغنّى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى

1 شعر الحارث بن خالد : 60–63 .
2 الشواطب : جمع شاطبة ، وهي المرأة التي تشقّ الجريد لتعمل منه الحصير . بينهنّ في ل : فوقهنّ .

الوسطى عن إسحاق ، وغنّى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبّابة والوسطى عن يحيى المكّيّ ؛ وفيها ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى طُوَيْس وابن مِسجَح وابن سُرَيج ، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشَرَ والثاني عشر خفيف ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكيّ ، وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبّابة والوسطى عن يحيى أيضاً ، وليحيى المكّيّ في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل ، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، وفيها لإسحاق رمل ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لخُلَيْدةَ المكيّة خفيف رملٍ عن الهشاميّ أيضاً .

ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أوّلها[1] : [من البسيط]

هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُما ... كالرَّقِّ أجرى عليها حاذقٌ قَلَما
بالخَيْفِ هاجت شؤونا غيرَ جامدةٍ ... فانهلّت العينُ تُذْرِي واكفاً سَجِما
دارٌ لبُسرَةَ أمستْ ما تُكلّمنا ... وقد أبنتُ لها لو تعرِفُ الكَلِما
واهاً لبُسرةَ لو يدنو الأميرُ بها ... يا ليتَ بُسرةَ قد أمست لنا أَمَما

صوت

حلَّتْ بمكّةَ لا دارٌ مُصاقِبة ... هيهاتَ جَيْرونُ ممّن يسكن الحَرَما
يا بُسرُ إنّكمُ شطَّ البِعادُ بكم ... فما تُنيلوننا وصلاً ولا نِعَما

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيهما ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر ، جميعاً من روايته : [من البسيط]

قد قُلتُ بالخَيفِ إذ قالت لجارتِها ... أدامَ وصلُ الذي أهدى لنا الكَلِما

صوت

[من البسيط]

لا يُرغِمُ اللهُ أنفاً أنتَ حاملُه ... بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما
إن كان رابكِ شيء لستُ أعلمه ... منّي فهذي يميني بالرضى سَلَما
أو كنتُ أحببتُ شيئاً مثلَ حبّكُمُ ... فلا أرحتُ إذاً أهلا ولا نَعَما
لا تكليني إلى من ليس يرحمُني ... وقاكِ مَنْ تُبْغِضين الحتفَ والسَّقما
إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهمُ ... لا يرقُبون بنا إلا ولا ذِمَما

1 شعر الحارث بن خالد : 94- 96 .

غنّى ابن محرز في :

لا يُرغمُ اللهُ أنفاً أنت حاملُه

خفيف ثقيل بالبنصر ، ولابن مسجح فيه ثاني ثقيلٍ عن حبش ؛ وفي :

لا تكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبشٍ والهشاميّ .

[أخّر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك]

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ قال : أذّن المؤذّنُ يوماً وخرج الحارثُ بن خالد إلى الصلاة ، فأرسلتْ إليه عائشة ابنة طلحة : إنّه بقي عليّ شيءٌ من طوافي لم أُتِمهُ ، فقعد وأمر المؤذّنين فكفّوا عن الإقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغَت من طَوافها ؛ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فعزله وولّى مكّة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أَسيد ، وكتب إلى الحارث : ويلَكَ ، أتركت الصلاةَ لعائشة بنت طلحة ؟ فقال الحارث : والله لو لم تَقْضِ طوافَها إلى الفجر لما كَبَّرتُ ؛ وقال في ذلك[1] : [من الخفيف]

لم أُرَحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن ... مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا

إنَّ وجهاً رأيتُه ليلةَ البد ... رِ عليه انثنى الجمالُ وحَلاَّ

وجهُها الوجهُ لو يُسالُ به المُز ... نُ من الحسنِ والجمالِ استهلاَّ

إن عندَ الطَّوافِ حين أتته ... لجَمالاً فَعْماً وخُلْقاً رِفلاَّ

وكُسين الجمالَ إن غِبنَ عنها ... فإذا ما بدتْ لهنّ اضمحلاَّ

[الغناء في شعره]

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلَّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه ، وهو : [من الخفيف]

صوت

أَثْلَ جُودِي على المتيّم أثلاَ ... لا تزيدي فؤادَه بِكِ خَبْلا

أثلَ إنّي والراقصاتِ بجَمْعٍ ... يتبارَيْن في الأزمّة فُتْلا

سانحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ ... بين أيدي المطيّ حَزْنا وسَهلا

والأكفِّ المضمّرات على الركـ ... ـنِ بشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلى

لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتى ... يُنقَلَ البحرُ بالغرابيلِ نقلا

أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ ... مُرْتَقٍ قد وعَى من الماء ثِقْلا

1 شعر الحارث بن خالد : 81–84 .

أنعـمَ اللهُ لي بـذا الوجهِ عيناً ... وبـه مرحبـاً وأهلاً وسَهلا
حين قالت لا تفشِيَنَّ حديثي ... يا ابن عمّي أقسمت قلت أجلْ لا
اتّقي اللهَ واقبلي العـذرَ منّـي ... وتَجافَيْ عن بعض ما كان زَلاَّ
لا تُصـدّي فتقتُلينـيَ ظُلماً ... ليس قتلُ المحـبِّ للحِـبِّ حِلاَّ
ما أكن سؤتُكم به فلك العُتـ ... ـبى لدينا وحَـقَّ ذاك وقَلاَّ
لم أرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن ... مرحبـاً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُـه ليلـة البد ... رِ عليـه انثنـى الجَمالُ وحلاَّ
جعـلَ اللهُ كلَّ أنثـى فـداءً ... لك بل خدَّها لرجلِك نعلا
وجهك البدرُ لو سألتُ به المز ... نَ من الحسنِ والجمالِ استهلاَّ

غنّى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولابن تَيْزن في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق ، ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولدحمان في التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو ، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عَشَر لحنٌ ذكره يونس ولم يجنِّسه ، ولابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو ، وللغريض فيها أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكّيّ ، ولابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يذكر طريقته .

ومنها[1] : [من الوافر]

صوت

أَحَقّاً أنّ جيرتنـا استحبّـوا ... حُزُونَ الأرضِ بالبلدِ السَّخاخِ[2]
إلى عُقْـرِ الأباطـح من ثَبِير ... إلى ثـوْر فَمدْفَعِ ذي مُراخِ[3]
فتلك ديارُهـم لم يَبْقَ فيها ... سوى طللِ المُعَـرَّس والمُناخِ
وقد تَغْنى بهـا في الدار حُورٌ ... نَواعمُ في المجاسدِ كالإراخِ[4]

غنّى في هذه الأبيات الغريض ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

---

1 شعر الحارث بن خالد : 50–51 .
2 السخاخ : الأرض اللينة .
3 هذه جميعها جبال ومواضع بمكّة .
4 المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن . والإراخ : بقر الوحش .

[جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلمّا سمعت شعر الحارث طابت به نفساً]

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلاّم قال : كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة ، وكانت من مولّدات مكّة ، فلمّا ورد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم ، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزناً وتَسَلُّباً وجعلت لا تمرّ بسِكّة من سكك المدينة إلاّ ندبَتْه ، فلقيَها بعض فتيان مكّة ، فقال لها : خفِّضي عليك ، فقد نشأ ابن عمّ له يشبه شعرُه شِعرَه ، فقالت : أَنشِدني بعضه ، فأنشدها قوله : [من الكامل]

إنّي وما نحروا غَداةَ مِنىً عنـدَ الجِمارِ تؤودُها العُقْلُ

الأبيات كلّها ، قال : فجعلت تمسَح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لله الذي لم يُضيِّع حَرَمه .

[ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله]

أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي (جَدُّ عُبَيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : ناضل[1] سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس ، فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العَبْسيّ فأصاب ، فقال :

أنا نَضَلْتُ الحـارثَ بن خالدِ

ثم رمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب ، فقال الحارث :

حَسِبْتَ نَضْلَ الحارث بن خالدِ

ورَمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

مَشْيَكَ بـين الزَّرْبِ والمَرابدِ[2]

ورَميا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

وإنّـك الناقـصُ غيرُ الزائـدِ

فقال سليمان : أقسمتُ عليك يا حارثُ إلاّ كفَفْتَ عن القولِ والرَّمْي فكَفّ .

1 جعلهما يتباريان في الرماية .

2 الزرب : موضع الغنم . والمربد : موضع الإبل .

[41] ـ أخبار الأَبجَر ونسبه

[اسم الأبجر وولاؤه]

الأَبجَر لقبٌ غلَب عليه ، واسمه عُبَيْد الله بن القاسم بن ضبية ، ويُكنى أبا طالب ، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق ، وروى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه : أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية ، وهو مولى لكِنانة ثم لِبَني بَكْر ، ويقال : إنّه مولى لِبَني لَيْث .

[نشأته]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويَهْ وهارون بن الزيّات قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا يوماً جلوساً عند إسحاق ، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمْحَة[1]» : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مَرَضٌ ... قتَلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا

فَهِبتُ إسحاق أن أسأله لِمن الغناء ، فقلت لبعض من كان معنا : سَلْه ، فسأله فقال له إسحاق : ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا ، فقال : أحبَبْتُه لمّا أسْنَنتُ ، فقال : لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عمَلُ هذا اللّص ، وضرب بيده إلى تَلابيبي ، فقال له الرجل : صدقتَ يا أبا محمد ، فأقبَل عليّ فقال لي : ألم أَقُل لك إذا اشتهيتَ شيئاً فسَلْ عنه ، أَما لأُعطِيَنَّك فيه ما تُعايِي به مَن شئتَ منهم ، أتدري لمن الشعر ؟ فقلت : لجرير ، فقال لي : والغناء للأبجر ، وكان مَدَنِيّاً مَنْشَؤه بمكّة ، أو مكيّاً منشؤه بالمدينة ، أتدري ما اسمه ؟ قلت : لا ، قال : اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية ، أتدري ما كنيته ؟ قلت : لا ، قال : أبو طالب ، ثم قال : اذهب فَعايِ بهذا مَن شئتَ منهم فإنّك تظفَر به .

[كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث]

وقال هارون : حدّثني حمّاد عن أبيه قال : الأَبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أُخرى : عُبَيْد الله بن القاسم ، مولى لبني بكر بن كِنانة ، وقيل : إنّه مولى لبني ليث ، يُلقّب بالحَسْحاس .

---

1 ل : سميحةُ .

[ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه]

قال هارون : وحدّثني حمّاد عن أبيه قال حدّثني عَوْرَك اللّهبيّ قال : لم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أسرى ولا أحسن هيئةً من الأبجر ، كانت حُلّته بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركَبُه بمائة دينار ، وكان يقف بين المأزِمَيْن[1] فيرفع صوته فيقِف الناس له يركَبُ بعضُهم بعضاً .

[احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، قالا : جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيّام الحَجّ على قريبٍ من التنعيم[2] فإذا عَسْكرٌ جَرّار قد أقبل في آخر الليل ، وفيه دوابٌّ تُجْنَبُ وفيها فرسٌ أَدْهَمُ عليه سَرْجٌ حِلْيته ذهب فاندفع ، فغنّى : [من الطويل]

عَرَفتُ ديارَ الحـيِّ خاليةً قَفْرا كأن بهـا لّمـا توهمتُها سَطْرا

فلمّا سمِعَه مَن في القِباب والمحامل أُمسكوا ، وصاح صائحٌ : ويحك ؛ أَعِد الصوت ، فقال : لا والله ، إلاّ بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار ، فإذا الوليد بن يزيد صاحبُ الإبل ، فنُودِيَ : أين منزلك ومَن أنت ؟ فقال : أنا الأبجر ومنزلي على باب زُقاق الخرّازين ، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْي وغيرِ ذلك ، ثم أتى به الوليد فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشيّة التَّرْوِيَة وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشام .

[خرج معه إلى الشام]

قال إسحاق : وحدّثني عَوْرك اللّهبيّ أن خروجه كان معه ، وذلك في ولاية محمد ابن هشام بن إسماعيل مكّةَ ، وفي تلك السنة حَجّ الوليد ، لأنّ هشاماً أمره بذلك ليَهتِكه عند أهل الحَرَم ، فيجدَ السبيل إلى خلعه ، فظهر منه أكثر ممّا أراد به من التّشاغل بالمغنّين واللهو ، وأقبل الأبجر معه حتى قُتل الوليد ، ثم خرج إلى مصر فمات بها .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الطويل]

عَرَفْتُ ديارَ الحـيِّ خاليةً قَفْرا كأنّ بها لّمـا توهّمتُها سَطْرا

---

1 المأزمان : جبلان بمكّة .

2 التنعيم : موضع بمكّة .

وقفتُ بها كيما تَـرُدَّ جوابَهـا فما بيّنتْ لي الدارُ عن أهلِها خُبْرا

الغناء لأبي عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، وفيه لسِياط خفيفُ رملٍ بالبنصر .

[أخذ صوتاً من الغريض]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّ الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطواف حين أصبح ، فرأى عطاء بن أبي رَباح يطوف بالبيت ، فقال : يا أبا محمد ، اسمع صوتاً أخذتُه في هذه الليلة من الغريض ؛ قال له : ويحك ، أفي هذا الموضع ؟ فقال : كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعْه منّي سِرّاً لأجهَرَنّ به ؛ فقال : هاته ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

عُوجِي علينـا ربّـةَ الهودَجِ إنّـكِ إلاّ تَفْعَلِـي تَحْرَجـي
إنِّـي أُتيحـتْ لي يَمانِيّـةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبَـثُ حـولاً كامـلاً كلَّـه لا نلتقـي إلاّ عـلى مَنْهَـجِ
في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء : الخيرُ الكثيرُ والله في مِنًى وأهلِهِ حجّت أو لم تحجّ ، فاذهب الآن . وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبره في أخبار العَرجيّ والغريض .

[ختن عطاء بنيه فغنّاهم ثلاثة أيام]

قال إسحاق : وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عبيد بن عُمير قال : ختَن عطاء بن أبي رَباح بنيه أو بني أخيه ، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيّام يغنّي لهم .

[نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما]

قال هارون بن محمد حدّثني حمّاد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح بخطّه : حدّثني غُرَير بن طلحة الأرقميّ عن يحيى بن عِمران عن عمر بن حفص بن أبي كِلاب قال : كان الأبجر مولانا وكان مَكّيّاً ، فكان إذا قَدِم المدينة نزل علينا ، فقال لنا يوماً : أَسمِعوني غناءَ ابن عائشتِكم هذا ، فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبّار فتغنّى ابن عائشة ، فقال الأبجر : كلّ مملوكٍ لي حرٌّ إن تَغَنّيتُ معك إلاّ بنصف صوتي ، ثم أدخل إصبعه في شِدقه فتغنّى ، فسمع صوتَه مَن في السوق فحُشِر الناس علينا ، فلم يفترقا حتى تشاتما ؛ قال : وكان ابن عائشة حديداً[1] جاهلاً .

---

1 حديد : حاد الطبع .

[غنّى الوليد وقد عرف سرّه من خادمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال وحدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال[1] : دُعِيَ ذات يوم المغنّون للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً معهم ، فقلت للرسول : خُذْني فيهم ؛ قال : لم أُومَرْ بذلك وإنّما أُمِرتُ بإحضار المغنّين وأنت بَطّال لا تدخل في جملتهم ؛ فقلت : أنا والله أحسنُ غِناءً منهم ، ثم اندفعتُ فغنّيته ؛ فقال : لقد سمعتُ حَسَناً ولكنّي أخاف ؛ فقلت : لا خوفَ عليك ، ولك مع هذا شرطٌ ، قال : وما هو ؟ قلت : كلّ ما أصبته فلك شَطره ؛ فقال للجماعة : اشهدوا عليه ، فشهدوا ، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ النفس ، فغنّاه المغنّون في كلّ فنّ من خفيفٍ وثقيلٍ ، فلم يتحرّك ولا نَشِط ، فقام الأبجر إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خبره ، وبأيٍّ سببٍ هو خاثر ؟ فقال : بينه وبين امرأته شرٌّ ، لأنّه عَشِق أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألاّ يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة ، وخرج على هذا الحال من عندها ؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى اندفع فغنّى : [من الطويل]

صوت

فبيني فإنّي لا أُبالي وأيقِني	أصَعَّدَ باقي حبّكم أم تَصَوَّبا
ألم تعلَمي أنّي عَزُوفٌ عن الهَوى	إذا صاحبي من غير شيء تَغَضَّبا

فطَرِب الوليد وارتاح وقال : أصبتَ يا عبيد والله ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر ، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر ، فلمّا أيقنتُ بانقضاء المجلس وثَبْتُ فقلت : إن رأيتَ يا أمير المؤمنين أن تأمر مَن يضربني مائةً الساعة بحضرتك ؛ فضحك وقال : قَبّحك الله ، وما السبب في ذلك ؟ فأخبرتُه بقصّتي مع الرسول وقلت : إنه بَدَأني من المكروه في أوّل يومه بما اتّصل عليّ إلى آخره ، فأريد أن أُضرَبَ مائةً ويُضرَب بعدي مثلَها ، فقال له : لقد لَطُفتَ ، أعطوه مائة دينار وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها ؛ فقبضتُها وما حَظِيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول .

والشعر الذي غنّى فيه الأبجر الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم ، والغناء للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ .

---

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 66–67 (رقم 97) .

صوت[1]

من المائة المختارة من رواية جَحظة

[من الرمل]

حمــزةُ المبتــاعُ بالمــال الثَّنا   ويَــرى في بَيْعه أنْ قــد غَبَنْ
فهــو إن أعطَى عطاءً فاضلاً   ذا إخــاءٍ لم يُكَـدِّرْهُ بمَــنّ
وإذا مــا سَنَــةٌ مُجْلِبَــة   بَــرَتِ الناسَ كبَرْيٍ بالسَّفَنْ[2]
كان للنـاسِ ربيعــاً مُغْدِقــاً   ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّ
نُــور شَرقٍ بَيِّنٌ في وجهـه   لم يُصِب أثوابَــه لـونُ الدَّرَنْ[3]

عروضه من الرمل ، الشعر لموسى شَهَوات . والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 انظر الأبيات في جمهرة نسب قريش 1 : 39 .
2 مجلبة في جمهرة النسب : مجحفة . السفن : قطعة خشناء تحكّ بها الصحف والسهام .
3 جمهرة النسب : نور صدق . . . لم يدنس ثوبه .

[42] ـ أخبار موسى شَهَوات ونسبُه وخبرُه في هذا الشعر[1]

[نسبه]

هو موسى بن يَسار مولى قريش ، ويُختلَف في ولائه فيقال : إنّه مولى بني سَهم ، ويقال : مولى بني تَيْم بن مُرّة ، ويقال : مولى بني عدِيّ بن كعب ؛ ويُكنى أبا محمد ، وشَهَوات لقبٌ غَلَب عليه .

وحدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : إنّما لُقّب موسى شهوات لأنّه كان سَؤولاً مُلحِفاً ، فكان كلّما رأى مع أحد شيئاً يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثوب أو فرس[2] ، تباكى ، فإذا قيل له : ما لك ؟ قال : أشتهي هذا ؛ فسُمِّيَ موسى شهوات . قال : وذكر آخرون أنّه كان من أهل أذْرَبِيجان وأنّه نشأ بالمدينة وكان يُجْلَب إليه القَنْدُ والسكّر ، فقالت له امرأة من أهله : ما يزال موسى يَجيئنا بالشهوات ؛ فغَلَبتْ عليه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كان محمد بن يحيى يقول : موسى شَهَوات مولى بني عدِيّ بن كعب ، وليس ذاك بصحيح ، هو مولى تيم بن مُرّة . وذكر عبد الله بن شَبيب عن الحِزاميّ : أنّه مولى بني سَهْم .

وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مصعب ومحمد بن سلاّم قال : موسى شَهَوات مولى بني سَهْم .

[عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : هَوِيَ موسى شَهَوات جاريةً بالمدينة فاستُهيم بها وساوم مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم ، فجمع كلَّ ما يَملِكه واستماح إخوانَه فبلغ أربعة آلاف درهم ، فأتى إلى سعيد بن خالد العُثمانيّ فأخبره بحاله واستعان به ، وكان صديقه وأوثق الناس عنده ، فدافعه واعتلّ عليه فخرج من عنده ؛ فلمّا ولّى تمثّل سعيدٌ قول الشاعر : [من الوافر]

كتبتَ إليَّ تَستَهْدِي الجَواري ... لقد أنْعَظْتَ من بَلَدٍ بَعيدِ

---

1 أخبار موسى شهوات وشعره في جمهرة نسب قريش للزبير بن بكّار (تحقيق الأستاذ العلاّمة محمود محمد شاكر) 1 : 39 وما بعدها ، القاهرة ، 1381هـ .

2 ل : فرش .

[أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أُسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه]

فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد فأخبره بقصّته فأمر له بستّة آلاف درهم ، فلمّا قَبَضَها ونهَض قال له : اجلِسْ ، إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كلّ ما تَملِك فبأيّ حالٍ تعيشان ! ثم دفع إليه ألفيْ درهم وكُسوةً وطِيباً ، وقال : أُصلِحْ بهذا شأنكما ؛ فقال فيه : [من الطويل]

أبـا خالـدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرْف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ

ولكنّني أعنـي ابـنَ عائشةَ الذي ... أبـو أبَوَيْـه خالـدُ بـن أُسِيدِ

عَقِيدُ الندى ما عاش يَرضى به النّدى ... فإن مات لم يَرضَ النّـدى بعَقِيدِ

دَعُوهُ دعـوه إنّكم قـد رَقَدتُم ... وما هـو عـن أحسابكـم برَقُودِ

قتلتَ أُناساً هكـذا في جلودهم ... مـن الغيـظِ لم تقتُلْهـمُ بحديدِ

[رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجواً له فشكاه]

قال : فشكاه العثمانيّ إلى سليمان بن عبد الملك ؛ فأحضر موسى وقال له : يا عاضّ كذا وكذا ، أتهجو سعيدَ بن خالد ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما هجوتُه ولكنّي مدحتُ ابن عمّه فغضِب هو ، ثم أخبره بالقصّة ؛ فقال للعثمانيّ : قد صدَق ، إنّما نَسَبَ مَن مدحَه إلى أبيه ليُعرَف . قال : وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول : لَعَمْري والله ما أنت عن أحسابنا برَقود .

وأخبرني محمد بن عبد الله[1] اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عبيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتَةُ[2] في كلّ سنة ، فأرادوا عِلاجه ، فتكلّمتْ صاحبته على لسانه وقالت : أنا كريمة بنت مِلحان سيّدِ الجنّ ، وإن عالجتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لهَوِيتُه .

أخبرني وكيع عن أبي حَمزة أَنَسِ بن خالد الأنصاريّ عن قبيصة بن عمر بن حَفص المهلَّبيّ[3] عن أبي عبيدة قال حدّثني الحارث بن سليمان الهُجَيْميّ ، وهو أبو خالد بن الحارث المحدِّث ، قال : وكان عنده رؤبة بن العجّاج ، قال : شهِدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن

---

1 ل : محمد بن العباس .

2 الموتة : ضرب من الصرع .

3 ل : اللهبيّ .

عبد الملك وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتيتُك مُستَعْدِياً ، قال : ومَن بك ؟ قال : موسى شَهَوات ، قال : وماله ؟ قال : سَمَّع بي واستطالَ في عِرْضي ، فقال : يا غلام ، عليّ بموسى فأُتني به فأُتيَ به ؛ فقال : ويلك ؛ أسمَّعتَ به واستطلتَ في عِرضه ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنّي مدحتُ ابن عمّه فغضِب هو ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : علِقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنها جِدَتي[1] ، فأتيته وهو صديقي فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أُصِب عنده شيئاً ، فأتيتُ ابن عمّه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوتُ إليه ما شكوته إلى هذا ، فقال : تعود إليّ ، فتركته ثلاثاً ثم أتيته فسَهَّل من إذْني ، فلمّا استقرّ بي المجلس قال : يا غلام ، قل لقيِّمتي : هاتي ودِيعتي ، ففتح باباً بين بيتين وإذا بجارية ، فقال لي : أهذه بُغيتُك ؟ قلت : نعم فِداك أبي وأُمِّي ! قال : اجلس ثم قال : يا غلام ، قل لقيّمتي : هاتي ظَبية[2] نَفَقتي ، فأُتي بظبيـة فنُثِرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها فرُدّت في الظَّبْيـة ، ثـم قال : عَتِيدة طِيبي ، فأُتي بها ، فقال : مِلحَفَة فِراشي ، فأُتي بها ، فصَيّر ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي المِلحفة ، ثم قال : شأنك بهواك واستعِن بهذا عليه ؛ فقال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

[ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد]

[من الطويل]

أبا خالـدٍ أعْني سعيـدَ بن خالدٍ أخا العُرف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنني أعنـي ابنَ عائشة الذي أبـو أبويـه خالـدُ بـن أسِيدِ
عقيدُ الندى ما عاش يرضَى به الندى فإن مـاتَ لم يرضَ الندى بعَقيدِ
دَعُوهُ دعُـوهُ إنّكم قـد رقدتمُ ومـا هـو عـن أحسابكم برَقودِ

فقال سليمان : عليّ يا غلام بسعيد بن خالد ، فأُتي به ، فقال : أحقٌّ ما وصفَك به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه ، فقال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فما طوّقتك هذه الأفعال ؟ قال : دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار ؛ فقال له : قد أمرتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثُلُث مثلها ، فحُمِلت إليه مائةُ ألف دينار ؛ قال : فلقيتُ سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت له : ما فعلَ المالُ الذي وصلَكَ به سليمان ؟ قال : ما أصبحتُ والله أملِك منه إلاّ خمسين ديناراً ؛ قلت : ما اغتاله ؟ قال : خَلّةٌ من صديق أو فاقةٌ من ذي رَحِم .

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن مُصعب الزبيريّ ومحمد بن سَلاّم قال :

---

1 الجدة : اليسار والسعة .

2 الظبية : جراب صغير من جلد الظبي .

عشِق موسى شهوات جارية[1] بالمدينة فأُعطى بها عشرة آلاف درهم ؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ ؛ وقال فيه : أما والله لئن مدحتَه وهو سَمِيُّك وأبوه سَميُّ أبيك ولم أُفرِّق بينكما ليقولنّ الناس : أهذا أم هذا ، ولكن والله لأقولنّ قولاً لا يُشَكّ فيه .
وتمامُ هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها : [من الطويل]

فِدًى للكريمِ العَبْشَمِيِّ ابنِ خالد ... بَنِيّ ومالي طارِفي وتَلِيدي
على وجهه تلقى الأيامِنَ واسمِهِ ... وكُلُّ جَواري طيره بِسُعودِ
أبان وما استغنى عن الثّدْي خيرُه ... أبان به في المهد قبلَ قُعُودِ
دعوه دعوه إنّكم قد رقدتُمُ ... وما هو عن أحسابكم برَقودِ
ترى الجُنْد والجُنّابَ يَغشَوْن بابَه ... بحاجاتهم من سيّد ومَسُودِ[2]
فيُعطِي ولا يُعطَى ويُغشَى ويُجتدَى ... وما بابُه للمُجْتَدِي بسديدِ
قتلتَ أُناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظِ لم تقتلهمُ بحديدِ
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ ... مَنَاياهُمُ يوماً تَحِنْ بِحُقُودِ
فقل لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ ... ومات النّدَى إلاّ فُضُولَ سعيدِ

قال وكيع في خبره : أمّا قوله : «لا أعني ابن بنت سعيد» فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان أمِنةُ بنت سعيد بن العاصي ، وعائشة أمّ عَقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزاعيّة أخت طلحة الطَّلحات ، وأمُّها صَفِيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قُصَيّ ، وأمّ أبي عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا أنشد موسى شهوات سليمانَ بن عبد الملك شعرَه في سعيد بن خالد قال له : اتّفق اسماهُما واسما أبوَيْهما ، فتخوّفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرّقت بينهما بأمّهما ، فأغضبه أَنْ مدحتُ ابن عمّه ، فقال له سليمان : بَلى والله لقد هجوتَه وما خَفِي عليّ ولكنّي لا أجد إليك سبيلاً ، فأطلقه .

[مدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بشعر غنّاه معبد]

أخبرني وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا محمد بن مَسلمة الثقفيّ قال : قال موسى شهوات لمعبد : أأَمْدح حمزة بن عبد الله بن الزُّبير بأبيات

1 ل : مغنّية .
2 الجناب : الغرباء .

وتُغنّي فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك ؟ قال : نعم ؛ فقال موسى : [من الرمل]

حمـزةُ المبتـاعُ بالمـالِ الثّنـا ... ويَـرى في بَيْعه أن قـد غَبَنْ

فهـو إن أعطى عَطاءً فاضلاً ... ذا إخـاءٍ لم يُكـدِّرْه بِمَنْ

وإذا مـا سَنَـةٌ مُجْحِفَـــةٌ ... بـرَتِ النـاسَ كَبَرْيِ بالسَّفَنْ

حَسَرَتْ عنـه نقيّـاً عرضُـه ... ذا بـلاءٍ عند مُخْناها حَسَنْ

نُـور صـدقٍ بَيِّنٌ في وجهه ... لم يُدَنِّسْ ثوبَـه لـونُ الدَّرَنْ

كنتَ للنـاسِ رَبيعـاً مُغْدِقـاً ... ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّ

قال أحمد بن زهير : وأوّلُ هذه القصيدة عن غير ابن سلاّم : [من الرمل]

شاقَني اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ ... ففـؤادي مُسْتَهامٌ مُرْتَهَنْ

إنّ هنداً تَيّمتني حِقْبَـةً ... ثم بانتْ وهي للنفسِ شَجَنْ

فتنــةٌ أَلْحقَهـا اللهُ بنـا ... عائـذٌ بالله من شرِّ الفِتَنْ

[عارض فاطمة بنت الحسين لما زفّت إلى عبد الله بن عمرو]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني الطَّلْحيّ قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمران بن موسى بن طلحة قال : لما زُفَّت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، عارَضَها موسى شهوات : [من مجزوء الخفيف]

طَلْحَةُ الخيرِ جَـدّكم ... ولخيـرِ الفَواطِـمِ

أنتِ للطاهـراتِ مِن ... فَـرْعِ تَيْـمٍ وهاشمِ

أرْتَجيكُـمْ لنَفْعِكـم ... ولدَفْـعِ المظـالِمِ

فأُمر له بكُسوةٍ ودنانير وطيبٍ .

[هجا داود بن سليمان لمّا تزوّج فاطمة بنت عبد الملك]

قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العَنَزيّ عن العُتبيّ قال : كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلمّا مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه ، فقال في ذلك موسى شهوات : [من المتقارب]

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز ... قَريـعِ قريشٍ إذا يُذْكَرُ

تَزوّجْتِ داودَ مُخْتـارةً ... ألا ذلك الخَلَفُ الأعْوَرُ

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول : صدق والله موسى ، إنّك لأنتَ الخَلَف الأعور ، فيشتُمُه داود .

[مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن لَقِيط قال : أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق ، وكان فتًى جواداً سَمْحاً ، فلمّا ركب وثَب إليه فأخذ بعِنان دابّته ، ثم قال : [من الخفيف]

قم فصوِّتْ إذا أتيت دِمَشْقاً : يـا يزيدُ بنَ خالـدِ بن يزيدِ
يا يزيدُ بـن خالدٍ إن تُجِبْني يَلْقَني طائـري بنجمِ السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة ، وقال له : كلّما شئتَ فنادِنا نُجِبْك .

[تزوّج بنت داود بن أبي حميدة]

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب الزُّبيريّ قال : زُوِّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعْن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له : داود بن أبي حُمَيدة ، فلمّا جُلِيت عليه قال داود : ما للجَلْوة ؟ فأنشأ يقول : [من الوافر]

تقول ليَ النساءُ غَداةَ تُجْلَى حميدةُ يا فتـى ما للجلاءِ
فقلتُ لهم سَمَرْقَنْدٌ وبَلْخٌ وما بالصين من نَعَمٍ وشاءِ
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً وليثُ كريهـةٍ عندَ اللقاءِ

[هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه]

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب قال : قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب على موسى شهوات بقضيّة ، وكان خالدُ بن عبد الملك استقضاه في أيّام هشام بن عبد الملك ، فقال موسى يهجوه : [من الطويل]

وجدتُك فَهّـاً في القضاء مُخَلِّطاً فقَدْتُك مـن قـاضٍ ومـن مُتأمِّرِ
فدَعْ عنك ما شيّدته ذات رخـة أذى الناس لا تَحْشُرْهُمُ كلَّ مَحْشَرِ

ثم وَلِيَ القضاءَ سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاريّ ، فقال يمدحه : [من البسيط]

مَنْ سَرّه الحُكْمُ صِرفا لا مِزاجَ له من القُضـاة وعـدلٌ غيرُ مَغْمُوزِ
فليـأتِ دارَ سعيد الخَيْر إنَّ بها أمضى على الحقّ من سيف ابن جُرْمُوزِ

[هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة]

قال : وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف ، قد ولِيَ المدينة واشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنّين ، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه ، وكان قبيحَ الوجه ، فقال موسى يهجوه : [من الخفيف]

قل لِسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كنـ ـتَ لِما قد أُوتِيتَ سعداً مخيلا
إن تكن ظالماً جهـولاً فقد كا نَ أبوك الأدْنى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه : [من الخفيف]

لعــن اللهُ والعبـادُ تُطَيْطَ الـ ـوجه لا يُرْتَجى قبيحَ الجِوارِ
يَتّقــي النـاسُ فحشه وأذاه مثلَ مـا يتّقون بـولَ الحِمارِ
لا تَغُرّنْك سَجْدَةٌ بـين عينيْـ ـه حَـذارِ منها ومنـه حَذارِ
إنّها سَجْدَةٌ بهـا يَخْدَعُ النا سَ ، عليها من سَجْدة بالدَّبارِ[1]

[مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين أعطاه]

أخبرني عمّي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شَبيب قال : ذكر الحِزاميّ أنّ موسى شهوات سأل بعضَ آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها ، وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فبعث إليه بما كان التمسه من الزُّبيريّ من غير مسألة ؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد ، ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

ليس فيما بَدا لنا منك عيبٌ عابَــه النـاسُ غيرَ أنّك فاني
أنت نِعمَ المَتاعُ لو كنتَ تَبْقَى غيــرَ أنْ لا بقــاءَ للإنسانِ

والشعر المذكور فيه الغناءُ ، يقوله موسى شَهَوات في حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، وكان فتًى كريماً جواداً على هَوَجٍ كان فيه ، ووَلاّه أبوه العِراقَين وعَزَل مُصعباً لَمّا تزوّج سُكَيْنة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشة بنت طلحة وأمهر كلَّ واحدٍ منهما ألفَ ألفِ درهم .

[سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزُّبيريّ ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرّازيّ والحسين بن عليّ : قال عبيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة عن المدائني عن أبي مِخْنَف : أن أَنسَ بن زُنَيْم اللّيثيّ كتب إلى عبد الله بن الزبير : [من الكامل]

أبْلِغْ أميرَ المؤمنـين رسالـةً مِن ناصح لك لا يُرِيك خِداعا
بضَع الفتاةَ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتَبِيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا
لـو لأبي حَفْصٍ أقولُ مَقالتي وأَبـثُّ مـا أبثثكم لارتاعا

---

1 الدبار : الهلاك .

فلمّا وصلت الأبيات إليه جَزِع ثم قال : صَدَق والله ، لو لأبي حفص ٍيقول : إنَّ مُصعباً تزوّج امرأتين بألفيْ ألفِ درهم لارتاع ، إنّا بعثنا مصعباً إلى العراق فأغمد سيفَه وسَلّ أيره وسنَعْزِله ، فدعا بابنه حمزة ، وأمُّه بنت منظور بن زبّان الفزاريّ وكان لها منه مَحَلٌّ لطيف ، فولاّه البصرة وعزل مصعباً . فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب ، فقال : لكنّ أبا خُبَيب أغمد سيفَه وأيرَه وخَيْرَه .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : هذه الأبيات لعبد الله بن همّام السَّلُوليّ .

[عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه]

قالوا جميعاً : فلمّا ولي ابنه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخَلّط تخليطاً شديداً ، وكان جواداً شجاعاً أهوج ، فوفدتْ إلى أبيه الوفود في أمره ، وكتب إليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناس منه وأنّه يخشى أن تفسُد عليه طاعتهم ؛ فعزله عن البصرة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنيّ قال : لمّا قدِمَ حمزة بن عبد الله البصرة والياً عليها ، وكان جواداً شجاعاً مُخلِّطاً : يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملِكه إلاّ وَهَبه ويَمنع أحياناً ما لا يُمنع من مثله ، فظهرَتْ منه بالبصرة خِفّة وضَعف . ورَكِب يوماً إلى فَيْض البصرة ، فلمّا رآه قال : إنّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفيَنّهم صَيْفتَهم هذه ، فلمّا كان بعد ذلك ركِب إليه فوافقه جازِراً فقال : قد رأيته ذاتَ يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم ؛ فقال له الأحنف : إنّ هذه ماءٌ يأتينا ثم يَغِيض عنّا ثم يعود . وشَخَص إلى الأهواز فرأى جبلَها ؛ فقال : هذا قُعَيْقِعان ـ وقعيقعان : جبلٌ بمكّة ـ فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيقعان .

قال أبو زيد : وحدّثني غير المدائنيّ أنّه سَمِع بذكر الجبل بالبصرة ، فدعا بعامله فقال له : ابعث فأتنا بخَراج الجبل ؛ فقال له : إنّ الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه . وبعث إلى مَرْدانْشاه فاستحثّه بالخراج فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فقتله ؛ فقال له الأحنف : ما أَحَدَّ سيفك أيّها الأمير ! وهَمّ بعبد العزيز بن شبيب[1] بن خيّاط أن يضربه بالسِّياط ؛ فكتب إلى ابن الزُّبير بذلك وقال له : إذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرِف ابنَك عنها وأَعِد إليها مُصعباً ؛ ففعل ذلك . وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعِيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزَر : [من الكامل]

يا ابن الزُّبير بَعَثتَ حمزةَ عاملاً يا ليتَ حمزةَ كان خلفَ عُمانِ
أزرى بِدَجْلَةَ حين عَبّ عُبابُها وتقاذفتْ بزواخرِ الطُّوفانِ

---

1 ل : بشير (بشر) .

[نفار النوار من الفرزدق والتجاؤها لابن الزبير]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عبيدة قال[1] : خَطَبَ النَّوارَ ابنة أعْيَن المُجاشِعِيّة رجلٌ من قومها ، فجعلت أمرَها إلى الفرزدق ، وكان ابن عمّها دِنْيةً ، ليزوّجها منه ، فأشهد عليها بذلك وبأنّ أمرَها إليه شُهوداً عُدُولاً ؛ فلمّا أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق : فإنّي أُشْهِدكم أنّي قد تزوّجتُها ، فمنعته النَّوار نفسَها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزُّبير ، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زَبّان ، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزة ، وقال يمدحه[2] : [من البسيط]

يا حَمْزِ هَلْ لك في ذي حاجةٍ ، عَرَضتْ   أَنضاؤه بمكان غيرَ ممطورِ

فأنتَ أولى قُرَيشٍ أن تكونَ لها   وأنت بين أبي بكرٍ ومنظورِ[3]

فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرزدق يضعُف ؛ فقال الفرزدق في ذلك : [من البسيط]

أمّا بَنُوه فلم تَنْفَعْ شَفاعتُهم   وشُفِّعت بنتُ منظور بن زَبّانا

ليس الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتَزِراً   مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُرْيانا

فبلغ ابنَ الزبير شعره ، ولَقِيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضَغَط حَلقه حتى كاد يقتله ، ثم خَلاّه وقال : [من الطويل]

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ ناشِزاً   ولو رَضِيتْ رُمحَ استِهِ لاستقرَّتِ

ثم دخل إلى النَّوار فقال لها : إن شئتِ فَرّقتُ بينك وبينَه ثم ضربتُ عنقَه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئتِ أمضيتِ نِكاحه فهو ابن عمّك وأقربُ الناس إليك ، وكانت امرأةً صالحةً ، فقالت : أَوَما غيرُ هذا ؟ قال : لا ؛ قالت : ما أُحِبّ أن يُقتَل ولكني أُمضِي أمرَه فلعلّ الله أن يجعل في كُرْهي إيّاه خيراً ؛ فمضتْ إليه وخرجتْ معه إلى البصرة .

[غنّى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ : أنّ حمزة بن عبد الله كان جواداً ، فدخل إليه معبد يوماً وقد أرسله ابنُ قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه الألف الدينار ، فلمّا خرج من عنده قيل له : هذا عبد ابن قَطَن وهو يروي فيك شعر موسى شَهَوات فيُحسِنْ روايته ، فأمر بردّه فرُدَّ ، وقال له ما حكاه

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 192 وما بعدها (رقم 403) .

2 جمهرة نسب قريش : 40–41 (ستّة أبيات) .

3 أولى في الجمهرة : أحجى .

القوم عنه ، فغنّاه معبد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً ؛ ولمّا كان بعد ذلك رَدّ ابنُ قَطَن عليه المال فلم يقبله ، وقال له : إنّه إذا خرج عنّي مالٌ لم يَعُد إلى ملكي . وقد رُوِي أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطَبَ في أمره بهذه المخاطبة ابن سُرَيج ؛ وليس بذلك بِثَبَتٍ ، هذا هو الصحيح ، والغناء لمعبد .

[أنشد حمزة بن عبد الله شعراً وغنّاه إيّاه معبد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ : أنّ موسى شهوات أملق ، فقال لمعبد : قد قلتُ في حمزة بن عبد الله شعراً فغنِّ فيه حتى يكونَ أجزلَ لصلتنا ؛ ففعل ذلك معبد وغنّى في هذه الأبيات ، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعبد ، فأمَرَ لكلٍّ واحدٍ منهما بمائتي دينار .

[كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بني أميّة يحسنون إليه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال : كان موسى شَهَوات مولًى لسليمان بن أبي خَيْثَمة بن حُذَيفة العدويّ ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز ، وكان الخلفاء من بني أُميّة يحسِنون إليه ويُدِرُّون عطاءه وتَجِيئه صِلاتهم إلى الحجاز .

[هجا داود بن سليمان بن مروان]

وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلمّا مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً ، فقال موسى شهوات في ذلك : [من المتقارب]

أبعد الأغرِّ ابنِ عبد العزيز ... قريعِ قريشٍ إذا يُذكرُ
تزوّجتِ داودَ مختارةً ... ألا ذلك الخلَفُ الأعورُ

فغلبَ عليه ذلك في بني مروان ، فكان يقال له : الخلفُ الأعورُ .

صوت
من المائة المختارة[1]

[من السريع]

عُوجا خليليّ على المَحْضَرِ ... والربعِ من سَلاّمة المُقْفِرِ
عُوجا به فآستنطِقاه فقد ... ذَكَّرني ما كنتُ لم أَذْكُرِ
ذَكّرني سَلْمَى وأيّامَها ... إذ جاورتْنا بلوى عَسْجَرِ

1 ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1967) : 39–40 .

بالربعِ من وَدّانَ مبدى لنا ومِحْوراً ناهيكَ مِن محورِ
في مَحْضَرٍ كنّا به نلتقي يا حبّذا ذلك من محضَرِ
إذ نحن والحيّ به جِيرةٌ فيما مضى من سالفِ الأعصُرِ

الشعر للوليد بن يزيد ، وقيل : إنّه لعمر بن أبي ربيعة ، قيل : إنّه للعرجيّ ، وهو للوليد صحيح ، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها ، وفيه لِشارِيَةَ خفيف رملٍ آخر عن ابن المعتزّ ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لَحَكمٍ الواديّ خفيف رملٍ أيضاً .

[عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينة بنت الحسين]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال : كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سُكَينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه ، فعَتَبَ عليها يوماً ، فخرج إلى مال له ، فذكر أشعب أنّ سكينة دعته فقالت له : إن ابن عثمان خرج عاتباً عليّ فاعلَمْ لي حالَه ، قلت : لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة ، فقالت : أنا أُعطيك ثلاثين ديناراً ، فأعطتني إيّاها فأتيتُه ليلاً فدخلتُ الدار ، فقال : انظروا مَن في الدار ، فأتوه فقالوا : أشعب ، فنزل عن فرشه[1] وصار إلى الأرض فقال : أشُعَيب ؟ قلت : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : أرسلتني سُكينة لأعلم خبرك ، أتذكّرتَ منها ما تذكّرتْ منك ؟ وأنا أعلم أنّك قد فعلتَ حين نزلتَ عن فرشك وصرتَ إلى الأرض ، قال : دعني من هذا وغنّني : [من السريع]

عُوجَا به فاستنطِقاه فقد ذكّرني ما كنتُ لم أذكُرِ

فغنّيته فلم يَطرَبْ ، ثم قال : غنّني ويحك غير هذا ، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حُلّتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلثمائة دينار ، فغنّيته : [من الخفيف]

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ
ما ضِرارِي نفسي بهِجرانِ مَنْ ليـ ـس مُسيئاً ولا بعيداً نواهُ
واجتنابِي بيتَ الحبيبِ وما الخُلـ ـدُ بأشهى إليّ من أن أراهُ

فقال : ما عدَوتَ ما في نفسي ، خُذ الحلّة ، فأخذتُها ورجعتُ إلى سكينة فقصصت عليها القصّة ، فقالت : وأين الحلّة ؟ قلت : معي ، فقالت : وأنت الآن تريد أن تلبس حلّة ابن عثمان ؟ لا والله ولا كرامة ، فقلت : قد أعطانيها ، فأيّ شيءٍ تُريدين منّي ؟ فقالت : أنا أشتريها منك ، فبعتُها إيّاها بثلثمائة دينار .

---

1 ل : عرشه .

الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للدارميّ خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّه للهذليّ ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

[غاضب رجل جارية كان يهواها فغنّت مغنية من شعره فاصطلحا]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما ، واتّفق أنّ مغنيةً دخلت فغنتهما : [من الخفيف]

ما ضِراري نفسي بهِجران مَنْ ليـ — ـس مُسيئاً ولا بعيــداً نـــواهُ

فقالت الجارية : لا شيء والله إلاّ الحمقُ ، ثم قامت إلى مولاها فقبَّلَت رأسَه واصطلحا .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يا ويحَ نفسي لو أنّه أقصَرْ — ما كان عيشي كما أرى أكدَرْ
يا من عذيري ممّن كَلِفتُ به — يشهـدُ قلبـي بأنّــه يَسْحَرْ
يا رُبَّ يـومٍ رأيتُنـي مَرِحــاً — آخذُ في اللهــو مُسبِلَ المِئزرْ
بـين ندامـى تَحُـثّ كأسَهمُ — عليهمُ كـفُّ شادِنٍ أحــوَرْ

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدةَ خفيفُ رمل بالبنصر .

* * * *

الفهرس